الإسلام في الغرب

المفكرون الغربيون المسلمون

دوافع اعتناق الإسلام
وحوارات في الفكر والسيرة الذاتية

الجزء الأول

د. صلاح عبد الرزاق

الإهداء

إلى أمل المستضعفين في الأرض، إلى من تتحقق العدالة ويعم الخير ببركته في الارض، إلى منقذ الإنسانية من الظلم والجور والعدوان، إلى رافع راية الحق في دنيا الإسلام الحنيف، إلى من يعيد شريعة جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، إلى إمام زماننا وقرة عيوننا وأمل نفوسنا أرفع إلى مقامه الكريم هذا المجهود المتواضع بين يديه راجياً أن أحظى بالقبول من عليه السلام

الإسلام في الغرب

المفكرون الغربيون المسلمون

دوافع اعتناق الإسلام
وحوارات في الفكر والسيرة الذاتية

الجزء الأول

د. صلاح عبد الرزاق

المحتويات

المقدمة ٧
الإسلام الأوربي ١٠
هذه الدراسة ١٣

الباب الأول

الفصل الأول:
- لمحة تاريخية عن اعتناق المثقفين الأوربيين للإسلام..... ١٧

الفصل الثاني:
- مفهوم التحول الديني ٢٧
- تعريف ٢٧
- مشاكل منهجية في دراسة التحول الديني ٢٩

الفصل الثالث:
- نظريات تفسير التحول الديني ٣٣
- العوامل الداخلية للإعتناق..... ٣٣
- العوامل الخارجية للإعتناق ٣٩

الفصل الرابع:
- اعتناق الإسلام: المعنى والظاهرة..... ٤٧
- مصطلح الاعتناق في المصادر الإسلامية ٤٧
- إهمال متعمد لدراسة اعتناق الإسلام..... ٤٨
- صعوبات منهجية في الأخذ بالنظريات الغربية..... ٥١

الفصل الخامس: .....
- نظريات تفسير ظاهرة اعتناق الإسلام ٥٥
١- نظرية تحسين الوضع الاجتماعي ٥٥
٢- نظرية التحليل الوظيفي ٥٥

٣- نظرية العوامل البيئية ٥٦
٤- نظرية الاعتناق الواعي ٥٨
٥- نظرية البحث عن نظرة جديدة للعالم ٦٠
٦- نظرية الأسباب الدينية ٦١
٧- نظرية الاعتناق العلاقاتي والاعتناق العقلاني ٦٤
٨- عوامل دافعة مختلفة ٦٤

الفصل السادس:

- دوافع اعتناق المفكرين الغربيين للإسلام ٦٩
- نظرة نقدية للدراسات المتعلقة باعتناق الاسلام ٦٩
- اعتناق المفكرين الغربيين للإسلام ٧٢
- دوافع المفكرين الغربيين لاعتناق الإسلام ٧٤
- مصادر الدراسة ٨٧

الباب الثاني

حوارات في الفكر والسيرة الذاتية مع:

- روجيه غارودي، من الماركسية إلى الإسلام ٩٣
- مراد هوفمان، دبلوماسي اجتذبه الفن الإسلامي ١٠٧
- ديفيد بيدكوك، من الاقتصاد إلى زعامة حزب إسلامي ١٥٣
- عبد الواحد فان بومل، من عازف إلى إمام مسجد ١٧٣
- ساجدة عبد الستار، فتاة تبحث في الأديان ٢٠٥

سيرة المؤلف

- مواليد عام ١٩٥٤ ، متزوج وله ثلاثة أبناء.
- درس في مدرسة الزهاوي الابتدائية ومتوسطة المأمون الرسمية وإعدادية المأمون للبنين.
- خريج كلية الهندسة – القسم المدني عام ١٩٧٦ ، ثم عمل فيها معيداً فيها عدة سنوات.
- بسبب ملاحقة النظام غادر العراق عام ١٩٨٠ ثم استقر في هولندا.
- أكمل دراسة الماجستير في القانون الدولي الإسلامي عام ١٩٩٧ من جامعة لايدن.
- عام ٢٠٠٢ قدم رسالة الدكتوراه عن أطروحته (المفكرون الغربيون المسلمون)
- بعد سقوط النظام عاد إلى بغداد عام ٢٠٠٣ .
- انتخب عضو مجلس محافظة بغداد في انتخابات ٢٠٠٥ وترأس لجنة العلاقات وعضوية اللجنة القانونية.
- في انتخابات مجالس المحافظات في ٣١/ ١/ ٢٠٠٩ حصل على أعلى الأصوات في بغداد (٤٥٠٠٠ صوت).
- بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠٠٩ انتخب محافظاً لبغداد من قبل مجلس المحافظة حيث حصل على ٥٤ صوتاً من مجموع ٥٧ صوتاً.

• شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية والأكاديمية والسياسية داخل وخارج العراق.
• نشرت له العديد من الدراسات والمقالات في مجلات ودوريات وصحف ومواقع ألكترونية.
• تستضيفه القنوات التلفزيونية والإذاعات والصحف في المجالات السياسية والفكرية.
• عضو لجان مناقشة رسائل جامعية (ماجستير ودكتوراه) في الجامعات العراقية.
• صدرت له كتب عديدة:

- العالم الإسلامي والغرب.
- المفكرون الغربيون المسلمون
- الأقليات المسلمة في الغرب
- الإسلاميون والديمقراطية.
- الإسلاميون والقضية الفلسطينية
- الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الإسلامي
- الإسلام في أوربا
- اعتناق الإسلام في الغرب
- الإسلام السياسي والدولة الإسلامية المعاصرة
- الصدر الثاني: مرجع أمة
- مشاريع إزالة التمييز الطائفي في العراق
- مقدمة في الإعلام الإسلامي

مقدمة

ترافقت الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامية بظاهرة اهتمام الغربيين بالإسلام. فقد صار الإسلام السياسي مادة للبحث والدراسة في الجامعات الغربية ومراكز البحوث الأكاديمية والإستراتيجية. وصارت البلدان الغربية تهتم كثيراً بالأحزاب والحركات السياسية وبالأفكار والتيارات الإسلامية سواء في العالم الإسلامي أو في البلدان الغربية. إذ سرعان ما التفت العواصم الغربية إلى حجم الأقليات المسلمة المقيمة فيها، وتأثير هذه الأقليات ليس على تطور أفكار المسلمين في الغرب، بل صارت تأثيرها يصل أفراد المجتمعات الغربية. إن وجود ١٥ مليون مسلم في أوربا الغربية قد أنشأ علاقات مع المجتمعات الغربية، وأوجد أعرافاً وتقاليد في مختلف مجالات الحياة الغربية، في الشارع والمدرسة والمعمل والجامعة وحتى البرلمان. ففي بعض البلدان الأوربية مثل هولندا وبلجيكا وبريطانيا يوجد عدة أعضاء برلمان مسلمين. وقامت فرنسا وبلجيكا بتعيين وزيرات مسلمات وعربيات. أما الإعلام الغربي فلا يخلو يوم من نشر خبر أو تقرير أو إحصائية، أو بث برنامج أو لقاء إذاعي أو تلفزيوني يتناول قضية تهم الإسلام أو المسلمين أو يستضاف فيه شخصية مسلمة تعرض آراءها وأفكارها، وتتحاور مع الجمهور الغربي.

إن الوجود الإسلامي صار جزء من المجتمع الغربي ولا يمكن تجاوزه أو إغفاله أو إهماله. ففي كل شهر يتم تأسيس مسجد أو افتتاح مدرسة إسلامية أو مركز إسلامي في أوربا. وفي كل أسبوع تعقد ندوة فكرية أو دورة للتعريف بتعاليم الإسلام أو تعليم اللغة العربية. وفي كل يوم تقام الصلوات والشعائر الإسلامية. ويتزايد انتشار الكتاب الإسلامي ونسخ القرآن الكريم المترجم بلغات أوربية.

هذا الحضور المتزايد وطبيعة الأنظمة الغربية الديمقراطية جعل الحكومات الأوربية تأخذ بظر الاعتبار الأقلية المسلمة في بلدانها عند سن تشريعات جديدة أو تعديل قوانين قديمة كي تنسجم مع مواطنيها المسلمين أو المهاجرين إليها. وصارت بعض المؤسسات والشركات الأوربية تأخذ في الحسبان التعاليم الإسلامية في سن مقرراتها مثلاً مراعاة الحجاب في الزي الذي ترتديه العاملات المحجبات في المحلات التجارية أو المصانع أو حتى الشرطيات، أو إعطاء فرص لأداء الصلاة، أو إجازة خاصة لأداء فريضة الحج، أو إعداد كراسات تضم المقررات الخاصة بالذبح الإسلامي للحيوانات، أو تخصيص مساحات معينة من الأرض للمقابر الإسلامية.

في ظل هذا النشاط الإسلامي المعزز بحضور الأقليات المسلمة انجذب كثير من الغربيين إلى الإسلام، وتعرفوا على تعاليم وأحكام الإسلام، فاقتنعوا بها، وشهدوا الشهادتين، فانضموا بذلك إلى ملايين المسلمين. فأغنوا المشهد الإسلامي في أوربا، ولم يعد مشهداً ملوناً آسيوياً أو أفريقياً أو ذو صبغة شرق أوسطية، بل أصبح يضم مسلمين من أهل البلد الأوربي نفسه.

وبذلك لم تعد الدعوات العنصرية ذات هدف عملي لأنه لا يمكن المطالبة بطرد المواطن الأوربي المسلم من بلده. ويتميز المسلمون الغربيون عموماً بأنهم مسلمون أوربيون، أي مسلمون يحملون ثقافة أوربية. والثقافة تشمل العادات والتقاليد والأعراف والمفاهيم. بالطبع مما لا يتنافى وتعاليم الإسلام. وبعضهم يبني علاقات قوية من المسلمين من أصول غير غربية، من آسيا وأفريقيا. والبعض الآخر يبقى متحفظاً من الاندماج في محيط وأجواء الأقليات المسلمة، بل ربما يشكل منظمات وتجمعات ذات صبغة أوربية تضم المسلمين من أهل البلاد فقط. ويقدر عدد المسلمين الأوربيين،أي الذين اعتنقوا الإسلام، بأكثر من مائة ألف أوربي.

وبرز من هذا العدد الكبير مجموعة من المثقفين والمفكرين الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام. إذ لم يعد الإسلام مقتصراً على الدوائر الضيقة من بعض الفئات الاجتماعية العادية بل صار يتغلغل داخل أوساط النخبة الغربية المثقفة. فخلال العقود الثلاثة المنصرمة دخل الإسلام العديد من المفكرين والمثقفين من أدباء وفنانين وفلاسفة ومفكرين وأساتذة جامعات وسياسيين، نذكر منهم على سبيل المثال الفيلسوف الفرنسي روجه غارودي، العالم والطبيب الفرنسي موريس بوكاي، الكاتب النمساوي محمد أسد، الدبلوماسي الألماني مراد هوفمان، المغني الإنكليزي السابق كات ستيفنس (يوسف إسلام)، الداعية الإسكتلندي عبد القادر الصوفي، الكاتبة الأمريكية مريم جميلة، والدبلوماسي الإنكليزي غي إيتون، والمستشرق الإنكليزي مارتن لنغز، الباحث البلجيكي عمر فان دنبروك، المحامي الكاتب أحمد ثومسون، الباحثة الانكليزية هدى خطاب، والكاتبة الإنكليزية عايشة بويلي، والكاتبة الأسترالية جميلة جونز، والأنثروبولوجي الألماني أحمد فون دينفر، وأستاذ الرياضيات الأمريكي جيفري لانغ، والكاتبة الأمريكية بربارا براون، والكاتبة الإنكليزية سوزان حنيف، والباحثة الإنكليزية رقية وارث مقصود، والباحث الهولندي هندريك خيل، والكاتبة الهولندية ساجدة عبد الستار، والإعلامي والكاتب الهولندي عبد الواحد فان بومل، وأخرين كثيرين ينتشرون على امتداد القارة الأوربية.

يساهم هؤلاء المفكرون الغربيون المسلمون بتطوير الفكر الإسلامي عموماً من خلال كتاباتهم ومقالاتهم ومحاضراتهم وندواتهم التي يقيمونها ويتحدثون بلغاتهم الأوربية إلى جمهور أوربي أو مسلم. ويناقشون ويكتبون في مختلف القضايا والعلوم الإسلامية كالسيرة والحديث والتفسير والسنة والفقه الإسلامي. كما يخاطبون مختلف الشرائح الاجتماعية للمسلمين، فيكتبون للنساء والفتيات، والشباب والأطفال. ويستخدمون تقنيات وأساليب متطورة في إعداد كتب ومؤلفات تشرح الإسلام وتعاليمه وأحكامه بأشكال جذابة. ويؤلفون مراجع توضح الكثير من المفاهيم الإسلامية بلغة عصرية، وأحياناً مزودة بالرسوم والتوضيحات والصور. ويكتب بعضهم قصص الأنبياء أو الصحابة أو عن الرسول (ص) بأسلوب شيق. و قد يستخدم الأناشيد الإسلامية باللغة الإنكليزية لنشر المفاهيم الإسلامية و لتشجيع الناس على حفظ التعاليم الإسلامية. وينشر كثير منهم مؤلفات تتناول مختلف القضايا الإسلامية والشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ويقوم قسم منهم بترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية العصرية، أو ترجمة كتب الحديث والصحاح، أو ترجمة المصادر الإسلامية القديمة مثل تاريخ الطبري وطبقات إبن سعد. كما يترجم بعضهم كتباً إسلامية لكتاب معاصرين كالقرضاوي والغزالي وسيد قطب وغيرهم.

وتختص هذه المجموعة من المسلمين بنوع من الأدب لا ينافسهم فيه أحد هو شهادات اعتناقهم الإسلام. فهم غالباً ما يسردون سيرة حياتهم، وكيفية تعرفهم على الإسلام، وكيف اعتنقوه، وماذا جذبهم فيه. وتختلف هذه القصص من واحد إلى آخر، وحسب ظروفه، و نظرته للأمور وتحليله للوقائع الاجتماعية. وتتضمن هذه القصص غالباً نقداً عميقاً للديانة المسيحية أو اليهودية، كل حسب معتقده السابق، موضحين الأسس الواهية واللاعقلانية التي تعتمد عليها عقائدها. وقد أصبحت هذه الكتابات مصدراً جيداً للدعاة المسلمين والكتّاب والمفكرين الإسلاميين الذين يخوضون في مسائل الجدل الديني ضد الديانات الأخرى. كما لا يخف هؤلاء المفكرون الغربيون المسلمون نقدهم للحضارة الغربية والثقافة الأوربية، حيث يتناولون بالنقد والتحليل مختلف القضايا الفلسفسة والتاريخية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في المجتمعات الأوربية. كما لا يتوانون عن نقد الدول الغربية وسعيها للهيمنة على ثروات ومقدرات الشعوب غير الأوربية، وينتقدون سولبقعا الاستعمارية والتبشيرية في دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. كما يقفون إلى جانب قضايا العرب والمسلمين مدافعين عن الإسلام والمسلمين في شتى الأحداث السياسية والفكرية مثل أحداث لبنان والخليج و ١١ أيلول ٢٠٠١ والقضية الفلسطينية. وقد تعرض بعضهم إلى حملات دعائية من الاعلام الغربي

بسبب مواقفهم هذه، بل أن أحدهم كالفرنسي روجيه غارودي قد أدين في محكمة فرنسية عام ١٩٩٨ بتهمة معاداة السامية بعد أن أصدر كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلي).

ويساهم بعض المفكرين الغربيين المسلمين في دعم نشاطات المنظمات الإسلامية أو المؤسسات التي تهتم بشؤون المسلمين وتدافع عن مصالحهم. فبعضهم يأخذ زمام المبادرة، وبالتعاون مع مسلمين مهاجرين، ويقوم بتأسيس منظمة إسلامية تطالب بحقوق المسلمين، أو مركز إسلامي يدعو غير المسلمين إلى الإسلام، أومدرسة إسلامية رسمية توفر تعليم إسلامي لأبناء وبنات الأقلية المسلمة. ويقوم بعضهم بتمثيل المسلمين أمام السلطات الرسمية أو في وسائل الإعلام الغربية مدافعاً عن الإسلام وعن مواقف المسلمين. ويدير بعضهم مؤسسات إسلامية نشيطة، فيقيمون الصلاة ويؤمون الناس في صلاة الجماعة، ويلقون خطب الجمعة، ويعطون دروساً حول الإسلام لجذب غير المسلمين. ويحظى هؤلاء المفكرون الغربيون المسلمون باحترام كبير بين المسلمين سواء المقيمين في الغرب أو في العالم الإسلامي. وغالباً ما يدعون إلى مؤتمرات فكرية وإسلامية تناقش مختلف القضايا الإسلامية.

يمتاز هؤلاء المفكرون بأنهم ينطلقون من فهمهم للإسلام كدين يؤمنون به ويلتزمون أحكامه ويمارسون شعائره، ومن الثقافة الغربية التي تمثل خلفيتهم الفكرية والمعرفية والمنهجية. ولذلك تعتبر كتاباتهم عن الإسلام تختلف عن كتابات الغربيين الآخرين مثلاً المستشرقين الذين اصطبغت كتاباتهم عموماً بالانحياز أو العداء للإسلام. بينما توصف كتابات المفكرين الغربيين المسلمين بأنها كتابات «من الداخل الإسلامي» أي أنهم غربيون ومسلمون، بينما كتابات غيرهم تعتبر أنها تمثل كتابات «من خارج الإسلام». وعلى ذلك يمكن اعتبار كتابات المفكرين الغربيين المسلمين بأنها أدب إسلامي مكتوب خارج العالم الإسلامي.

الإسلام الأوربي

المقصود بالإسلام الأوربي ليس تصنيفاً جغرافياً أو سياسياً، بل يقصد به فهم أوربي معين للإسلام. هذا الفهم يستند إلى مجموعة من الحقائق والوقائع نوجزها:

١ - انتشر الإسلام بين مختلف الشعوب والأمم، سواء التي فتحتها الجيوش الإسلامية كالعراق وإيران وبلاد ما وراء النهر والهند وشمال الأفريقيا، أو التي دخلت الإسلام عبر الدعاة والفرق الصوفية كالفلبين وأندونيسيا وماليزيا وجنوب الصحراء الأفريقية وغرب أفريقيا. وفي العقود الأخيرة، أخذ الإسلام ينتشر في القارة الأوربية وأمريكا حيث يقبل الغربيون على اعتناقه لأسباب شخصية وفكرية وعقائدية واجتماعية وحتى سياسية.

٢-عندما دخل الإسلام إلى تلك الأمم تفاعل مع عاداتها وأعرافها وتقاليدها التي كانت عليها قبل دخولها في الإسلام. ومن طبيعة الإسلام أنه لا ينكر على الشعوب ثقافاتها وعاداتها ما لم تكن تخالف صراحة التعاليم والمفاهيم والأحكام الإسلامية. وتطور الإسلام في كل بلد بسبب التباين في التراث الشعبي والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية. لذلك صار بعض الباحثين يميّز بين فهم معين للإسلام في بلد وفهم آخر له في بلد آخر. هذا الفهم يختلف حسب البيئة الثقافة والاجتماعية التي يحدث فيها، وحسب النضج الفكري والتطور الحضاري وطبيعة النظام الاجتماعي في كل بلد مسلم. وبكلمة أخرى الإسلام هو نفسه لكن فهم الإسلام يختلف من بيئة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر. إن العامل الرئيسي المؤثر في اختلاف فهم الإسلام يعود إلى ثقافة كل بلد والتي تفاعلت مع الإسلام وصبغته بصبغتها المحلية. لذلك يجد الباحث أن الفهم الإيراني للإسلام يختلف عن الفهم المغربي للإسلام، أو ما يعبّر عنه بالإسلام الإيراني والإسلام المغربي، والإسلام السعودي والإسلام الأندونيسي والإسلام التركي. فكلما كان التفاوت الثقافي كبيراً صار من السهل تمييز نمط إسلامي أو فهم إسلامي. وأما الانتماء الجغرافي فيختزن مضموناً توصيفياً للبيئة الثقافية التي نما وتطور فيها الإسلام، وليس تقسيماً جغرافياً أو سياسياً على أساس الحدود السياسية لكل بلد من هذه البلدان.

٣- وكما تفاعل الإسلام مع ثقافات وحضارات الشعوب الأخرى وأنتج لنا حضارات إسلامية متنوعة ومزدهرة، وفي الوقت نفسه متباينة. فالحضارة المغولية الإسلامية في الهند تختلف سماتها عن الحضارة الإسلامية في تركيا العثمانية، والحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تختلف عن الحضارة الإسلامية في نيجيريا وتمبكتو وزنجبار. وكذلك يتوقع أن يتفاعل الإسلام مع الحضارة الأوربية لينتج لنا إسلاماً أوربياً، أي إسلام مصطبغ بصبغة أوربية بسبب تأثر المسلمين بالثقافة الأوربية التي يعيشون فيها ويكتسبون مفاهيمها. وقد يبدو هذا الكلام غريباً في الوقت الحالي، لكننا بدأنا نلاحظ تطور الإسلام في البيئة الأوربية، سواء بين المهاجرين المقيمين في أوربا، أو بين الأوربيين الذين يعتنقون الإسلام. إن ملامح الإسلام الأوربي تبدو من خلال أنماط الثقافة المركبة بين المفاهيم الدينية الإسلامية وبين المفاهيم الغربية. وتتجسد في كثير من صور السلوك اليومي والملابس والعادات، إلى المواقف الفكرية والثقافية والسياسية، إلى الانفتاح على الثقافة الغربية والمجتمع الأوربي وكل ما يزخر به من مفاهيم وسلوكيات وأساليب في التفكير وتحليل الأمور، ومن قيم وأعراف أوربية. فهناك اتصال يومي مستمر بين الإسلام الذي يحمله هؤلاء المسلمين وبين مفردات الثقافة الغربية في المدرسة والجامعة والنادي والعمل والحي، وقد نتفق أو نختلف مع هذا

التفاعل أو التطور، ولكنه يحدث ويترسخ يوماً بعد آخر. فربما يذوب الإسلام في الثقافة الأوربية، ويتحول إلى مجرد اعتقاد شخصي لا شأن له بالمجتمع أو السياسة. وربما يتطور لينتج لنا إسلاماً ذا ملامح أوربية في التأكيد على الحريات الشخصية والأنظمة السياسية الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الأقليات وغيرها من معالم الأنظمة السياسية الأوربية المعاصرة.

٤- وكما يوجد تقسيم للإسلام على أساس قارّي أي إسلام آسيوي وإسلام أفريقي[١]، يمكن استخدام تسمية إسلام أوربي وإسلام أمريكي[٢]. كما يمكن توصيف الإسلام حسب تفاعله مع ثقافة أمة بعينها أو وطن معين، فنستطيع القول أن هناك إسلام بريطاني، إسلام فرنسي، إسلام هولندي، إسلام إيطالي، إسلام بلجيكي. هذه التسميات لا يقصد بها كما يظن كثير من المسلمين أنها تقسيمات يراد بها صناعة إسلام وفق المقاييس والمعايير الأوربية أي تقديم إسلام لا يحمل سوى الإسم، وخال من المضمون الإسلامي، أو كما يرى بعض المفكرين الغربيين المسلمين مثل مراد هوفمان أن «الإسلام الأوربي يتضمن الكثير من الأوربي والقليل من الإسلام». إن المقصود بهذا المصطلح هو كيفية وشكل ومدى تفاعل الإسلام والمسلمين في كل بيئة أوربية أو بلد أوربي، وطبيعة تفهم وانسجام وردود أفعال ذلك المجتمع الأوربي الذي يحتضن مهاجرين مسلمين ويضم مواطنين مسلمين بالنسبة للإسلام. فالحكومات والشعوب الأوربية تختلف في مشاعرها ومواقفها وقوانينها ودرجة تسامحها مع الإسلام والمسلمين. فبلجيكا والنمسا وإسبانيا تعترف رسمياً بالدين الإسلامي، مما يعني تمتع المسلمين بالعديد من الامتيازات والحقوق. أما سويسرة والسويد مثلاً فما زالت ترفض منح المسلمين حق ذبح الحيوانات حسب الطريقة الإسلامية، وفرنسا تسعى لمنع ارتداء الحجاب الإسلامي في المدارس الفرنسية. هذا الاختلاف في الاستجابة لمتطلبات المسلمين في البلدان الأوربية، يؤدي بالتالي إلى تسهيل أو عرقلة حياة المسلمين في ذلك البلد، وإلى إعاقة أو تعجيل عملية إندملج المسلمين في المجتمعات الغربية. لذلك سيتطور الإسلام في بلد أوربي معين بشكل يختلف عن تطوره في بلد أوربي آخر. ومن هنا يجري توصيف الإسلام حسب كل بلد أوربي وحسب القوانين وموقف ذلك الشعب الأوربي من الإسلام.

---

١ - يراجع كتاب (الإسلام الأفريقي والإسلام في أفريقيا) لمؤلفيه ديفيد ويسترلاند وإيفا روزاندر and Islam in Africa African Islam حيث يميزان الإسلام الأفريقي بأنه إسلام طرق صوفية.

٢ - يستخدم مصطلح الإسلام الأمريكي في أجواء المناكفة السياسية بين القوى والأحزاب السياسية والحكومات العربية والإسلامية، وخاصة من قبل الإيرانيين حيث كانوا يصفون إسلام غيرهم بأنه إسلام أمريكي. وهو نقيض للإسلام الأصيل أو المحمدي الذين يدعون أنهم يتبعونه. ويراد بالإسلام الأمريكي إسلام ذو شكل ووجه إسلامي من الخارج، ولكنه أمريكي من الداخل، مدعوم من قبل الولايات المتحدة لتبرير هيمنتها ونفوذها في العالم الإسلامي، وأن عملاء أمريكا هم الذين يروجون له. وهذه الدراسة بعيدة عن هذا المعنى كلياً، ولا علاقة لها به إطلاقاً.

هذه الدراسة

هذا الكتاب هو الجزء الأول من دراسة موسعة استمرت خمس سنوات لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة ليدن بهولندا. وتركز الأطروحة على مساهمات المفكرين الغربيين المسلمين في تشكيل الإسلام الأوربي. وهي أول دراسة أكاديمية لهذه الجماعة الغربية المسلمة المثقفة، حيث تتناول دورهم ونشاطاتهم وكتاباتهم التي تلعب دوراً في بلورة الإسلام في أوربا ومستقبله وتأثره بالبيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية الأوربية.

ينقسم الكتاب إلى بابين، الباب الأول يضم ستة فصول تتناول مفهوم التحول الديني لدى علم الاجتماع وعلم سيكولوجيا الديانة، ثم النظريات المختلفة التي قدمها علماء النفس والتحليل النفسي والاجتماع والأنثروبولوجيا لتفسير ظاهرة التحول الديني. كما تسلط الضوء على ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب وأسبابها والدوافع التي تقود المفكرين الغربيين لاعتناق الإسلام دون غيره. كما حرصت على تقديم تطبيقات لهذه النظريات من خلال اختيار بعض الشخصيات الغربية التي اعتنقت الإسلام وربطها بالدوافع النفسية والاجتماعية والفكرية والعقائدية عندهم.

أما الباب الثاني فيضم الحوارات واللقاءات التي أجريتها مع هؤلاء المفكرين الغربيين المسلمين، حيث ناقشت معهم مختلف القضايا الفكرية والإسلامية والدوافع التي أدت بها إلى إشهار إسلامهم. الجدير بالذكر أن هذه الشخصيات الإسلامية لها حضور في المشهد الإسلامي وخاصة في الغرب. كما قامت العديد من الصحف والمجلات بإجراء مقابلات معهم، لكنني حرصت على نشر ما دار بيني وبينهم من حوارات، ومناقشة العديد من الأمور، بعضها مرتبط بموضوع الدراسة، وبعضها عام يهم كل قارئ مسلم، وأحياناً غير المسلم. وقد تركت للشخصية حريتها في التحدث وإبداء آرائها ومواقفها، وحافظت على طبيعة الحوار كما هو آملاً في أن يستفيد منه القارئ، سواء المثقف الذي يهمه التعرف على وجهة نظر الاخر بالقضايا الإسلامية، أو الباحث الذي ربما يجد في هذه الحوارات مصدراً غنياً يفيده في بحث أو دراسة حول المسلمين الغربيين أو الإسلام في الغرب. وفي كلتا الحالتين كنت قد قدمت خدمة له ومساهمة في إغناء الفكر الإسلامي ونشر الوعي الإسلامي. إن المسلم ليعتز أكثر بدينه وعقيدته عندما يرى أمثال هؤلاء المفكرين يتركون ديانتهم المسيحية ويتمسكون بالإسلام دين العقل والحرية والسلام.

صلاح عبد الرزاق

ليدن- هولندا - ٢٠٠٣

الباب الأول

الفصل الأول

لمحة تاريخية عن اعتناق المثقفين الثوريين للسلام

الفصل الأول

لمحة تاريخية عن اعتناق المثقفين الأوربيين الاسلام

أصبح اعتناق الاسلام ظاهرة جديدة في المجتمعات الأوربية. ففي القرنين الماضيين اعتنق الكثير من المثقفين الأوربيين الاسلام ولأسباب مختلفة، بعضها سياسية، أخرى علمية استكشافية، وثالثة عقائدية ودينية، ورابعة من أجل الزواج بمسلمة، الخ. وغالبية هؤلاء المعتنقين كانوا على اتصال مباشر بالمجتمعات الاسلامية ولديهم اطلاع جيد على التعاليم الاسلامية. وتضم هذه الفئة السياسيين والقادة العسكريين والمستشرقين والفنانين والدبلوماسيين الغربيين.

ففي فرنسا تم تسجيل أول حالة اعتناق للإسلام في عام ١٧٩٨ عندما غزا نابليون بونابرت مصر، فقد أعلن أنه مسلم في قلبه وأنه سيعتنق الاسلام، ولبس العمامة والقفطان في أحد الأيام، وصلى مع المصلين. ومضى نابليون قدماً في سياسة التظاهر بالاسلام، فتارة يقول للمصريين أن النبي (ص) قد ظهر له في المنام ووعده بأنه سيخضع له آسيا. كما أقام نابليون الحفلات والولائم بمناسبة عيد المولد النبوي. وأخذ يتقرب إلى مشايخ الأزهر الذين كانوا يشكون في نواياه، فكان يجتمع بهم ويحدثهم عن رؤيته للنبي (ص)، وأنه قد خصه بعنايته ومكنه من هزيمة المماليك. وأعلن أنه ينوي اعتناق الاسلام لكن ما يمنعه شيئان هما الختان وتحريم شرب الخمر، فقالوا له: إن الختان مستحب وليس بواجب، أما الخمرة فهي اثم،ولكنها لا تجعل شاربها خارجاً عن الاسلام، إذ قد يشربها الانسان ويبقى مسلماً[١]. وهذا يشير إلى أنه في الوقت الذي أعجب نابليون بالتعاليم الاسلامية وبالأحكام التي تنظم المجتمع، لكنه لم يكن راغباً بممارسة الشعائر والالتزام بالقواعد الأخلاقية في السلوك والعمل،

وقد قيل الكثير حول دوافع نابليون الحقيقية، فالبعض يرى أنها سياسة انتهازية لتقليل رفض المسلمين للاحتلال الفرنسي الغربي المسيحي. بينما يرى آخرون أنه لم يكن بحاجة إلى استرضاء المصريين وهو الذي فتح أوربا. كما انه بنى مسجداً كبيراً وسمح لجنوده وضباطه باعتناق الاسلام.[٢] ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن نابليون قد آمن بالاسلام حقاً واعتبره أفضل نظام في العالم، وأنه نقل الكثير من المفاهيم الاسلامية أوربا واستخدمها لصالح امبراطوريته، وأنه أسس نظاماً معتمداً على المبادئ القرآنية التي اعتقد أنها الوحيدة التي تحقق السعادة للإنسان.[٣]

١ - علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث / ج ٢ / ص ٢٧٩-٢٨٠

٢ - أبو أحمد جل الوحيد، نابليون المسلم، مترجم عن الانكليزية، بيروت: ١٩٥٤، نقلاً عن علي الوردي، مصدر سابق

٣ - Christian Cherfils (1999), *Napoleon and Islam- from French and Arab documents*, Ossian Publisher, London

وبينما كان نابليون يعلن أنه مسلم في قلبه ويباطل في اشهار اسلامه، كان هناك قائد فرنسي آخر اعتنق الاسلام هو جاك مينو Jacque Minou والذي سمّى نفسه عبدالله مينو. لكنه على العكس من قائده نابليون، كان يقيم الصلاة ويحضر صلاة الجمعة. وتزوج بفتاة مصرية من مدينة رشيد، ورزق منها بولد سماه سليمان مراد. ورغم الجهود الكبيرة التي بذلها مينو لاقناع المصريين بصحة اسلامه واخلاصه لكنهم بقوا ينظرون إليه كنظرتهم إلى نابليون، واعتبروه دجالاً. وعندما عاد نابليون إلى فرنسا عيّن الجنرال كليبر حاكماً لمصر. والذي تعرض للإغتيال من قبل شاب سوري يدعى سليمان الحلبي، فصار عبدالله مينو قائداً عاماً مكانه. وفي عام ١٨٠١ اضطرت القوات الفرنسية للانسحاب من مصر، فعاد مينو معها، ثم مات ودفن في باريس.

من الفرنسيين الأوائل الذين اعتنقوا الاسلام هو البروفسور هارون مصطفى ليون Haroon Mustapha Leon الذي دخل الاسلام عام ١٨٨٢، وهاجر إلى بريطانيا. وكان عضو شرف في العديد من الجمعيات العلمية في أوربا وأمريكا، مثل الجمعية الدولية لفقه اللغة. كما كان رئيساً لتحرير مجلة The Philomathe العلمية المختصة باللغة والتي تصدر في لندن. وقد تقلد ليون عدة أوسمة من السلطان العثماني عبد الحميد وشاه إيران وامبراطور النمسا على جهوده الإسلامية. وكان يلقي محاضرات في مسجد ليفربول، ورافق المسلم البريطاني عبدالله كويليام لفترة طويلة. وعندما التقى اللورد هيدلي صار صديقه المقرّب. وتعاونا معاً على تطوير جمعية بعثة وكنغ Woking Mission لتصبح جمعية كبيرة هي الجمعية الاسلامية البريطانية British Muslim Society.[١]

وفي هولندا تظاهر المستشرق الشهير سنوك هيرخرونيه Snouck Hurgronje (١٨٥٧-١٩٣٦) باعتناق الاسم، فقام برحلة إلى مكة عام ١٨٨٥، وأعلن هناك أن اسمه عبد الغفار. ومكث ستة أشهر كتب فيها أطروحته (الحج إلى مكة) حيث وصف فيها تفاصيل شعائر الحج والأحوال الاجتماعية والثقافية في الحجاز وكذلك جغرافية مكة. كما كتب العديد من الدراسات حول الاسلام والعرب.[٢] وقدم هيرخرونيه خدمات كبيرة لحكومة هولندا الاستعمارية، فقد صار مستشاراً في الهند الهولندية، التي صارت تعرف بأندونيسيا، لمدة ستة عشر عاماً. وكان يقدم نصائحه للإدارة الهولندية حول كيفية التعامل مع المسلمين، ووضع قوانين ومقررات. ثم عاد هيرخرونيه إلى هولندا حيث عُيّن أستاذا للعربية في جامعة ليدن بين عامي ١٩٠٧ - ١٩٢٧،[٣]

---

١ - Ali Kose (1996), *Conversion to Islam*, p. 15

٢ - نشر هيرخرونيه دراسات عديدة مثل: ١-العيد المكي (ليدن ١٨٨٠) ٢-معنى الاسلام عند أتباعه في الهند الشرقية (ليدن ١٨٨٣) ٣-مؤتمر المستشرقين في ليدن (ليدن ١٨٨٣) ٤-مكة (مجلدان) (لاهاي ١٨٨٨-١٨٨٩) ٥-هولندا والاسلام (ليدن ١٩١٥) ٦- محمد (١٨٩٣) ٧- القانون الاسلامي (١٨٩٨) ٨-الجزيرة العربية والهند (١٩٠٨) ٩-إبراهيم في القرآن (١٩١٢) ١٠-انتشار الاسلام (١٩١٢) ١١-الاسلام والعنصرية (١٩٢٢) ١٢-السياسة الدينية لمحمد (١٩١٥) ١٣-الاستشراق في هولندا (١٩١٣).

٣ - Van Koningsveld (1987), *Hurgronje en de Islam*. And Van Koningsveld (1993), *Sprekend over de islam en de moderne tijd*, p. 27.

وفي السويد اعتنق الفنان ورائد الحداثة في الفن السويدي إيفان أغولي Ivan Agueli (١٨٦٩-١٩١٧) الاسلام في السجن. ففي عام ١٨٩٤ سافر إلى باريس، وتعرض للاعتقال لعلاقته بمؤامرة الفوضويين. بعد اطلاق سراحه غادر فرنسا ليزور مصر لأول مرة. ثم عاد إلى باريس لإكمال دراساته الدينية. ولم يهتدي إلى الاسلام إلا بعد بضع سنوات أي في عام ١٨٩٨. وفي بداية عام ١٨٩٩ قام بزيارة الهند للتعرف "على علاقة غير العرب بالاسلام". في عام ١٩٠١ التقى بطبيب ايطالي إينريكو إنساباتو Enrico Insabato الذي كان يشارك أيفان اهتمامه بالجزء الاسلامي من العالم. قرر الاثنان الاستقرار في مصر من أجل التقريب بين الأفضل عند الغرب والشرق. في عام ١٩٠٤ أصدرا العدد الأول من الجريدة الأسبوعية النادي Il Convito، وهي صحيفة كانت تطبع بلغتين، أي بعمودين في نفس الصفحة، أحدهما بالعربية والآخر بالايطالية. وكان إيفان يقوم بالجانب الأكبر من تحرير الجريدة. كما كان يكتب مقالات كثيرة بالعربية وبالايطالية مستخدماً أسماء مستعارة مثل (عبد الهادي المغربي)، وهو الاسم الذي تسمى به بعد اعتناقه الاسلام، كما استخدم اسم (دانتي). إضافة إلى المواضيع الدينية التي كانت تتناولها الصحيفة، كانت تبدي اهتماماً بالقضايا السياسية اليومية والتي لها علاقة بالدور الايطالي في العالم العربي. فقد تضمنت الصحيفة انتقادات للحكم البريطاني في مصر.[1]

وفي بريطانيا حيث سجلت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حالات اعتناق كثيرة. كما تم تأسيس منظمتين اسلاميتين كان لهما دور كبير في هداية كثير من الرجال والنساء الانكليز. لقد كان للاتصالات المستمرة بين المسلمين سواء القادمين لبريطانيا للدراسة أو التجارة، أو الذين قدموا للعمل والاستقرار كاليمنيين والصوماليين الأوائل، قد لعبت دوراً هاماً في اعتناق الاسلام بين الانكليز.[2]

يعود الوجود الاسلامي في بريطانيا إلى ثلاثة قرون، مترافقاً مع نشاط شركة الهند الشرقية East Indian Company. ففي خضم أعمالها، سافر الكثير من الموظفين البريطانيين إلى البلدان الاسلامية الخاضعة للاستعمار البريطاني كالهند ومصر واليمن و بلدان الشرق الأوسط الأخرى. ويلاحظ أن حركة اعتناق الاسلام كان يقودها أعضاء من الطبقتين الوسطى والراقية من طبقات المجتمع الانكليزي، فأول انكليزي اعتنق الاسلام في تلك الفترة هو اللورد ستانلي Lord Stanly of Alderley، وهو خال الفيلسوف الشهير برتراند رسل Bertrand Russell،[3]

أما الشخصية الانكليزية الثانية التي اعتنقت الاسلام فهو وليم هنري كويليم William

1 - Tomas Gerholm (1988), Three European Intellectuals as Converts to Islam, In *The New Islamic Presence in Western Europe*, p. 265-266

2 - Jorgen Nielsen (1992), *Muslims in Western Europe*, p. 4

3 - Ali Kose (1996), *Conversion to Islam*, p. 12.

Henry Quilliam الذي ولد عام ١٨٥٦. وكان محامياً معروفاً وخطيباً مشهوراً. في عام ١٨٨٧ زار المغرب والجزائر حيث تعرف على التعاليم الاسلامية، واعتنق الاسلام وسنه ٣١ عاماً، وتسمى باسم الشيخ عبد الله كويليم. ونظراً لخدماته وكفاءته قام السلطان العثماني بتعيينه شيخ الاسلام في المملكة المتحدة. كما عينة شاه إيران قنصلاً لإيران في مدينة ليفربول.[1] واعترف به سلطان المغرب عالماً بالدين الاسلامي. وبجهوده دخل ١٥٠ شخصاً إلى الاسلام. وكان كاتباً نشطاً، وينشر مقالات كثيرة. ومنذ عام ١٨٩٣ وحتى عام ١٩٠٨ أصدر صحيفة أسبوعية اسمها الهلال The Crescent، ومجلة شهرية المراجعة الاسلامية The Islamic Review التي كانت توزع في أكثر من عشرين بلداً في العالم.[2]

أسس كويليم قاعة للصلاة والاجتماعات في شارع مونت فيرنون Mount Vernon Street. وكان يلقي خطبتا صلاة الجمعة بالانكليزية والعربية. وبهدف جذب الانكليز للإسلام، أقام كويليم برنامجاً خاصاً يوم الأحد للراغبين بالاسلام. وكان البرنامج يتضمن محاضرات وأدعية وصلوات في الصباح والمساء بشكل يشابه القداس المسيحي. والهدف من ذلك هو رغبته في توفير أجواء ليست غريبة عما اعتادوا عليه في المناسبات الكنسية. كما أسس مختلف المنظمات الاجتماعية والدينية والأدبية. وأسس "بيت المدينة" The Madina Home لرعاية الأطفال اللقطاء في ليفربول، حيث كان يبحث لهم عن عوائل تؤويهم وتربّيهم. كما أنشأ مسجد ليفربول Liverpool Mosque والمعهد الاسلامي Muslim Institute حيث كانت تقام فيها الصلوات والدروس المسائية، إضافة إلى احتوائها على مكتبة ومطبعة ودار للضيافة. تأسست في المعهد كلية إسلامية Muslim College حيث كان يتلقى فيها المسلمون و غير المسلمين دروساً في الفن والقانون والعلم. وجذبت المجالس الأسبوعية التي أقامتها "جمعية الأدب والنقاش" الكثير من غير المسلمين إليها.

وبدأت نشاطات كويليم تتعرض للضغوط والعرقلة من قبل بعض السكان المحليين، إضافة إلى بعض الكنائس التي صارت تتبرم من نشاطه وانجذاب الناس إليه، وتندد به علناً. وفي الوقت الذي كان هو نفسه مشغولاً بنشاطات الدعوة للإسلام في بريطانيا، كان ينتقد التبشير المسيحي. وقد كتب رسائل إلى الكنيسة ينتقد فيها نشاطاتها التبشيرية في العالم الاسلامي.[3] وتصاعد التوتر بين كويليم والسكان المسيحيين عندما أصرّ على إقامة الأذان الى الصلاة. وأخذت ترافق نداء المؤذن كرات الثلج والأحجار والأقذار التي ترمى على المسجد. كما أخذ بعضهم يرمي زجاجات

1 - Jorgen Nielsen (1992), *Muslims in Western Europe*, p. 5

2 - Philip Lewis (1994), *Islamic Britain: Religion, Politics and Identity Among British Muslims*, p. 11

3 - Ali Kose (1996), *Conversion to Islam*, p. 14

حارقة على نوافذ المسجد، وترمى قطع الزجاج على سجاد المسجد كي يتأذى المصلون عند المشي أو السجود عليها. وعانى هو وجماعته من الاهانات لأن الانكليز كانوا يعتقدون أن اعتناق الاسلام يتضمن رفضاً للملكة والدولة.

لم تكن الحكومة البريطانية مرتاحة لنشاطات كويليم السياسية لأنه كان يعارض الحملات البريطانية على المهدي السوداني وقواته. وفي عام ١٨٩٦ أصدركويليم بياناً موجّهاً للجنود المصريين العاملين في الجيش البريطاني يطلب فيه منهم الامتناع عن قتال المسلمين في السودان. بالاضافة إلى ذلك، كان يعلن كويليم عن ولائه للخليفة العثماني مع أنه مواطن بريطاني. وفي عام ١٩٠٨ غادر كويليم ليفربول، وتعرّض المسجد والمعهد للإهمال، ثم أغلق. وتوجه كويليم مع ولده بلال إلى تركيا، وفي ١٠/ ١٠/ ١٩٩٧ قامت باتريشيا غوردون حفيدة الشيخ عبدالله كويليم بازاحة الستار عن لوحة تكريم لأقدم مسجد تم تأسيسه في بريطانيا.

ترافق اعتناق كويليم ونشاطاته في ليفربول مع حركة مشابهة في لندن التي استقر فيها مستشرق هنغاري مسلم هو الدكتور ليتنر Leitner (١٨٦٠-١٨٩٩) بعد تقاعده من العمل في جامعة البنجاب. في عام ١٨٨٩ أسس الدكتور ليتنر "بعثة وكنغ" Woking Mission في مسجد وكنغ الذي يعد أول مسجد تأسس في لندن وضواحيها، والذي شيده حاكم بوبال الهندية.[1] كان المسجد يضم مركزاً اسلامياً ومكتبة وقسم داخلي للطلاب الهنود. وبلغ المسجد في وسائل التدريس ذروته عندما تأسست جامعة إسلامية فيه. وصار المسجد مركزاً للدعوة الاسلامية ومكاناً لاشهار شهادة المعتنقين الجدد للإسلام.

وعندما توفي الدكتور ليتنر عام ١٨٩٩، لم يحتفظ من خلفوه بنفس الحماسة في العمل، وتحوّل إلى وارثيه. وفي عام ١٩١٣، بعد فترة من الاهمال، عاد للمسجد نشاطه من قبل محام لاهوري هو الخواجة كمال الدين. وحققت «بعثة وكنغ» أول نجاحها عندما أشهر لورد انكليزي هو اللورد هيدلي Lord Headley إسلامه في ١٦/ ١١/ ١٩١٣. وقد حمل اسماً إسلامياً هو الشيخ رحمة الله الفاروق، وهو من الأسماء الاسلامية الشائعة في القارة الهندية. ولد اللورد هيدلي عام ١٨٥٥، وكان محامياً معروفاً ورجل دولة ومؤلف. أنهى دراسته في جامعة كمبرج، وصار واحداً من النبلاء عام ١٨٧٧، وخدم في البحرية البريطانية. وكان في وقت من الأوقات رئيس تحرير مجلة ساليسبوري Salisbury Journal.

سعى اللورد هيدلي من أجل تكييف الاسلام لينسجم مع البيئة الأوربية. فقد كان يقول، على سبيل المثال، «من المفرط جداً التوقع من رجل مديني مشغول أن يصلي خمس مرات في اليوم

1 - Ali Kose (1996), *Conversion to Islam*, p. 14, Jorgen Nielsen (1992), *Muslims in Western Europe*, p. 5 and Philip Lewis (1994), *Islamic Britain: Religion, Politics and Identity Among British Muslims*, p. 12.

في أوقاتها. إذ يمكن أن يكون مقبولاً منه أن يؤدي صلاته بصمت أثناء عمله». ويرى هيدلي أن «هناك أشياء كثيرة في هذا العالم مرغوبة ولكنها ليست جوهرية». وكان يعتبر «أداء الصلاة في وقتها عملاً صغيراً يمكن اهماله. وإن الاصرار على التقيد الصارم بالأمور الصغيرة سيضع المسلمين أمام الاتهامات التي يتهمون بها المسيحيين الذين يعتبرون بعض الشعائر والعقائد أساسية». [1] وكان اللورد هيدلي محتاطاً جداً في عدم التورط بالقضايا السياسية كما كان كويليم. فعندما نشبت الحرب العالمية الأولى أصدر بياناً عاماً يطلب فيه من المسلمين عدم التورط في السياسة طالما أن بريطانيا في حرب مع الدولة العثمانية، آنذاك. لكن اللورد هيدلي انغمس في الجدل الديني ضد المسيحية، حيث كان ينتقد العقائد المسيحية كالتثليث وألوهية المسيح. وكان ينشر مقالاته وانتقاداته في مجلة المراجعة الاسلامية The Islamic Review الشهرية. وكانت تتضمن أيضاً مواضيع دينية ودعوة للإسلام، وغالباً ما يقوم بمقارنتها مع المسيحية. وكانت غالبية المقالات في المجلة يكتبها مسلمون انكليز. ففي عام ١٩٢٤ كان في بريطانيا حوالي ألف مسلم انكليزي. [2]

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، بدأ اللورد هيدلي وزملائه في «بعثة وكنغ الاسلامية» يناقشون فكرة تأسيس مسجد مركزي في لندن. وقد تحقق ذلك الحلم بعد افتتاح مسجد باريس عام ١٩٢٦. وقد استطاع اللورد هيدلي من اقناع حاكم حيدرآباد بالمشروع حتى تم تأسيس جمعية مسجد نظام في لندن London Nizam Mosque Trust عام ١٩٢٨. [3] وبقي المشروع مهملاً حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عندما أبدى السفير السعودي وسفراء مسلمون آخرون الاهتمام به. وبعد بضعة عقود من التأخير، تم في النهاية افتتاح المسجد عام ١٩٧٧ في ريجنت بارك Regent's Park والذي يسمى حالياً بمسجد لندن المركزي أو المركز الثقافي الإسلامي.

أدى اعتناق اللورد هيدلي الاسلام إلى دخول جماعة من الانكليز الاسلام أمثال جون يحيى باركنسون John Yehya Parkinson وخالد شيلدريك Khalid Sheldrake والدكتور ن. جي. وايمنت N.J. Wyment ونورالدين ستيفان Noor al-Din Stephenوأس. موسغريف S. Musgrave والبروفسور هارون مصطفى ليون. في عام ١٩١٤ قام هيدلي وليون بتأسيس الجمعية الاسلامية البريطانية British Muslim Societyبرئاسة هيدلي من أجل نشر الاسلام في بريطانيا. وقد انضم للجمعية مجموعة من الأعضاء من الطبقة المتوسطة والطبقة الأرستقراطية الانكليزية. في عام ١٩٢٣ دخل السير أرشيبالد هاملتون الاسلام وتسمى بعبدالله. كان هاميلتون

1 - Ali Kose (1996), *Conversion to Islam*, p. 16

2 - Ali Kose (1996), *Conversion to Islam*, p. 17

3 - Jorgen Nielsen (1992), *Muslims in Western Europe*, p. 6

رجل دولة وهو البارون الخامس في أسرة نبيلة، وضابطاً في فيلق الدفاع الملكي ورئيساً لجمعية سيلسي المحافظة Selsy Conservative Association،

وتعاونت الجمعية مع منظمات إسلامية أخرى مثل جمعية الأدب الاسلامي Islamic Lietrature Society التي نمت وتطورت برئاسة عبدالله يوسف علي، المترجم الشهير للقرآن إلى اللغة الانكليزية. وكان المترجم مرمدوك بيكثال واحداً من الذين انضموا لهذه الجمعية.

كان محمد مرمدوك بيكثال Muhammad Marmaduke Pickthallإبناً لرجل دين مسيحي. وقد فشل في دخول الهندسة الملكية عام ١٨٩٢ وكذلك في دخول "الخدمة القنصلية الشرقية" عام ١٨٩٤. وفي نفس العام شاءت الصدف أن توفر له فرصة الذهاب إلى الشرق الأدنى بهدف الاطلاع على اللغات الشرقية، عندما تم قبوله في وزارة الخارجية. خلال الفترة بين عامي ١٨٩٥ و١٩١٣ قام بيكثال بثلاث رحلات إلى الشرق حيث زار مصر وتركيا. وقد ساهمت تلك التجارب الهامة في صقل تعاطفه المتنامي مع المسلم العادي. وانتقد مواقف الغطرسة للجماعات الأوربية المغتربة تجاه المجتمعات والثقافات الاسلامية. وقد انعكست آراؤه في مقالاته التي كان ينشرها في مجلة اجتماعية راديكالية تعنى بالشؤون الخارجية هي العصر الجديد ،The New Age ولم يكن قادراً على اخفاء تعاطفه مع المسلمين والأتراك. وعندما اندلعت الحرب بين الامبراطوريتين البريطانية والعثمانية، كانت كتاباته الصحفية في رد آراء بريطانيا وتأييده لتركيا قد أدت به إلى أزمة روحية. وقد قاده ذلك إلى الإبتعاد عن عقيدته الانكليكانية Anglicanism عام ١٩١٥. ولم يعلن عن اعتناقه عقيدة جديدة أي الاسلام إلا في عام ١٩١٧. فبعد أن انتهى من القاء محاضرة بعنوان "الاسلام والتقدم" في جمعية الأدب الاسلامي في لندن، أعلن بيكثال الشهادتين أمام الجمهور. وكان يبلغ من العمر آنذاك ٤٢ عاماً. لقد وجد بيكثال الاتجاه والهدف، وسرعان ما حاز على موقع القيادة في الجماعة المسلمة في بريطانيا. في عام ١٩١٩ صار إماماً لمسجد لندن، وصارت خطبه تطبع وتنشر في لسان حال الاسلام البريطاني وهي المراجعة الاسلامية The Islamic Review.[1]

خلال علاقاته واتصالاته بالمسلمين الهنود في لندن، تحول الاهتمام السياسي لبيكثال من تركيا إلى الهند التي كانت تحت الاستعمار البريطاني. في عام ١٩٢٠ سافر إلى الهند ليرأس تحرير مجلة «تاريخ بومباي» The Bombay Chronicle التي تؤيد تقدم الهند. وقضى سنوات عمره الأخيرة في الهند، و صار أقل اهتماماً بالسياسة، حيث بات يركز على القضايا الدينية في كتاباته ومحاضراته. وقام بتطوير فكرة تعترف بالخلافة من زاوية روحية، بعد الغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤.

1 - The website of The Bangor Islamic Society: see M.M. Pickthall

في عام ١٩٢٥ عمل بيكثال في حاكمية حيدر آباد حيث أسندت إليه وظيفة تحرير مجلة أكاديمية هي الثقافة الاسلامية Islamic Culture. وخلال الأعوام ١٩٢٨-١٩٣٠ تم تكليفه بترجمة القرآن الكريم. وهي المهمة التي تكللت بصدور ترجمته الشهيرة معاني القرآن المجيد The Meaning of the Glorious Qur'an التي تعتبر من أشهر الترجمات الإنكليزية والمتداولة حتى اليوم. يصف بيكثال انجازه فيقول "هذه أول ترجمة للقرآن يقوم بها مسلم انكليزي". وكتب مقدمة تتضمن سيرة مختصرة للنبي محمد (ص). كما كتب نبذة تاريخية عن كل سورة، موضحاً أهم القضايا التي تتناولها والسياق التاريخي لها. وأثناء ترجمته لمعاني الآيات، اعتمد بيكثال على أعمال كبار المؤرخين المسلمين أمثال ابن هشام وابن خلدون وأبو الفدا والواقدي، والمفسرين أمثال البيضاوي والزمخشري والسيوطي وصحيح البخاري. كما استعان بآراء بعض المستشرقين الغربيين أمثال نولدكه. ووضع حاشية أسفل السورة لمزيد من الشرح والتوضيح. وتضمنت بعض الهوامش إشارات إلى أحداث تاريخية وتفاصيل تتعلق ببعض المصطلحات أو أسماء الشخصيات والمناطق الجغرافية والمدن.

في كتاباته الأخرى تناول بيكثال مواضيع أخرى. ففي القضايا الاسلامية أكد على عالمية الاسلام ونقاء المسلم من خلال الشريعة الاسلامية التي تتوافق مع قوانين الطبيعة. وفهم الجهاد بأنه كفاح ضد الشر في كل بيئة وبكل وسيلة ممكنة. وكان يرد على أفكار وآراء الأوربيين التي تتعلق ببعض القضايا مثل القدرية والتسامح الديني والرق وحقوق المرأة، حيث كان ينقدها بأسلوب بعيد عن الجدل والخصومة. فعلى سبيل المثال كان يقول: لو كان التسامح فضيلة لدى أوربا العلمانية فهو واجب ديني عند المسلمين.

وكان بيكثال كاتباً حيث نشر خمسة عشر رواية وقصة قصيرة أغلبها حول الشرق الأدنى. وكانت آخر روايتين كتبهما بعد اعتناقه الاسلام تعتبران أولى الروايات اسلامية التي كتبت بالانكليزية. لعد عشر سنوات من الخدمة لدى نظام حيدر آباد، تقاعد مرمدوك عن العمل وهو في سن الستين عاماً. عاد إلى انكلترا ليقضي فترة هادئة قصيرة من حياته قبل وفاته في مايس عام ١٩٣٦، وتم دفن جثمانه في مقبرة بروكوود الاسلامية Brookwood القريبة من مسجد وكنغ.

الفصل الثاني

مفهوم العمل الإداري

الفصل الثاني

مفهوم التحول الديني

تعريف

يعرّف التحول الديني Religious Conversion بأنه الانتقال من ايمان إلى آخر، أو هو "تبديل مجموعة من العقائد والشعائر ال هو مصطلح شامل للتغيّر الديني، ويتضمن تحوّل عنيف من حالة سابقة. إن التحول الديني لا يعني ببساطة «تحولاً» عادياً بل أعمق من مجرد تغيّر.[1] ويركز بعض الباحثين على أنه المصطلح المستخدم لوصف عملية التغيير في المعتقد. إذ يميّز لويس رامبو Lewis Rambo بين معنيين هما التحول converting التي تصف ظاهرة الاعتناق بشكل أفضل، وكلمة اعتناق conversion التي تتضمن ظاهرة مستقرة.[2] وتضع مونيكا وولرب Monika Wohlrab-Sahr حدوداً بين كلمة اعتناق conversion وكلمة تبدّل alternation، وترى أن مصطلح الاعتناق يقصد به تغييرات راديكالية في النظرة للعالم والهوية، ومرتبط بصراع، عدا العلاقة تجاه الماضي والالتزامات السابقة. بينما يقصد بالتبدل هو شكل أقل راديكالية من التغير الديني والأيديولوجي التي تشمل بصورة أكبر الالتزامات السابقة. إذ يمكن أن يُرى التبدل باعتباره صيغة متطورة developmental mode تتولد من مواجهة خبرة جديدة دون الحاجة إلى قطيعة حقيقية مع الماضي. بينما الاعتناق هو صيغة صراعية conflictive mode تتولد من أزمة تنتهي إلى مغايرة حادة مع الماضي.[3]

ويرى أي. دي. نوك A.D.Nock أن فكرة الاعتناق conversion محدودة بالديانات النبوية التي تتطلب التزام قطعي. بينما مصطلح الموالاة adhesion يكون مناسباً لوصف الديانات غير النبوية، والذي يستند إلى محاولة براغماتية لاشباع حاجات طبيعية. ولما كان الاسلام ديانة نبوية،والاعتناق، حسب تعريف نوك، فهو بالتأكيد بحاجة لأن يصبح مسلماً. علاوة على ذلك فإن انتشار الاسلام قد يفسّر فقط من خلال الحقيقة التي ترى أن جميع المجتمعات التي دخلت الاسلام انما دخلته عبر عملية الموالاة والاتباع كما يسميها نوك.[4]

وهناك تعاريف كثيرة للاعتناق التي تستند إلى رؤى متنوعة. فعلماء الاجتماع وعلماء النفس والأنثروبولوجيون واللاهوتيون، كل لديهم تعريفهم الخاص بهم والذي يعكس تفسيرهم لهذه

1 - Muhammad Asin Dollah (1979), The Social Psychology of Religious Conversion, p. 190

2 - Lewis Rambo (1993), Understanding Religious Conversion, p. 7

3 - Monika Wohlrab-Sahr (1999), *Conversion to Islam: between Syncretism and Symbolic Battle*, p.353

4 - Nehemia Levtizion (1979), *Conversion to Islam*, p. 21

الظاهرة الاجتماعية. فبعضهم يرى الاعتناق مجرد حاجة اجتماعية أو أزمة نفسية أو اندماج ثقافي أو حل فكري. يؤكد وليم جيمس William James العالم الشهير المتخصص بسكيولوجيا الدين، على وظيفة التكامل integrative function في الاعتناق الديني فيقول "كي تعتنق، يجب أن تولد من جديد، كي تحظى بالرحمة، كي تجرب الدين، تحصل على الاطمئنان، توجد مراحل كثيرة تدل على عملية التحول، تدريجياً أو فجائياً، ينقسم فيها المرء على نفسه، يصاحبه خطأ واعي وشعور بالانحطاط والتعاسة، ليتحول إلى صح واعي وسمو وسعادة عبر الحقائق الدينية الجديدة".[1] ويفسر ستاربوك Starbuck الاعتناق بأنه حالة ارتحال عن الذنب، فيقول "يتميز الاعتناق بتغييرات فجائية قليلة أو كثيرة، من الشر إلى الخير، من الخطيئة إلى التقوى، ومن عدم الأهمية إلى النشاط الروحي".[2] ويعتقد أن الشعور بالذنب يقود الناس إلى التحقق بأن الدين يلعب دوراً رئيسياً في حياتهم، وأن عليهم العودة إلى الحياة الدينية من أجل اكتساب الكمال والقناعة التي ربما توجد في الحياة الدينية. ويفترض بروك Brock: "كلما شعر المرء بضغط خارجي أكثر لتغيير نظرته أو ديانته، انخفضت درجة التغير الذي يعقبه. إن تغيراً أكبر في الموقف يؤدي إلى نتيجة هي أن المرء يشعر بحرية أكبر في تغيير سلوكه".[3] وينظر اللاهوتيون من منظارهم الخاص عند تعريفهم للتحول الديني. فهم يؤكدون على أن هدف الاعتناق هو لجلب الناس نحو العلاقة مع الالهي ومنحهم معنى جديداً وهدفاً جديداً.[4]

وهناك رؤى مختلفة تتعلق بشكل ومضمون الاعتناق. إذ يميز رامبو بين الرؤى المعيارية normative والرؤى الوصفية descriptive للاعتناق. فحسب النظرة المعيارية، يصاغ الاعتناق الحقيقي حسب القناعات العقائدية لدين معين. ففي اليهودية مثلاً، يجب أن يكون العنصر القابل للتحول الديني موافقاً على الانصياع لقوانين اليهودية، خاضع للغمر تماماً في الماء، يشارك في حياة مصير اليهود، وأن يختتن إذا كان ذكراً. وفي رأي بعض المذاهب المسيحية المحافظة، يعرّف الاعتناق بأنه الاعتراف بالذنب، الخضوع لمشيئة الرب، التأكيد على عقيدة أن عيسى المسيح هو ابن الله وهو مخلّص العالم، ودعوة المسيح ليدخل قلب المرء. وتشترط الكثير من الكنائس القيام بعملية التعميد.[5] أما الاعتناق في الاسلام فلا يتطلب سوى الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله، فلا طقوس ولا شعائر خاصة بالتحول نحو الإسلام.

إن الاعتناق هو عملية تحول ديني يحدث بقوة ديناميكية لدى الناس بسبب، أحداث،

1 - William James (1919), *The Varieties of Religious Experience*, p. 189

2 - Muhammad Asin Dollah (1979), *The Social Psychology of Religious Conversion*, p. 195

3 - Muhammad Asin Dollah (1979), *The Social Psychology of Religious Conversion*, p. 202

4 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*, p. 10

5 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*, p. 6

أيديولوجيات، مفاهيم، خبرات، توقعات وتوجيهات. وفيما عدا بعض الحالات، يستغرق الاعتناق زمناً، فلا يحدث بسبب حادثة واحدة. إن الاعتناق عملية ذات علاقة بالبيئة، لذلك فهو يؤثر ويتأثر بمجموعة من العلاقات والتوقعات والحالات. إن العوامل المؤثرة في الاعتناق تكون متعددة، متفاعلة ومتراكمة.[1]

مشاكل منهجية في دراسة التحول الديني

من خلال دراستي لنظريات الاعتناق لاحظت وجود مشاكل منهجية مثل:

أولاً: السؤال الذي يجب طرحه هو: إلى أي حد يكون الباحث متحرراً من عقيدته ودينه خلال معالجته لقضايا التحول إلى دين غير دينه؟ فإذا كان غير متديناً، فهل سيحافظ على موقف حيادي تجاه التدين؟ يعترف لويس رامبو بعدم إمكانية تفادي تأثير مذهب الباحث اثناء تقييمه أو تحليله للأبعاد المختلفة للتحول الديني. ويقر رامبو بأنه وبقية الباحثين المسيحيين الذين تربوا ونشأوا على العقائد المسيحية، لايسعهم سوى اعتبار أن الخلاص لا يكون إلا من خلال الاستماع للإنجيل، والاعتقاد بأن عيسى المسيح هو ابن الله، والقبول بمحاكمة الذات الشريرة، والاعتراف بالذنوب المرتكبة، والتأكيد بأن إيماننا بالمسيح باعتباره هو المخلّص، والتعميد بالغمس التام.[2]

إن الباحثين غير محصنين من الانحياز، وكما أن عقائدهم وقناعاتهم تبقى مؤثرة في تقييماتهم واستنتاجاتهم. فالباحث العلماني وبضمنهم المفكرين، يستخدمون تفسيرات ذات علاقة بالحاجات النفسية والعوامل الاجتماعية والدوافع الاقتصادية والحرمان والاكراه أو الاغراء السياسي. إن التوجه العلماني لدى غالبية الأكاديميين الغربيين قد يجعل الاعتناق بنظرهم مجرد ظاهرة محيّرة. فهم يتساءلون: لماذا يتخلى المرء عن حريته واستقلاليته والنظرة العلمية والعلمانية للعالم لقاء حياة تتطلب الانضباط والطاعة والقيود؟ ولا يقتصر الانحياز على الباحثين العلمانيين بل يشمل اللاهوتيين والباحثين المتدينين أيضاً. فهم قد يصرّون على أن الشخص الذي يعتنق ديانة أخرى إنما يفعل ذلك بسبب قوى شريرة، أو أن ذلك الشخص لم يجر افهامه بصورة جيدة عن عقيدته، أو أن دوافع عرضية وجاذبيات مؤقتة أضلّته ودفعته للقبول بديانة زائفة.[3]

ثانياً: إن التحول الديني هو قضية تغيير عقيدة أو ايمان بدين بدلاً عن الدين السابق، ولكن معظم الدراسات تهمل الدوافع الدينية أو تكون العوامل الفكرية غائبة فيها. وقد يعود ذلك

1 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*, P. 5

2- Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion: Understanding and Interpreting Religious Change*, p. xiii.

3 - Lewis Rambo (1999), Theories of Conversion: Understanding and Interpreting Religious Change, p. 261

إلى أن الباحثين والسيكولوجيين والسوسيولوجيين الذين يبحثون في هذه المشاكل هم علمانيون ويقللون من شأن العامل الديني في عملية الاعتناق. فهم يقعون في اشكالية عندما يستخدمون فرضيات علمانية لدراسة ظواهر دينية. ولذلك يميلون إلى اعطاء اختصاصاتهم ونظرياتهم وزناً كبيراً في دراسة هذه الظاهرة الدينية، حتى عندما يكون العامل العقائدي أكثر تأثيراً من العوامل الأخرى. ومن المهم أن يجري احترام المنظور الديني إضافة إلى بقية العوامل الشخصية والاجتماعية والثقافية الأخرى المؤثرة في عملية الاعتناق.

ثالثاً: ما زال الاعتناق الديني يُدرَس من مختلف الباحثين من خلال رؤى مختلفة. فالسيكولوجيون يميلون إلى التركيز على الشخصية المنعزلة. فهم يركزون على الفرد، مشاعره وأفكاره وأفعاله التي تسيطر على سلوكه وردود أفعاله. وغالباً ما يفسرون الاعتناق من خلال الكآبة والاضطراب والصراع والذنب وبقية المصاعب النفسية. وينظر منظرو علم النفس للإعتناق من خلال مختلف التفسيرات النظرية مثل التحليل النفسي، السلوكية، الانسانية، الاجتماعية، وسيكولوجيا الادراك.

ويركز المحللون النفسيون على ديناميكية الانفعالات الداخلية وخاصة تلك التي تعكس العلاقة بين الوالدين والطفل. أما السلوكيون فهم يركزون على المحاور الاجتماعية والمؤسساتية للأديان التي يحدث فيها الاعتناق. فهم يعتقدون أن الظروف الاجتماعية أثناء الاعتناق والعلاقات الهامة وصفات الجماعة الدينية التي لها علاقة بالشخص الذي لديه قابلية للتحول، كلها تلعب دوراً هاماً في عملية الاعتناق. ويركز السوسيولوجيون على التفاعل بين الأفراد والنسيج الاجتماعي الذي يحيط بهم، وكذلك على العلاقات بين الأفراد وتوقعاتهم من الجماعة التي سينتمون إليها.

أما الأنثروبولوجيون فهم يبحثون في الثقافة التي تبني الجو الفكري والأخلاقي والروحي للحياة. فهم يعتقدون أن الثقافة هي مظهر النشاط الانساني والقوة المؤثرة في تشكيل وتجديد الأفراد والجماعات والمجتمعات. فهم يدرسون الظواهر باعتبارها مجموعة من الطقوس والشعائر والأساطير والرموز التي تنسج نسيج الثقافة. كما يقومون بفحص الرموز والطرق في التغير الديني، الصدمة الثقافية للإعتناق، الطريقة التي تسهل بها الثقافة عملية التغير الديني، ومراحل تطور التوجه الديني الجديد في ثقافة معينة.

ويؤكد اللاهوتيون على أن هدف التحول الديني هو من أجل جلب الناس نحو العلاقة مع المقدس ومنح الحياة معنى. وهم يركزون على الجانب العقائدي والروحي باعتباره المحور الأساسي في الاعتناق، وأن العوامل الأخرى خاضعة له. إن اقصاء البعد الديني في الاعتناق يؤدي إلى الفشل في تفسير الظاهرة بشكل ينسجم مع خبرات المعتنق.[1]

1 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*. Pp. 8 -10

الفصل الثالث

نظريات تفسير التحول الديني

الفصل الثالث

نظريات تفسير التحول الديني

منذ بداية القرن العشرين، قام الباحثون والسيكولوجيون والسسيولوجيون بتطوير نظريات لتفسير التحول الديني. وكل واحد منهم يركز على عامل معين أو دافع محدد يعتقدون أنه هو القوة الرئيسية التي تؤدي إلى التحول الديني. أما النظريات الحديثة فهي تميل إلى الأخذ بنظر الاعتبار عوامل ودوافع أكثر تتفاعل في عملية الاعتناق. ويرى لويس رامبو أنه «لا توجد نظرية يمكنها تفسير كل الواقع ويمكن تطبيقها على جميع أنواع الاعتناق ومنسجمة مع جميع الديانات. لا يوجد هناك سبب واحد فقط في التحول، ولا توجد عملية واحدة فقط، ولا توجد نتيجة بسيطة واحدة من هذه العملية. على أية حال، فإن هذه النظريات تعطي مصادر جيدة لدراسة ديناميكية اعتناق الاسلام في أوربا الغربية. إن الاستفادة من مختلف النظريات ضروري من أجل تفسير أفضل لعمليات الاعتناق المعقدة والمتنوعة. وهذه النظريات ذات قيمة لأنها تعطي نظرة داخل طبيعة الظاهرة. أنها بمثابة أدوات كاشفة تهدي أساليب وأهداف البحث وتمنحه تفسيرات للظواهر التي تبدو غير اعتيادية أو غامضة».[1]

ولا حاجة للقول بأنه لا توجد نظرية قابلة للتطبيق في كل أنحاء العالم، ولا توجد نظرية قادرة على استيعاب كل شيء. بعض النظريات أكثر فائدة للتطبيق في أديان أو جماعات أو حالات معينة. على أية حال، سأقسّم نظريات الاعتناق إلى قسمين وذلك حسب الدوافع وهي:

أولاً: العوامل الداخلية للإعتناق

ويشمل هذا القسم العوامل النفسية والعقائدية والروحية التي تلعب دوراً هاماً في عملية الاعتناق. في عام ١٩٠٠ استنتج ادوين ستاربوك Edwin Starbuck بأن "خبرات الاعتناق تتميز لجماعة عمرية معينة: بالنسبة للإناث، فإن السن الهامة هي سن الثالثة عشر إلى الرابعة عشر عاماً. أما بالنسبة للذكور فهو سن السادسة عشر عاماً. واستنتج "بأن سنين قمة التردد في الاعتناق تستجيب لفترة ذروة النمو الجسدي للذكور والاناث، وهناك تطابق بين الفترة المألوفة للإعتناق وبين فترة المراهقة لدى الجنسين".[2] ويتفق العالم النفسي الشهير وليم جيمس William James

1 - Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion: Understanding and Interpreting Religious Change*, p. 260

2 - Larry Poston (1992), *Islamic Da'wah in the West*, p. 145.

مع رأي ستاربوك فيقول (عام ١٩٠١) " إن الاعتناق في جوهره ظاهرة مراهقية عادية، ظرفية للعبور من عالم الطفل الصغير إلى الحياة الفكرية والروحية الواسعة للبلوغ".[١]

في منتصف القرن العشرين يميّز ليون سالزمان Leon Salzman (١٩٥٣) بين الاعتناق "التقدمي" progressive أو "البلوغي" maturational الذي يصفه بأنه نهاية نتاج بحث فكري مبرر، وبين ما يصطلح عليه بالاعتناق "الارتدادي" regressive أو "المرضي" psychopathological الذي يتميز بخبرة عاطفية يمكن مشاهدتها من خلال محاولة حل المشاكل العميقة الجذور.[٢]

وقام كل من جون لوفلاند John Lofland و رودني ستارك Rodney Stark (١٩٦٥) بعرض نظريتهما التي تعزو الاعتناق إلى شكل من السيكولوجية الارتدادية reverse psychology. وأنه في المجتمعات الغربية التي تشهد فردانية Individualism عالية توجد حالة يترك فيها الأفراد رؤية أكثر سعة صوب رؤية مجهولة ومبهمة وغالباً ذات قيمة اجتماعية واطئة". وعليه يصبح الاعتناق شكلاً من الاحتجاج ضد الظروف العائلية أو الاجتماعية التي تعتبر أقل من المثالية.[٣]

ويرى أريك ايركسون Erik Erikson (١٩٦٨) بأنه أثناء كفاح الشباب لعملية التكامل المراهقي فهم أحياناً يؤثرون التقهقر إلى حالة يكونون فيها قادرين على العمل من اجل وضع خطة لإعادة تنظيم الذات self-reorganization والتكامل بلا ازعاج من الوقائع الدنيوية للحياة. وقام في. بيلي غليسبي V. Bailey Gillespie (١٩٧٩) بتطوير هذه الفكرة حيث رأى أن خبرة الاعتناق في فترة المراهقة يمكن أن تمثل مدخلاً من حالة الخمود النفسي psychological moratorium والتي يمكنها في الحقيقة أن تخدم بعض الأفراد من خلال تأجيل أزمة تكامل حقيقية إلى وقت آخر.

ويعتقد ماكس هينريخ Max Heinrich (١٩٧٧) أن الاعتناق هو حل خيالي fantasy من أجل الخروج من حالة التهديد من خلال: إما التحالف مع قوى فوق طبيعية، أو من خلال تغيير يحدث لدى المرء بحيث لا تبدو المادة الضاغطة السابقة بعد ذلك ذات أهمية. ويناقش هينريخ بأن الاعتناق يعزى إلى الظروف السابقة التي مر بها الفرد. فتوجيه الوالدين يؤثر على الطفل الأكبر سناً، وأن تعليم دور الجنس قد يوضح هيمنة الاناث المعتنقات على الذكور. واستنتج بأن عملية الاعتناق تحدث من خلال استخدام الشبكات الاجتماعية المتاحة لأولئك الذين كانوا يبحثون عن معتقد جديد.[٤]

---

3 - William James (1919), *The Varieties of Religious Experience*, p. 199

1 - Larry Poston (1992), *Islamic Da'wah in the West*, p. 147

2 - Larry Poston (1992), *Islamic Da'wah in the West*, p. 149

3 - Larry Poston (1992), *Islamic Da'wah in the West*, p. 152

ويرى فلو كونوي Flo Conway وجم سيغلمان Jim Siegelman (١٩٧٨) أن العوامل النفسية والاجتماعية تلعب حقاً دوراً في الاعتناق لكنها في الواقع تؤدي إلى تغيير كيميحيوي biochemical alternation في تركيب الدماغ نفسه، مولدةً تغييرات في الوعي. إن مثل تلك التغيرات يمكن انتاجها بواسطة تقنية بسيطة في الاتصالات: البلاغة والاقناع وأساليب الدعاية والتسويق الجمعي وفهم قليل لعناصر ديناميكية الجماعة والاتصالات غير الكلامية.[1]

وبقيت نظرية سيغموند فرويد (١٨٨٦-١٩٣٩) Sigmund Freud في التحليل النفسي مؤثرة في دوائر أكاديمية وعلمية كثيرة. إذ يرى أصحاب التحليل النفسي أن ديناميكية الاعتناق هي انعكاس للقوى البدائية داخل الشخصية. فالجانب اللاشعوري id والأنا ego والذات العليا superego تتداخل في صراع مستمر. إن النزعات البشرية تدفع الأشخاص إلى البحث عن إرضاء الرغبات الملحّة والقوية، ولكن الثقافة والدين والضمير تكبحها. إن مآسي النضج الطفولي تمثل خلاصة التطور للعنصر البشري. ويرى فرويد أن "عمليات الاعتناق بصورة عامة تعتبر تسويات هشة في مسيرة الصراع المستمر بين الحياة مع غريزة الموت. إن مأساة الرضيع والأم والأب يعاد تكرارها في عملية الاعتناق. فالذنب والرعب والأسى والحرمان العاطفي والمعاناة والرغبات ترمي الشخص في الشعائر والعقائد والعلاقات الدينية التي تمنح بعض الاشباع للاشخاص الضعفاء والمعرضين للخطأ".[2]

وقام كل من دبليو. براودفوت W. Proudfoot وبي. شيفر P. Shaver (١٩٧٥) بتطوير نظرية العزو Attribution Theory التي تقول بأن الانسان بحاجة إلى ايجاد معنى للحياة. ويشمل هذا الحوادث اليومية والمتعذر تفسيرها، إضافة إلى القضايا الأساسية التي تنتاب تفكيره. لا يمكن أن ترى نظرية العزو كدافع رئيسي لقبول رؤية دينية جديدة من أجل اعطاء معنى للحياة ومعنى للغرض فحسب، ولكن تعتبر أيضاً آلية رئيسية ضمن عملية الاعتناق. إن قبول نظام جديد حول طبيعة الذات والآخرين والله يكون جانباً رائعاً للسعادة لكثير من المعتنقين. هذه النظرية قيّمة في تفسير الاعتناق الفكري والادراكي،[3]

في عام ١٩٧٥ عرض روبن هورتون Robin Horton نظريته "الاعتناق العقلاني" Rational Conversion التي تؤكد على أن البشر عاملون نشيطون يبحثون من أجل الفهم والتنبؤ والسيطرة على الأحداث الزمكانية space-time. إن الادراك البشري والنشاطات الفكرية تتكيف مع العالم الاجتماعي والثقافي الذي يعيشون فيه. ولاحظ هورتون أن النظرة الأساسية للعالم لدى

1 - Larry Poston (1992), *Islamic Da'wah in the West*, p. 153

2 - Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion*, p. 266

3 - Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion*. P. 267

المجتمعات الأفريقية الصغيرة تتكون من بضعة عوالم. فالعالم الصغير microcosm هو العالم اليومي الذي يحتل القسم الأكبر من طاقة الجماعة. كما ان همومهم الدينية تدور حول التفسيرات والتنبؤات والسيطرة على عالمهم المحسوس. عملياً، كل الجماعات لديها عالم كبير macrocosm أي العالم الواسع الذي تطور قليلاً لأن حياتهم اليومية تتركز في العالم الصغير. وعندما حدث لهم اتصال مع المسيحية والاسلام توسّع عندهم علم الكونيات Cosmology. ويناقش هورتون بأن الاعتناق يحدث بشكل مختلف معتمداً على الدرجة التي تركّز بها الجماعة على العالم الصغير والعالم الكبير.[1]

وقام جون لوفلاند John Lofland ونورمان سكونوفد Norman Skonovd (١٩٨١) باعطاء تفسير لدوافع الاعتناق بواسطة تعريف الخبرات التي يمكنها تحديد كل نوع من الاعتناق. وقد قاما بتحديد ستة دوافع: فكرية، صوفية، تجريبية، تأثرية، احيائية، وقسرية. ففي الاعتناق الفكري، يبحث الشخص عن معرفة قضايا الدينية والروحية من خلال الكتب والتلفزيون والمقالات والمحاضرات وبقية الوسائل الاعلامية التي لا تربطه بعلاقة اجتماعية ذات معنى. فالشخص يستقصي ويبحث عن بدائل. ويحدث الايمان بالفكرة عنده قبل المشاركة الفعالة في الشعائر والمنظمات الدينية. وأما الاعتناق الصوفي فهو اعتناق فجائي و وتفجّر مرضي للبصيرة، يُستحث بالصور والأصوات أو أية خبرات فوق الطبيعية. وينشأ الاعتناق التجريبي كسبيل رئيسي للتحول في القرن العشرين بسبب الحرية الدينية الكبيرة وتعدد المعتقدات المتاحة. يحدث الاعتناق التجريبي عبر بحث نشيط عن خيارات دينية جديدة. فالشخص المستعد للاعتناق لديه عقلية «أرني»، ويقول بشكل رئيسي: سأجرب هذا الامكان وأرى أية فوائد روحية يمكنه أن يمنحني اياها. ويندفع المستعدون للتحول الديني إلى تجربة العقيدة والشعائر والمنظمة الدينية بأنفسهم ثم يكتشفون فيما إذا كانت مناسبة لهم. وأما الاعتناق التأثري فهو يركز على الروابط بين الأفراد باعتبارها عامل مهم في عملية الاعتناق. ويلعب التأثر بالآخرين دوراً مركزياً في الخبرات الشخصية لمباشرة تجاه من يحبونه من الجماعة أو زعيمها.[2]

ويفتش النفسيون والمحللون النفسيون عن الدوافع نحو الاعتناق في رؤية تتمثل بوجود أزمة نفسية تتضمن وهناً وانكساراً وخوفاً ووحدة ويأساً. ويفسر الاعتناق بأنه آلية تكيف تحاول حل الصراع النفسي. فهم يعتبرون المعتنقين «مرضى عاطفيين» يبحثون عن حل عاطفي. ويرى الانسانيون Humanists أن الاعتناق هو بحث عن التحول الفكري والروحي والعاطفي

1 - Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion*, p. 265

2 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*. P. 15

والنمو. ويعتقد جانا أولمان Chana Ullman (١٩٨٢) بأن الدافع الرئيسي في الاعتناق هو الحاجة لمعنى ادراكي بالاضافة إلى الدوافع العاطفية المرتبطة بعلاقات شائكة مع الأب، طفولة تعيسة، وماض من العلاقات الشخصية الممزقة والمشوهة.[1]

غالبية الباحثين في قضايا الاعتناق يؤمنون بأن بعض الأشكال من الأزمات تنتهي عادة بالاعتناق. وقد تكون الأزمة في الأصل دينية، سياسية، نفسية، أو ثقافية. هناك العديد من العوامل التي تشجّع أو تسهّل الاعتناق. ويمكن هنا ذكر العوامل الداخلية والتجارب الصوفية والخبرات غير الاعتيادية وغالباً ما تكون غير متوقعة والتي تحدث تمزقاً جذرياً. وهناك خبرات أخرى مثل الاقتراب من الموت المترافق مع صحوة روحية؛ المرض القاسي والشفاء منه غالباً ما يتبلور في الاعتناق؛ التبرم من الحياة قد يؤدي عند بعض الناس إلى الشعور بأن الحياة فقدت معناها وهدفها الذي يجب أن تملكه. مثل هذه الأفكار قد تحث نحو البحث عن خيار آخر أو التنقيب لاعادة اكتشاف الجذور في الديانة التي نشأ الفرد فيها؛ الرغبة في السمو قد تشجع بعض الناس للمناقشة، خاصة من وجهة نظر عقائدية، بأن البشر مدفوعين للبحث ما وراء أنفسهم عن معنى وهدف. الكثير من الناس يرغب في العلاقة مع الله بطريقة تغني وتوسع حياتهم. ومن النادر أن يرضخ علماء الاجتماع لقبول مثل هذه الدوافع الايجابية للإعتناق، محاولين تفسيرها بوجود دوافع أعمق، غالباً مرضية، تختفي وراء أفكار دينية. ويؤكد رامبو على أنه «مهما كانت الحالة، فإن بعض الناس يعتنقون حتى لو لم تكن لديهم أزمة واضحة. ببساطة هم يرغبون بالأكثر».[2]

يشكل الدين جزءً هاماً في حياة الانسان. فهناك احتياجات روحية وأسئلة فكرية لا يمكن اشباعها إلا بواسطة العقائد والتعاليم الدينية. يحلل رامبو دور الدين في عملية الاعتناق فيقول: «الدين والروحيات هامة في عملية الاعتناق لسببين. الأول، إن الأديان والمعتقدات تزود أتباعها بأنماط وخطوط هداية أو عقائد قابلة للتحول نحوها. ففي كل التعاليم هناك الاعتناق الحسن والقبيح أو الاعتناق الصح والخطأ. وهناك شعائر معينة مطلوبة، ودوافع مقيّمة، وعقائد متوقعة، ونتائج مكتسبة. إذن طبيعة اعتناق الشخص تتشكل وتبنى بواسطة الأساطير والطقوس والرموز لديانة معينة. ويكون الدافع نحو الاعتناق وتجريبه لدى غالبية الناس يتشكل بواسطة رغبات وخبرات دينية وروحية حقيقية. هذا البعد لا يمكن التقليل منه إلى تفسيرات أخرى، عند بعض الناس على الأقل».[3]

---

3 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*. P. 53

1 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*. P. 51

2 - Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion*, p. 264

ويرى دبليو. لوسون جونز W. Lawson Jones (١٩٣٧) بأن خبرة الاعتناق هي نوع واحد فقط من أنواع الخبرة الدينية. وهناك مظاهر أخرى للخبرة الدينية التي لا تسبب تغييراً أو اعادة تشكيل في حياة المتعبد. ويعتقد جونز أن التحول الديني بمثابة تغيّر في صفة أو نمط في الحياة يأتي من خلال قوة الأفكار الدينية والوجدانية، والتي تعطي معنى لعلاقات جديدة.[1]

في عام ١٩٦٩ طوّر فيكتور ترنر Victor Turner نظريته المسماة "العملية الشعائرية" The Ritual Process حيث يرى بأن الشعيرة *ritual* ليست متوارثة في وعي وسلوك الانسان فحسب، ولكنها حيوية وبناءة في تكوين الجماعات وتشكيل الذات. وقد انتبه مؤخراً علماء الاعتناق إلى أهمية الشعيرة في عمليات الاعتناق. ففي دراسته عن المسيحية الأولى، أوضح توماس فِن Thomas Finn (١٩٩٧) كيفية الاستفادة من نظرية الشعيرة في دراسة الاعتناق. إن الفعل الشعائري والممارسة الدينية تخلق وتشكّل وتدعم الخبرة الدينية والروحية، وتمنح القوة للحياة الدينية. "وكان الأنثروبولوجيون (المختصون بعلم الانسان) قد عرفوا منذ وقت طويل أهمية الشعائر، ولكن الوقت حان لعلماء الاجتماع والنفس والمؤرخين وجميع دارسي الاعتناق للأخذ بهذا المصدر الغني".[2]

وقام لويس رامبو بتطوير نظرية لوفلاند وستارك المسماة «أن تصبح منقذ العالم» Becoming a World-Saver التي تتضمن رؤية لإعتناق تركز على التعاقب المعقد والمتسع لعملية الاعتناق. إن جميع منظّري عملية الاعتناق يرون أن التغيير الديني يحدث بعد وقت ويتألف من عناصر متنوعة و ديناميكية. وضع رامبو "نظرية العملية" The Process Theory في تفسير الاعتناق والتي تتكون من سبعة مراحل:

١-البيئة Contextالتي يحدث فيها الاعتناق، وأن العوامل البيئية قد تسهّل أو تصعّب الاعتناق.

٢- الأزمة Crisis التي تتمثل في تصدع في نظرة الشخص للعالم، وتكون بمثابة المثير.

٣- الطلب Quest حيث يشرع الأشخاص بالبحث بنشاط عن طرق جديدة لمواجهة مآزقهم.

٤-التلاقي Encounter التي تمثل الاتصال بين الأشخاص الطالبين ومن يدافع عن البديل الجديد.

٥-التفاعل Interaction وهو تقوية العملية بحيث يحدث حوار بين الشخص المنتمي لتلك العقيدة والشخص المستعد

للاعتناق يناقشون فيه التغيرات في الأفكار والمشاعر والأفعال.

٦-التعهّد Commitment وهي المرحلة التي يقرر فيها الأشخاص تكريس حياتهم للتوجه الروحي الجديد.

---

3 - Muhammad Asin Dollah (1979), *The Social Psychology of Religious Conversion*, p. 109

1 - Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion*, p. 266

٧-النتائج Consequences التي تظهر فيها التأثيرات المتراكمة لمختلف الخبرات والأفعال والعقائد سواء التي تمهد أو تعيق التحول الديني.[1]

وعلى العكس من نظريات العامل الواحد التي حاولت تفسير ظاهرة التحول الديني فإن «نظرية العملية» تسعى للأخذ بنظر الاعتبار مختلف العوامل والقوى الفاعلة في الاعتناق.

ثانياً: الدوافع الخارجية في للاعتناق

ويشمل هذا القسم الدوافع الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والبيئية والتغيرات الأخرى التي تتولد من أنظمة التواصل والحركة والتمدن والتحديث والعلمنة والتعددية في المجتمعات الحديثة. فجميع التحولات الدينية تحدث بين الناس والمؤسسات والجماعات،

لقد درس علماء الاجتماع والأنثروبولوجيون تأثيرات البيئة والعلاقات الاجتماعية التي ربما تلعب دوراً رئيسياً في عملية الاعتناق. إن الاعتناق يحدث ضمن بيئة ديناميكية وليس في بيئة خاملة. فالبيئة هي التي تقوم بتشكيل طبيعة وتركيب ومراحل الاعتناق. يقول جون كريشن John Gration "بالمعنى الحقيقي، كل اعتناق يحدث في بيئة. فالبيئة المتعددة الوجوه، التي تتضمن ميادين سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية مختلفة تؤثر في الشخص الذي يعيش فيها أثناء عملية الاعتناق. إذن مهما كان معنى الاعتناق، فهو لا يحدث خارج البيئة الثقافية".[2] تتضمن البيئة مؤثرات وعلاقات وأفكار وأفعال وسلوكيات كثيرة ومختلفة تتفاعل وتؤثر على مختلف الدوائر الاجتماعية: العائلة، الأصدقاء، الجماعة، المجتمع والبشرية. من خلال تحليل أنواع الدوافع، يقدم علماء النفس والأنثروبولوجيون نظريات عديدة لتفسير هذه الظاهرة الاجتماعية.

تطرح نظرية جون بولبي John Bowlby المسماة "نظرية المودة" Attachment Theory تصوراً مبنياً على أن البشر يشكلون أواصر عاطفية تعكس صلة الفرد بمصدر الرعاية الأصلي لهم. ويمكن أن يكون الاعتناق تعويضاً لأنماط والديّة ممزقة أو يكون منسجماً مع أسلوب الوالدين. إن استخدام هذه النظرية يجب أن يكون حساساً تجاه الأشكال الاجتماعية-الثقافية للعلاقات العائلية المتطورة في مختلف الجماعات العرقية والقومية. فهذه النظرية تلقي الضوء بشكل خاص على القضايا المؤثرة والعاطفية.[3]

لقد تم التركيز على مفهوم الهوية identity باعتباره مصدر قلق رئيسي أثناء مناقشة عمليات التمدن والتحديث والعلمنة والتعددية في فهم الذات والجماعة. وكنتيجة لذلك، صارت

---

2 - Lewis Rambo (1999), *Converting: Stage of Religious Change*, pp. 23-4

1 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*. P. 20

2 - Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion*. P. 267

المفاهيم القديمة للذات والعلاقات والجماعات والقناعات تواجه ضغطاً كبيراً. إن نظرية الهوية Identity Theory، وخاصة في علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع، تعطي هيكلاً يمكن من خلاله فهم حاجة الناس للقناعات والقيم التي تقوّي فهمهم لذاتهم، ولبناء علاقات مع الناس الآخرين، وتمنحهم معنى للإستمرارية والارتباط بنظرة للعالم تسمو بهم عن تقلّب وتشظّي العالم المعاصر.[1]

ومن النظريات الحديثة التي تفسر التحول الديني هي نظرية العولمة Globalization Theory، تقول هذه النظرية بأن النمو الذي تشهده الحركات الدينية الجديدة والحركات الاسلامية الاصلاحية والاحيائية والحركات المسيحية الجاذبة للجماهير ما كانت تنتشر لولا السهولة التي تقدمها أنظمة الاتصالات العالمية (مثل التلفزيون، الراديو، الانترنت، أجهزة التسجيل، كاميرات الفيديو، وأجهزة الفيديو)، وكذلك سهولة الحركة والانتقال بواسطة القطارات والطائرات والسيارات وغيرها. وعبر أنواع متعددة من وسائل الاتصال الجمعية صارت رغبات وأمنيات الناس تُستبدل وتتحول، وصار البحث جارياً عن تجديد أو تحول روحي تجاه الخيارات الجديدة التي تعرضها الديانات.[2]

إن المجتمع، الذي يعيش فيه الشخص المستعد أو الذي لديه قابلية للتحول الديني، قد يوفر اتصالات وعلاقات جيدة مع البدائل الدينية الجديدة. فالبيئة قد توفر للفرد حرية الحركة من مفاهيم فكرية والتزامات وواجبات دينية سابقة إلى أخرى جديدة. إن شبكات الاتصال المتنوعة التي تشكل الحياة – العائلة، العمل، الصداقة، المنظمات الدينية، الخ- تكون في الغالب قوية جداً في تثبيط أو تشجيع الفرد على تغيير أو تطوير قناعاته. لاحظ فلافيل راي ييكلي Flavil Ray Yeakley (١٩٧٥) أن "الشخص الذي لديه خلفية دينية مختلطة يكون أكثر استعداداً لتغيير دينه من الشخص الذي جاء من عائلة ذات منحى ديني واحد".[3] أي أن وجود دين أو أكثر داخل العائلة الواحدة (مثلاً الأب يؤمن بدين معين والأم تؤمن بدين آخر) يسهّل عملية الاعتناق أو التحول الديني. ويحلل لويس رامبو هذه الظاهرة الاجتماعية فيقول: «هناك طريقان في النظر إلى هذا الاكتشاف. الأول يرى بأن العائلة المختلطة تكون أكثر تسامحاً تجاه الخيار الديني الجديد، وعليه يوجد جو يسمح للناس أن يبحثوا بحرية عن خيارات جديدة. والتفسير الآخر هو أن العائلة المختلطة دينياً تكون أقل قدرة على الإمساك بأعضائها من العائلة ذات الدين الواحد. ولذلك لا توجد لديها ممانعة قوية تجاه التحول الديني في العائلة الذي هو عادة غريب المنشأ».[4]

3 - Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion*. P. 265

1 - Lewis Rambo (1999), *Theories of Conversion*. P. 262

2 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*. P. 62

3 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*. P. 63

إن الاتصال بأتباع ديانة أخرى قد يخلق جواً لمناقشة مختلف القضايا الأخلاقية والفكرية والدينية التي تحتل أهمية خاصة في فكر الشخص المستعد للاعتناق. ومن خلال هذه الحوارات والمحادثات والمحاضرات قد يكتشف هذا الشخص حلولاً للمشاكل التي يعاني منها. ولا حاجة للقول بأن عدد كبير من المعتنقين قد غيروا دينهم عبر علاقة عاطفية أو بالزواج بشريك حياة من ديانة أخرى. وهذه الظاهرة تلاحظ جلياً في حالات اعتناق الاسلام.

يعتبر تيسر الأفكار عنصراً هاماً ومؤثراً في كيفية جذب الشخص إلى البحث الديني. فالاطار المعرفي لحركة ما يجب أن يكون على صراع مع التوجه الفكري السابق للشخص وإلاّ لن يكون جاذباً له. من النادر أن يقوم شخص ما بالتحول إلى خيار يدخله في إطار فكري يختلف راديكالياً عن وجهة نظره السابقة. فالقناعة الجديدة يجب أن تكون نتيجة لعوامل دفع مختلفة. يسلّم سيمور ابشتاين Seymour Epstein (١٩٨٥) بوجود أربعة دوافع رئيسية لدى الانسان:

١-الحاجة لاكتساب السعادة وتفادي الألم.

٢-الحاجة لنظام مفاهيمي.

٣- الحاجة إلى تعزيز قيمة الذات.

٤-الحاجة لبناء علاقات دائمة. إن قوة كل واحد من هذه الدوافع تتفاوت بين الأشخاص المختلفين، وكذلك لدى الفرد من وقت إلى آخر، وفي ظروف مختلفة.[1]

وقد توفر البيئة، كما في الغرب، الحرية الدينية غير المحدودة. وهذه تشمل حرية العقائد والممارسات والشعائر والتعبير الديني والدعوة للديانة. ويوجد منظمات دينية كثيرة تعود إلى مختلف الأديان والمذاهب والفرق والطوائف الدينية والتي تمارس نشاطات دعوية لعقائدها. وتستخدم هذه المنظمات والمؤسسات وسائل مختلفة لدعوة الناس للدخول في ديانتها. إن التبشير بالديانة هو جهد مقصود لجماعة ما لهداية واكتساب أعضاء جدد. وقد يتطلب التبشير أحياناً أن يقوم العضو الجديد بالتبرؤ من تحالفاته القديمة ليؤكد عضويته في الجماعة الجديدة. إن الاسلام والمسيحية هما الديانتان الوحيدتان اللتان لديهما مؤسسات دعوية متخصصة وظاهرة.

لقد أصبحت النشاطات التبشيرية أكثر تنظيماً وتعليماً وتدريباً، وتستخدم أساليب عصرية وأدوات متطورة في مخاطبة المتلقين. فصارت تستخدم الكتب والكتيبات والصحف والمجلات والبرامج التلفزيونية والإذاعية والأفلام والاجتماعات العامة والمحادثات الفردية وغيرها. ولدى المنظمات التبشيرية اليوم ملايين المواقع الدينية على شبكة الإنترنت، حيث تتواصل يومياً مع ملايين القراء والمتصفحين لمواقعها، وتستلم منهم الرسائل والأسئلة،

1 - Lewis Rambo (1993), *Understanding Religious Conversion*. P. 63

وتزودهم بالمعلومات أو ترسل لهم ما يحتاجونه من كتب ومجلات تبشيرية. وتستخدم المنظمات التبشيرية مختلف الأساليب والبرامج للوصول إلى أكبر عدد من الناس، إذ تقدم خدمات صحية أو تقوم بإنشاء مؤسسات تعليمية ومشاريع إجتماعية ومساعدات اقتصادية وتنموية للبلدان الفقيرة. وقد اكتسب المبشرون خبرات كبيرة في هذه البلدان بحيث صاروا يطورون ستراتيجية عملهم لتتكيف مع الثقافات والأعراف المحلية. فعلى سبيل المثال تقوم الإرساليات التبشيرية بترجمة الكتاب المقدس إلى العديد من اللغات وحتى اللغات المحلية للقبائل في آسيا وأفريقيا.

ولأن التنصير هو الهدف الرئيسي من التبشير قام المبشرون بتطوير نظريات ومناهج جديدة من أجل تحقيق أفضل النتائج وإيجاد أفضل الطرق المؤثرة لبلوغ أغراضها. فطائفة المورمون Mormons، على سبيل المثال، أقوى تبشيراً من الكنيسة المسيحية. فرسالة المورمون الرئيسية تؤكد على أن الله هو أب محب لكل من يبحث عن السعادة الإنسانية والرفاه. إن دين المورمون يمنح أتباعه خطوطاً رئيسية تؤكد على الأواصر العائلية والحياة الروحية وتحسين حياة أتباع الديانة. وعندما تجري مناقشة الذنب، ينظر إليه على أنه مجرد عائق نحو حياة جيدة. بينما تبني الكنيسة المسيحية رسالتها على أساس الخطيئة البشرية التي توارثوها من أبيهم آدم. وأن المسيح (ع) ضحى بنفسه وعرض نفسه للصلب فداء لخطايا البشر. إن حصر الأتباع في دائرة الذنوب التي ارتكبها غيرهم يجعلهم يضيقون ذرعاً بها، ويسعون للتخلص من هذا العبء النفسي الثقيل. الأمر الذي يجعلهم يبحثون عن سبيل آخر أو عقيدة جديدة تخلصهم من هذا الشعور بالذنب. هذا الاستنتاج يجعل المبشرين يعيدون النظر في ستراتيجية التبشير وطريقة عرض العقائد المسيحية.

وينشط الدعاة المسلمون في الدعوة للإسلام بين غير المسلمين. ويستخدمون أساليب متنوعة في دعوة مخاطبيهم إلى الإسلام. ففي الغرب توجد آلاف المساجد والمراكز والمؤسسات الإسلامية المهتمة بالنشاطات الدعوية. كما أنها تستخدم طرقاً عديدة لنشر أفكار ومفاهيم وتعاليم الإسلام، حيث تستخدم وسائل للوصول إلى الجمهور غير المسلم مثل اللقاءات الشخصية والحلقات الجماعية والمحاضرات والكتب والمنشورات وأشرطة الكاسيت والفيديو. كما توجد آلاف المواقع الإسلامية بعدة لغات تهتم بنشر الإسلام وأحكامه على مستوى العالم.

ويمكن تقسيم الدعاة المسلمون إلى فئتين: الأولى، الدعاة المسلمون القادمون من البلدان الإسلامية والذين يجيدون التحدث بلغة البلاد التي يقيمون فيها. فهؤلاء يلقون المحاضرات

ويعقدون الندوات ويدرّسون أحكام الإسلام ويجيبون على أسئلة واستفسارات الأوربيين الراغبين في التعرف على الإسلام. أما الفئة الأخرى فهم الغربيون الذين اعتنقوا الإسلام وتعمقوا بدراسة نصوصه وتعاليمه وتفسير القرآن والحديث والسيرة. فقسم منهم توفرت له فرصة الدراسة الدينية الأكاديمية فشدوا الرحال إلى بعض البلدان الإسلامية ودرسوا في جامعاتها الدينية المتخصصة. وعندما عادوا إلى بلدانهم صاروا دعاة كفوئين لدعوة بني جلدتهم إلى الإسلام. وهؤلاء يتميزون بالقدرة على مخاطبة العقلية الغربية أفضل من غيرهم. كما أنهم يجيدون لغة البلاد ويعرفون ثقافتها وتاريخها وأسلوب تفكيرها. وينشط هؤلاء في المؤسسات والمراكز والمنظمات الإسلامية حيث يلعب بعضهم دوراً قيادياً وهاماً في تحقيق إنجازات كبيرة للجالية المسلمة في الغرب.[1]

١ - ناقشنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب نشاطات وكتابات المفكرين الغربيين المسلمين.

الفصل الرابع

إعتناق الإسلام: المعنى والظاهرة

الفصل الرابع

إعتناق الإسلام: المعنى والظاهرة

مصطلح الإعتناق في المصادر الإسلامية

إن مصطلح اعتناق أو ما يقابله في الإنكليزية كلمة Conversion يعني التحوّل أو التغيّر أو الإلتزام بقناعة او نظرة معينة، أو التغيّر من حالة إلى حالة. هذا التعريف الذي يستند إلى التغيّر أو التحوّل الداخلي متأتي من فكرة التحوّل المسيحية. ولا يمكن تطبيقها على الأديان الأخرى كاليهودية والإسلام التي تؤكد على الإلتزام بممارسة القانون الإلهي والأفعال الاجتماعية الأخرى بالإضافة إلى العقائد.[1] يضاف إلى ذلك أن مصطلح الاعتناق Conversion كمصطلح لاهوتي غالباً ما يستخدم ضمن العقيدة المسيحية حيث يقصد به التحول الديني.

أما في الإسلام فلا توجد لفظة عربية تقابل كلمة Conversion، حيث أن المفردات المعجمية تفتقد لكلمة مكافئة ودقيقة لهذا المصطلح. وفي المقابل توجد مفردات عديدة تعطي نفس المعنى أي تعبّر عن فكرة أن "يصبح الإنسان مسلماً" سواء في القرآن أو الأدب الإسلامي. إن أكثر الألفاظ المتداولة والتي تعبّر عن اعتناق الإسلام هي لفظة "أسلم". والمعنى الحرفي لها هو الخضوع والاستسلام لله سبحانه وتعالى. وهي تصف الاجراء الذي بموجبه يصبح الفرد مسلماً. وعندما يستخدم هذا الفعل فلا يوجد ما يشير إلى محتوى حقيقي لعمل ما.[2] ومن هذا الفعل جرى اشتقاق لفظة «مسلم» التي تعني الخاضع والمستسلم. كما اشتق منه لفظة «الإسلام» التي تعني الخضوع. ومن نفس الجذر جرى اشتقاق فعل «إستسلم» الذي يعني أصبح مسلماً، و هو الشخص الذي يخضع ويؤمن برسالة النبي محمد (ص).

قرآنياً لا تختص كلمة «أسلم» أو «مسلمين» بأتباع الديانة الإسلامية فقط، بل تشمل أتباع الديانات الأخرى أيضاً. فقد ورد عن نوح (ع) قوله (وأمرت أن أكون من المسلمين) (يونس: ١٠)، وعن إبراهيم (ع) قوله (إذ قال له ربه أسلم، قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (البقرة: ١٣١ و ١٣٢)، وإسماعيل وإسحاق (ع) (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن مسلمون) (البقرة: ١٣٣)، وموسى (ع) (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله

1- Brinner, W. M., Conversion, in Esposito, J. L., (1995), *The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World.*

2 - Bulliet. R. W, (1979), *Conversion to Islam in the Medieval Period*, p. 33

فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) (يونس: ٨٤)، ويوسف (ع) قوله (وتوفني مسلماً وألحقني بالصالحين) (يوسف: ١٠١)، وأتباع عيسى (ع) (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي، قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) (المائدة: ١١١)[1] وسحرة فرعون قولهم (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) (الأعراف: ١٢٦).

وهناك لفظة أخرى تفيد معنى الاعتناق وهي «آمن» و«إيمان». ففي التراث الإسلامي هناك فرق بين الاسلام والإيمان. فالقرآن الكريم يميّز بين المصطلحين بقوله (قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) (الحجرات: ١٤). فالاسلام هو وصف شكلي للشخص الذي صار مسلماً، فهو مسلم لأنه نطق بالشهادتين ويخضع للقانون الإسلامي ويقيم الشعائر الإسلامية سواء كان يعتقد بها أم لا. وبواسطة هذه الصفة الرسمية يعتبر مواطناً مسلماً ويتمتع بكل الحقوق مثل بقية المسلمين في المجتمع الإسلامي. أما الإيمان الداخلي أي الاعتقاد بالله وبملائكته ورسله وبالآخرة والقضاء والقدر، وضرورة الإلتزام بالمفاهيم والتعاليم والأحكام وأداء الشعائر الإسلامية قربة إلى الله.

ويستخدم القرآن الكريم لفظة أخرى لوصف اعتناق الإسلام وهي «دخل في دين الله» الواردة في (سورة النصر: ٢) بقوله (ويدخلون في دين الله أفواجاً). كما تستخدم لفظة «اهتدى» لنفس المعنى. واستخدم كفار قريش لفظة «صبأ» أي تحول إلى دين آخر وصار عدواً لدينهم.[1] كما يستخدم القرآن الكريم أيضاً لفظة «دعا» للتعبير عن دعوة غير المسلمين لاعتناق الإسلام. وتستخدم لفظة «دعوة» للتعبير عن النشاط الذي يهدف إلى دخول غير المسلمين إلى الإسلام. وهي مشتقة من الفعل دعا، يدعو.

ويعترض بعض المسلمين الغربيين على عبارة «اعتناق Converting" ويفضلون بدلها استخدام لفظة العودة Reverting إلى الإسلام لأنهم يعتقدون أنهم رجعوا إلى الحالة الإنسانية الأصيلة أي الفطرة السليمة. فالإنسان يولد على الفطرة السليمة أي الإسلام ولكن البيئة والتربية تجعله يؤمن بدين والديه ومجتمعه.[2]

إهمال متعمد لدراسة اعتناق الإسلام

لم يتم تناول قضية اعتناق الإسلام إلا في حدود ضيقة سواء بين المسلمين أو غير المسلمين من باحثين ومستشرقين. يقول المؤرخ الإنكليزي توماس آرنولد في كتابه الشهير «الدعوة إلى

1 - Woodberry, J.D. (1992), Conversion in Islam, in Malony, *Handbook of Religious Conversion*, p. 26

٢ - عطاء الله كوبانسكي، لقد عدت للإسلام، مجلة رابطة العالم الإسلامي (بالانكليزية)، المجلد ١٧، العددين ١١-١٢ الصادر في حزيران-تموز ١٩٩٠، ص ٢٩

الإسلام» بأن «الأدبيات الإسلامية فقيرة فيما يتعلق بتسجيل أمور انتشار الإسلام، في حين يحتل التنصير مكاناً كبيراً لدى الكنيسة المسيحية».[1] ويشاطره المستشرق الفرنسي ريتشارد بوليه هذا الرأي حيث يلاحظ أن «على الرغم من زيادة الاهتمام بهذا الموضوع في السنين الأخيرة، لكن معظم الجهود مكرسة نحو المناطق التي تعتبر حديثة دخول في الإسلام مثل غرب أفريقيا وأندونيسيا. إن خبرات الاعتناق العظيمة قد غيرت تاريخ العالم بشكل رئيسي من خلال توحيد سكان الشرق الأوسط عبر ديانة جديدة. ولعب التحول الديني دوراً في روايات وتواريخ العصور الوسطى».[2] ويؤكد المستشرق الانكليزي ريتشارد ستيفن همفريز بأن «اعتناق الإسلام كان عملية كبيرة ومع ذلك بقيت واحدة من أفقر المجالات التي تناولتها الدراسات الإسلامية». ويضيف «إن جميع الدراسات الحقيقية حول هذا الموضوع يمكن إدراجها في صفحة واحدة فقط». ويعزو هذا الاهمال المتعمد إلى أن «الاعتناق هو أمر يتعلق بتغيير مجموعة من العقائد والشعائر الدينية بأخرى. وكان المستشرقون الغربيون، على الأقل إلى حد الحرب العالمية الأولى، يميلون إلى اتخاذ موقف متحفظ إن لم يكن عدائياً تجاه الإسلام. وقادهم هذا النمط من العقلية إلى نوع من السلوك المنحرف، وعدم قبول فكرة استبدال عقائد متفوقة (أي المسيحية واليهودية) بديانة بدائية ودخيلة (أي الإسلام)».[3] ويفترض الباحث الأمريكي لاري بوستون بأنه منذ أن كان المسلمون لا يركزون على ربط اعتناق الإسلام بظاهرة غيبية، مقارنة مع خبرة المسيحية في الاعتناق، فإن المؤرخين المسلمين اعتبروا اعتناق الإسلام قضية معيارية، ولذلك ليس هناك حاجة لتدوينها.[4]

دراسات قليلة لظاهرة اعتناق الاسلام

وفي السنوات العشرين الأخيرة حدث اهتمام ملحوظ بهذا الموضوع. وفي هذا الصدد يمكن تقسيم الدراسات والبحوث المتعلقة باعتناق الإسلام إلى فئتين:

الأولى، هي الدراسات التي تتناول الاعتناق التاريخي للإسلام. فهي تسلط الضوء على عملية أسلمة المجتمعات بواسطة الفتوحات العسكرية وتأثيرات العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ومن أشهر هذه الدراسات كتاب «الدعوة إلى الإسلام» للمستشرق الإنكليزي توماس آرنولد وقد نشره عام ١٨٩٦ والذي تناول فيه انتشار الإسلام في آسيا وأفريقيا وأوربا ؛ و كتاب «اعتناق الإسلام في العصور الوسطى» (١٩٧٩) للباحث الفرنسي ريتشارد بوليه الذي

1 - Poston, L. (1992), *Islamic Dawah in the West*, p. 158

2 - Bulliet (1979), p. 4

3 - Humphreys, R. S. (1995), *Islamic History*, p. 274

4 - Potson, (1992), p. 158

تناول الدوافع الاجتماعية والاقتصادية لاعتناق الإسلام في مجتمعات إيران والعراق ومصر وتونس وسوريا واسبانيا؛ و كتاب «اعتناق الإسلام» (١٩٧٩) الذي حرره الباحث الإسرائيلي نيميا ليفتزيون حيث جمع فيه مجموعة من البحوث والدراسات التي غطت مناطق جغرافية متنوعة عبر التاريخ.

والفئة الثانية، هي الدراسات التي تناولت ظاهرة الاعتناق المعاصرة. وقد تركز على اعتناق جماعي في منطقة جغرافية معينة في آسيا وأفريقيا،[١] أو تتناول حالات اعتناق فردية في المجتمعات الغربية. والقسم الأخير هو الذي يهم بحثنا ويحظى باهتمامنا في هذه الدراسة، وسنستعين بها لدراسة هذه الظاهرة.

أما الأدبيات العربية فتكاد تخلو من أي بحوث أكاديمية، سيكولوجية أو اجتماعية، تدرس موضوع التحول الديني من وجهة نظر علمية. ولم أعثر على كتاب أو مقال يتناول تفسير اعتناق الإسلام سواء مؤلفاً بالعربية أو مترجماً من لغة أخرى، سوى المقال الذي نشرته عام ١٩٩٦ وهو نتيجة بحث ميداني أجريته أثناء دراستي الماجستير في جامعة ليدن وهو بعنوان «اعتناق الإسلام في الغرب: الأسباب والدوافع».[٢] ولا يعني ذلك عدم وجود كتابات تتعلق باعتناق الإسلام، بل هناك العديد من الكتب والمقالات التي تنشر بالعربية تتضمن قصص اعتناق بعض المسلمين في أوربا وأمريكا وآسيا، إذ تهتم بعض الدوائر والمؤسسات الإسلامية الناشطة في مجال الدعوة إلى الإسلام بنشر سيرة حياة وقصص بعض المسلمين الغربيين أو الشرقيين الذي كانوا ينتمون إلى ديانات أخرى كالمسيحية واليهودية والبوذية.[٣] ولعل كتاب (الطريق إلى مكة) لمحمد أسد من أشهر هذه الكتب، وكذلك كتابات مريم جميلة ومراد هوفمان ويوسف إسلام وجيفري لانغ.

---

1 - See:
-Eaton, R. (1985), Approaches to the study of Conversion to Islam in India, in Richard M. Martin (ed), *Approaches to Islam in Religious Studies*.
- Andrew Wingate, *Astudy of Conversion from Christianity to Islam in Two Tamil villages*, Religion and Society 27, (4) Dec. 1871
- Edward A. Alpers, Towards a History of the Expansion of Islam in East Africa: The Matrilineal Peoples of the Southern Interior, in T.O. Ranger & I. N. Kimambo (1972) (edrs), *The Hstorical Study of African Religion*, Heinemann: London.

٢ - صلاح عبد الرزاق، اعتناق الإسلام في الغرب: الدوافع والأسباب، مجلة الفكر الجديد، العدد (١٣-١٤)، الصادر في حزيران ١٩٩٦

٣ - مثل: - الشوادفي الباز أحمد حسن الشنقيطي (١٩٩٧)، لماذا اسلم هؤلاء القساوسة؟ مكتبة العبيكان، الرياض.
-مصطفى فوزي غزال، نساء نور الله قلوبهن، شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.
-عرفات كامل العشي (١٩٨٣)، رجال ونساء أسلموا، أكثر من تسعة أجزاء، دار القلم، الكويت
-طارق السيد خاطر (١٩٩٢)، اخترنا الإسلام دينا، المختار الإسلامي، القاهرة.
-الشبراوي عبيد (١٩٩٥) (اعداد)، لهذا اعتنقت الإسلام، القاهرة.
-حذيفة عبد الكريم الأمريكي (١٩٩٥)، هل تعرف لماذا غيرت دين آبائي؟، مكتبة العبيكان، الرياض.
-جيفري لانغ (١٩٩٥)، الصراع من أجل الإيمان، دار الفكر، دمشق.

صعوبات الأخذ بالنظريات الغربية

لا حاجة للقول بأنه لحد الآن لا توجد نظرية قادرة على تفسير ظاهرة اعتناق الإسلام لأن النظريات الغربية التي يطبقها بعض الباحثين على ظاهرة اعتناق الإسلام، قد تم تطويرها واختبارها في بيئة وثقافة وخلفية مسيحية. على العموم، إن تطبيق هذه النظريات على اعتناق الإسلام لا يخلو من مشاكل إلى حد ما، لأن التغير الديني يتضمن عناصر اجتماعية ونفسية وثقافية مشتركة، ولكن هناك دوافع مختلفة تشجّع الشخص وتجعله منجذباً للإسلام. إن النظرية التي نتطلع إليها يفترض بها أن تجيب على الأسئلة التالية: لماذا يختار هؤلاء الناس الإسلام دون غيره من الديانات؟ بالاضافة إلى العوامل الاجتماعية والعاطفية، هل توجد عوامل أخرى تميّز الإسلام عن غيره من الأديان؟ ما هي العوامل التي تدفعهم لاعتناق الإسلام؟

لقد بذل الباحثون في اعتناق الاسلام جهوداً كبيرة لاعطاء تفسيرات مناسبة لهذه الظاهرة، لكنهم غالباً ما يعتمدون على النظريات السيكولوجية والاجتماعية والأنثروبولوجية الغربية. ولكن لا يمكن اعتبار هذه النظريات عالمية وصالحة للتطبيق في كل بيئة وكل مجتمع. وحتى الباحثين الغربيين أنفسهم يعترفون بأن نظرياتهم مقيدة بالبيئة والثقافة الغربية. يقول لويس رامبو Lewis Rambo: "يجب أن نعترف بوضوح بأن القيود الصارمة للسيكولوجية العلمية scientific psychology قد تم تطويرها أساساً في أوربا وأمريكا. ومع بعض الإستثناءات، فإن السيكولوجية العلمية قد وضعت بناءً على البحوث التي استخدمت العنصر الأوربي وثقافته وتراثه. وبسبب ذلك، فإن أنماط الحياة العائلية وأشكال الفردية والشخصية وأعراف الصحة العقلية وغيرها قد تختلف عن أولئك الذين ينتمون إلى عرق آخر أو قومية أو أصول أخرى. إن معظم السيكولوجيين يميلون إلى إضفاء صفة العالمية على أفكارهم الشخصية ودوافعها وذاتيتها وذهنيتها. فمن الخطأ الفظيع استخدام السيكولوجيا على أناس غير غربيين أو ينتمون إلى خلفيات من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية".[1]

مؤخراً، حاول ألان رونالد Alan Roland تطوير نظرية سيكولوجية تأخذ الاختلافات الثقافية بنظر الاعتبار وتفتح الطريق أمام أشكال ذاتية أخرى modalities of subjectivity. فقد طوّر نمطاً من الذاتية selfhood ذات قيمة ثقافية متقاطعة. وبدلاً من المفهوم المضخم للعزلة الفردية في الغرب وعقلية الجماعة في الشرق، يؤكد رونالد على أبعاد الذاتية التي لديها تشديدات emphases أخرى في الثقافات المختلفة وفي مراحل مختلفة من حياة الشخص. وهذه الأبعاد الخمسة هي ذات الفرد، عائلته، روحيته، تطوره وخصوصيته. وكل هذه الأبعاد تكون موجودة

1 - Rambo (1999), *Theories of Conversion: Understanding and Interpreting Religious Change*, p. 263

بدرجة أو أخرى في كل ثقافة. وقد أعطى رونالد تحليلاً أساسياً لفهم الذات الغربية التي تلعب دوراً هاماً في عملية الاعتناق. فقد لاحظ رونالد أنه " في الغرب، أعطيت الذات الفردية مكانة خاصة بين الناس المتعلمين والمدينيين (من مدينة). هؤلاء الناس لديهم أجواء أخرى من الذاتية، ولكن في حالات كثيرة بدرجة أقل. إن القاعدة في الغرب هي أن الفرد معزول ومستقل بذاته، وأنه يصنع قراراته بناء على حسابات عقلانية، بعيدة عن الضغط العائلي أو قيود الديانة التقليدية.[1]

1 - Rambo (1999), *Theories of Conversion: Understanding and Interpreting Religious Change*, p. 264

الفصل الخامس

نظريات تفسير ظاهرة اعتناق الإسلام

الفصل الخامس

نظريات تفسير ظاهرة اعتناق الإسلام

استخدم الباحثون في اعتناق الإسلام في الغرب أمثال بوستون وكوزه ودوله وولرب وهوفمان وأليفي وسلطان، مختلف النظريات السيكولوجية والاجتماعية والأنثروبولوجية لتفسير الدوافع التي تقود الشخص إلى اعتناق الإسلام. وقام هؤلاء الباحثين بتطوير النظريات والتفسيرات التالية بصدد اعتناق الإسلام:

١-تحسين الوضع الاجتماعي Improvement of Social Status

خلال دراسته عن الاعتناق التاريخي للإسلام في منطقة الشرق الأوسط، "اعتناق الإسلام في عصر القرون الوسطى"، يرى ريتشارد بوليه بأن "الفرد إنما يغيّر دينه من أجل مصلحة شخصية وتحسين حالته الاجتماعية". ويناقش بأنه "لا أحد يتحول من دين إلى آخر بشكل طوعي إذا كان ذلك يقلل من شأنه الاجتماعي".[1] إن هذه النظرية تتناول فترة زمنية ومنطقة أخرى غير التي تتناولها هذه الدراسة. وعلاوة على ذلك فهي تتناول اعتناق جماعات من غير المسلمين تعيش في ظل حكم إسلامي. وهذه الحالة تختلف عن البيئة للمعتنقين المعاصرين في أوربا الغربية.

٢-التحليل الوظيفي The Functional Analysis

في مقالتها "اعتناق الإسلام بين التوفيقية والمعركة الرمزية" تستعير مونيكا وولرب-سار فكرة روبرت ميرتون Robert Merton الخاصة بالتحليل الوظيفي لدراسة اعتناق الإسلام في ألمانيا والولايات المتحدة. وترى أن الاعتناق في الغرب هام بنيوياً بسبب هيكله المزدوج: الدين والثقافة اللتين يتركهما المعتنقون، والاسلام كنظرة جديدة مختارة للعالم، بحيث لا يستطيعون مطابقتهما تماماً. فالتوفيقية Syncretism والمعركة الرمزية Symbolic Battle تتميزان باعتبارهما أشكالاً لقبول الإسلام و لربط الهيكل الأصلي للعلاقة. وتناقش مونيكا بأنه "في حالات كثيرة يعزى قبول دين غريب عبر اعتناقه إلى مشاكل الاندماج أو الانفصال في البيئة الاجتماعية للمعتنق. وفرضيتي تقوم على أن الدين الغريب يصبح وسيلة للتمفصل ضمن البيئة الاجتماعية للفرد أو الابتعاد مسافة عنها و العلاقة الصراعية معها".[2] وعبر تحليل ثلاث حالات من بين ٤١ معتنق

1 - Bulliet (1979), p. 37

1 - Wohlrab-Sahr, M. (1999), *Conversion to Islam: between Syncretism and Symbolic Battle*, p. 352

قابلتهم، حاولت الباحثة الاجابة على السؤال الذي طرحته: ما هي المشكلة التي تم حلها من خلال اعتناق الإسلام، ولماذا حُلّت باعتناق دين أجنبي؟ على أية حال لم تشرح الباحثة لماذا يختار المعتنق الإسلام دون غيره من الأديان غير الأوربية، وكيف استطاع الإسلام حلّ مشكلته؟

لقد ركزت الباحثة على البعد الاجتماعي لعملية الاعتناق، في حين توجد عوامل أخرى، ثقافية وسيكولوجية وكذلك دوافع فكرية وعقائدية لها تأثير في اتخاذ قرار التحول إلى دين آخر. وكما ذكرنا من قبل، فإن عملية التحول الديني هي عملية تراكمية وتفاعلية ومركبة. فهي ليست أحادية العامل، إذ لا يوجد عامل واحد فقط يؤدي إلى اعتناق دين آخر. كما أنها ليست عملية واحدة، ولا تتم في مرحلة واحدة، وليس لها نتيجة واحدة فقط.

٣-العوامل البيئية Contextual Factors

في دراستها "اختيار الإسلام: دراسة عن المعتنقين السويديين" تناقش مادلين سلطان ظاهرة اعتناق الإسلام بين السويديين من منظور فردي. فقد قامت بإجراء مقابلات مع ٣٠ إمرأة ورجل سويديين ممن اعتنقوا الاسلام. وتنطلق من نظرة شاملة في مناقشتها لهذه الظاهرة حيث أنها تأخذ في نظرالاعتبار كل العوامل المؤثرة من أجل الوصول إلى تفسير شامل. فهي توافق على أن الاعتناق عملية معقدة تتضمن مراحل مختلفة خلال التشكيل التدريجي للهوية الدينية. كما تؤكد على "مختلف العوامل التاريخية والثقافية والدينية التي تحيط بالشخص، إضافة إلى العوامل الفردية التي قد تخلق أنواعاً مختلفة من الاعتناق".[1]

وتبدي الباحثة اهتماماً أكبر بالبيئة التي يحدث فيها الاعتناق. فهي ترى بأن «السويد اليوم تشهد بداية نهضة دينية. فالعصر الجديد والوثنية الحديثة تنادي كثير من الناس. فقد تجدد الاهتمام بالجوانب الصوفية للديانات العالمية، كما جذبت الفرق المحافظة والأصولية لهذه الديانات اهتماماً ملحوظاً». ولكن الباحثة تلاحظ بأنه ليس كل الأديان تشهد تيارات من الأتباع الجدد مثل كنيسة الدولة State Church أو الكنيسة السويدية الحرة Swedish Free Churchism. وتعزو هذه الظاهرة جزئياً إلى العلمنة Secularization في المجتمع وإلى الحقيقة التي تقول بأن "الناس يبحثون عن ديانات أخرى غير التي اعتادت عليها ثقافة الأغلبية السويدية". ولكن الباحثة لم تعط أي تفسير للسبب الذي يدعو السويديين إلى البحث عن ديانة غريبة عن ثقافتهم ومجتمعهم، ولماذا لا يعود "العلمانيون" إلى الديانة المسيحية أو الكنيسة اللوثرية السويدية بدلاً من الإسلام؟

توضح الباحثة بعض الآليات الاجتماعية الهامة في خلق الهوية الإسلامية مثل دور وظيفة الصراع والمثالية Idealization والاستصغار Belittlement في عملية الاعتناق. وقد سعت إلى الاجابة على السؤال التالي: ما هي القيم ونمط الحياة الذي وجده المعتنقون السويديون جذاباً

1 - Sultan, M. (1999), *Choosing Islam: A Study of Swedish Converts*, p. 326

في الإسلام قبل اعتناقهم؟ ثم تجيب قائلة: يمكن تمييز مفهومين جذباهم إلى الإسلام. الأول، هو فكرة الرجولة Manhood والأنوثة Womanhood بالإضافة إلى العائلة الأبوية. والثاني هو فكرة أن الإسلام يمثل الحقيقة الموضوعية. وتتعمّق الباحثة في فهم هذه الفكرة من خلال ذكرها دوافع الذين قابلتهم والتي تؤكد على صفات فريدة للإسلام مثل: الإسلام يمنح الأمن، الإسلام لديه قواعد واضحة ونظام منطقي وفلسفي، ولديه عقيدة تتناول قضايا العدالة السياسية والبيئة والتعاليم القانونية، وأن الإسلام يعطي معنى للحياة، وغيرها.

في كتابه "الطريق إلى مكة" يكرس مراد هوفمان وهو ألماني اعتنق الإسلام، فصلاً ليسلط الضوء فيه على اعتناق الإسلام في ألمانيا. يوافق هوفمان على رأي باحثين قاموا بدراسة ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب ويرى أنه" لا توجد طرق بعينها تدفع الإنسان وتؤدي بع إلى الإسلام، وإنما هناك دروب شخصية عديدة لا حصر لها تدفع إليه".[1] ويضيف هوفمان: يظهر أن المسلمين الأوربيين يلبون اليوم نداء داخلياً كما حدث مع أسلافهم أمثال الشيخ رينيه غينو (١٨٨٦-١٩٥١) ومحمد أسد (١٩٠٠-١٩٩٢) الذي فسّر اعتناقه الدين الإسلامي بأنه نتاج عملية نضج. ويرى هوفمان بأن «رحلة الوصول إلى الإسلام تمر أحياناً عبر طرق ودروب غير مباشرة. ليس هذا فحسب، بل وعبر طرق تثير الدهشة والعجب. فالإنضمام لعضوية جماعة إشتراكية، أو مغازلة البوذية، تعتبر إحدى الخطوات المعتادة، بل التقليدية، التي تصل بهؤلاء الناس عاجلاً أو آجلاً إلى المحطة النهائية.. إلى الإسلام».[2]

يقسّم هوفمان المسلمين الألمان إلى أربع فئات إجتماعية وهي:

١-الألمان الأجانب، وهم الألمان الذين يعملون في البلدان الإسلامية. وهؤلاء وجدوا طريقهم إلى الإسلام من خلال إقامتهم في هذه البلدان. وتضم هذه المجموعة مهندسين وفنيين وعمال صيانة وتركيب وخبراء في مختلف المجالات والتخصصات. ويشاركهم هذه الحال أعضاء السلك الدبلوماسي العاملون في السفارات الألمانية والملحقون العسكريون.

٢-الأزواج، وهم الألمان الذين أحبوا مسلمات ولم يكن يجوز لهم الزواج منهن إلا بعد إسلامهم. ولقد قبل البعض منهم اعتناق الإسلام ليظفر بزوجته فقط لا غير. ولكن من يمد لله إصبعاً، فسيأخذ الله بيده إلى الطريق المسقيم.

٣-الشباب، وهم الذين يعترضون على انحرافات المجتمع الصناعي الحديث، ويريد أن يهرب من هذا المجتمع، ويبحث بالتالي عن مخرج أيديولوجي. فهؤلاء يبحثون عن مجتمع عالمي

١ - مراد هوفمان (١٩٩٨)، الطريق إلى مكة، ص ١٢٣

٢ - مراد هوفمان (١٩٩٨)، الطريق إلى مكة، ص ١٢٤

أكثر عدلاً، تسوده أخلاقيات رفيعة.. مجتمع يخلو من تقسيمات وتدرجات هرمية معقدة.. مجتمع يبعث وينشر الدفء الإنساني.. مجتمع يوفر للإنسان السند، ويمنح الحياة معنى عميقاً.. تلك الحياة التي فقدت قيمتها وأهميتها. وينحاز (الخضر) ممن اعتنقوا الإسلام إلى الجماعة الإسلامية بألمانيا، ويميلون إليها، لأنهم يجدون فيها البيئة الدولية -خاصة مع أناس من العالم الثالث- التي يقدرونها كثيراً.

٤-علماء الإسلام، وهم المتخصصون في الدراسات الإسلامية. ففي ألمانيا توجد ١٩ جامعة، تضم كل واحدة منها قسماً للدراسات الإسلامية. هؤلاء الطلبة يقدمون على دراسة الاستشراق لانجذابهم وشعورهم بميل للمنطقة العربية-الاسلامية. وما تلبث الدراسة أن تصبح أكثر من مجرد مواد تدرس، أو تصبح تلبية لنداء داخلي.[١]

٤-الإعتناق الواعي Conscious Conversion

في دراسته "الدعوة الإسلامية في الغرب" التي شملت ٧٢ معتنقاً أمريكياً، يؤكد لاري بوستون Poston على أنه "في معظم الحالات لا توجد أية أزمة نفسية، أو معنى لليأس، أو شعور بالضياع أو اليأس يقود الأفراد إلى البحث عن حل ديني لمواجهة مصاعبهم".[٢] ويرفض بوتسون ما يسميه كونوي Conway وسيغلمان Siegelman بالنهش طالما أنه لا توجد صراعات ذهنية عاطفية تبحث عن حلول مستعجلة. ويؤكد بوستون بثقة على أن "المعتنقين لم يتحولوا إلى بليدين أو أموات فاقدي القدرة على الكلام والحركة، يعزلون أنفسهم عن المجتمع".

ويضيف "على العكس، أغلبهم من الشخصيات الحميمية والمنفتحة والواعية تماماً والمدركة ليس بمحيطهم المحلي فحسب، بل بالجوانب العالمية للدين الذي اعتنقوه. إن خبرات اعتناقهم هي نهاية نتجت من عملية بحث طويلة، وخيار متعمّد وصلوا إليه بعد تفكير وتمعّن في مختلف البدائل الأخرى". ثم يستنتج بوستون بأن "هذه نظرة عقلانية تخالف النظرة العاطفية للدين.

ومثل هذا الموقف يعارض بوضوح توصيفات ستاربوك Starbuck للمسيحيين الذين درس حالاتهم والذين تميزوا بشدة إنفعالية عالية"، كما يرفض بوستون فكرة ستاربوك التي ترى بأن "الطبيعة الكلية للمعتنق تكون في حالة عالية من التوتر tension، وأن الحواس تكون مرهفة جداً".

---

١ - مراد هوفمان (١٩٩٨)، الطريق إلى مكة، ص ١٢٣-١٢٤

2 - Poston (1992), p. 169

ويناقش بوستون قائمة ستاربوك التي تضم ثمانية عوامل مؤثرة في الاعتناق وهي:

١-الخوف من الموت والنار.
٢-دوافع حب الذات.
٣-دوافع حب الغير.
٤-اتباع مثال أخلاقي.
٥-الندم والشعور بالإثم.
٦-الضغط الاجتماعي.
٧-القدوة وتقليد الآخرين.
٨-الاستجابة لدراسة تعاليم ذلك الدين.

ويرفض بوستون معظم هذه العوامل لأنها لا تنطبق على اعتناق الإسلام، بل أن بعضها يختص بالمسيحية مثل الشعور بالإثم.

ويؤكد بوستون بأنه على العكس فإن غالبية المعتنقين تقريباً "لم يعتقدوا بأنهم مذنبون بالمعنى الذي تدعيه المسيحية بأن جميع البشر آثمون".[1] كما يرفض بوستون اكتشافات كونوي Conway وسيغلمان Siegelman التي ترى بأن الاعتناق يترافق مع خبرات غيبية.

فقد لاحظ بأن هناك ثلاثة حالات فقط من بين ٧٠ معتنق يمكن وصفها بوجود قوى غيبية.[2] ويلاحظ بوستون بأن اعتناق الإسلام يختلف كلياً عن اعتناق المسيحية، حيث أن الاعتناق في الإسلام يكون «تحولاً في الرأس» أي فكرياً، وليس «تحولاً في القلب» أي عاطفياً.[3] ومع ذلك فإن بوستون لا يمكنه أن يهمل العوامل العاطفية والاجتماعية والسيكولوجية ودورها في اعتناق الكثير من الغربيين مثل دور علاقة الحب أو الزواج بشريك مسلم.

ويوافق بوستون على فكرة لوفلاند Lofland وستارك Stark التي تقول بأن المعتنق المستعد Potential convert يمكن أن يوصف بأنه باحث Seeker عن دين جديد، وأنه يمكن تطبيقها على اعتناق الإسلام. كما يقبل بوستون بفكرة "نقطة الانعطاف" The turning point إذا ما وقعت في الوقت الذي يرفض فيه الشخص ديانة والديه أو ثقافتهما. ويؤيد بوستون تأثير "الاستجابة للتعاليم" في عملية الاعتناق.

وعلى العكس من دراسة ستاربوك الذي وجد أن ١٠٪ فقط من المعتنقين قد تأثروا بتعاليم الدين الجديد، فإن بوستون وجد أن ٧٥٪ من معتنقي الإسلام قد ذكروا أنهم تأثروا بتعاليم الإسلام بعد أن اطلعوا عليها.[4] ويؤكد بوستون في دراسته على أن «اعتناق الإسلام يختلف عن اعتناق أي دين آخر. فاعتناق الإسلام ينشأ عبر قرار عقلاني ونظرة واقعية خلال رحلة البحث والمقارنة مع الخبرات الدينية الأخرى».

---

1 - Poston (1992), p. 175
2 - Poston (1992), p. 170
3 - Poston (1992), pp.170-171
4 - Poston (1992), p. 176

٥-البحث عن نظرة جديدة للعالم Seeking a new worldview

في دراسته "سيكولوجيا التحول الديني" يتناول الباحث محمد دوله Muhammad Asin Dollah موضوع اعتناق الإسلام بشكل عرضي. وتتلخص نظرة دوله بأن الإنسان يبحث عن رؤية جديدة للعالم بحيث يمكن أن تقوده إلى اعتناق ديانة أخرى. ويرى أن "اعتناق الإسلام يعني الإنتقال أو القفز من نظرة عالمية إلى أخرى كنتيجة لعدم الاستقرار Instability أو الانفصام عن النظرة الموجودة. وتشمل النظرة الفردية أو الاجتماعية معاً".[1] بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والعاطفية التي تعود للزواج المختلط بين الأزواج الذين ينحدرون من خلفيات عرقية ودينية مختلفة، يؤكد دوله بأن عدم الرضا بالنظرة الموجودة للعالم قد تقود بعض الأفراد إلى التحول إلى دين آخر. فالاستياء قد يتولد من أسباب متنوعة مثلاً، فشل ديانة معينة بتزويد أتباعها بأجوبة أو حلول لمشاكل كبيرة في الحياة. وعلى سبيل المثال إن التغير السريع في الحياة الاجتماعية المعاصرة تولد أسئلة كثيرة حول الحياة: مغزاها، جدواها، هدفها، وخاصة لدى بعض المتدينين. فإذا عجزت الديانة الحالية عن اعطاء أجوبة مقنعة، فالمؤمن يبقى يبحث عن الأجوبة في ديانة أخرى. وبينما يعترف دوله بأن «هناك أشخاصاً قليلين تحولوا إلى دين آخر بهذه الطريقة» لكنه يعتبرها واحدة من أهم العوامل الدافعة لإعتناق الإسلام. ويذكر على سبيل المثال اعتناق مريم جميلة (أمريكية من أصل يهودي اعتنقت الإسلام) والرسول بولص (مؤسس المسيحية، وكان يهودياً ثم اعتنق المسيحية).

ويشير دوله إلى أن النظرة العلمانية للعالم غير قادرة على اعطاء أجوبة لبعض القضايا كالموت والحياة الآخرة وخلق الكون. كما يرى دوله أن الخبرة الدينية للفرد قد تلعب دوراً حاسماً في تحوله إلى دين آخر. فقد تقوده إلى أن يصبح أكثر تديناً ثم ليبدأ بالتساؤل حول دين والديه. فهو يرى بأن «الفرد الذي عاش في بيئة دينية معينة يقبل الدين باعتباره جزء من نظرته للعالم. ولكنه في بعض الأحيان ينظر لهذا الدين بشكل أعمق من الآخرين. وقد تقوده عوامل عديدة إلى التفكير بالدين باعتباره أسمى مصدر للمعنى في الحياة. فإذا ما فكّر بذلك، فسيصبح أكثر تديناً كلما كان متضلعاً في ذلك الدين».[2]

مثل هؤلاء الأفراد قد تسنح لهم الفرصة لقراءة بضعة كتب حول أهمية ومساهمة الدين في تشكيل المجتمع، على سبيل المثال. هذه القراءات تمنحه اطلاعاً جديداً وفهماً أعمق لفائدة الدين. عندها سيرى أدوار الدين في بيئة أوسع وكذلك علاقات الدين بالعالم الاجتماعي. هذه الخبرات قد تقوده إلى رتبة أعلى في انهماكه الديني، وبالتالي يصبح أكثر تديناً. إن مشكلة الموت، كما يرى

1 - Muhammad Asin Dollah (1979), *The Social Psychology of Religious Conversion*, p. 103

2 - Dollah (1979), p. 121

دوله، تقود الشخص كي يصبح أكثر تديناً إذا كان متديناً بسيطاً. فقد يعتقد بأن الموت ليس نهاية البشرية، لكن يوجد حياة أبدية في الآخرة. إن التغير السريع للعالم الحديث يؤثر في الواقع الاجتماعي. فهو يولّد تحديات للأفراد ويشوش استمرارية وجود النظرة العالمية، وتبدو كما لو أن النظرة الحالية للعالم صارت غير منسجمة مع العالم الاجتماعي الحالي. ولذلك فمن الممكن للأفراد أن يتحولوا إلى ديانة أخرى من أجل الحصول رؤية جديدة للعالم لأن الرؤية الحالية قد تعرضت للتصدع.[1]

٦-الأسباب الدينية Religious Reasons

في دراسته القيمة "اعتناق الإسلام" التي أجراها حول المعتنقين البريطانيين، يناقش الباحث التركي علي كوسه Ali Köse النظريات الاجتماعية والسيكولوجية المتعلقة بتغيير الدين. ويرفض العوامل السيكولوجية والمراهقة العاطفية القلقة. ويذكر أن ٧٠٪ من الأشخاص الذين أجرى دراسته عليهم لم يكن لديهم فترة مراهقة عاطفية قلقة Emotionally troubled adolecesnc[2] ويؤكد على أن اعتناق الإسلام يحدث بعد فترة المراهقة. وأن التساؤل حول بعض عناصر الديانة السابقة يجعل معتنق المستقبل عرضة لمختلف الأفكار القريبة من الإسلام.[3]

ويولي علي كوسه اهتماماً كبيراً بدور البيئة الغربية العلمانية وعملية العلمنة التي مرت بها المجتمعات الغربية في تشكيل العامل الرئيسي لاعتناق الأوربيين ديانة أخرى غير المسيحية، مثل:

١-إضمحلال الدين The decline of religion

جاء ذلك كنتيجة لتطور المجتمع العلماني. فالعلمنة صارت من أقوى معالم التحول الديني المعاصر في الغرب. ويرى بعض المراقبين الغربيين مثل ويلسون B. Welson ومارتن D. Martin بأن هناك "تقلصاً مستمراً في تأثير الدين عليالمجتمع وعلى حياة الناس كنتيجة لصعود دور العلم والتكنولوجيا، وإحلال حياة القرية بحياة المدينة بتحدي المكان ودور الدين في المجتمع".[4]

إن العلمنة تقود المعتنقين الغربيين إلى البحث عن خيارات دينية أخرى مثل الإسلام. «فهم يؤمنون بأن الإسلام يمنحهم الوسائل العملية للإقتراب من الله، والعيش حياة جيدة، واكتساب السلام في هذه البيئة العلمانية».[5] إن إعتناق الإسلام عند بعض المعتنقين يعني التحول من ثقافة علمانية إلى أخرى غير علمانية أو أقل علمانية. فهم بحاجة إلى دين يستطيع توجيه حياتهم اليومية.

---

1 - Dollah (1979), p. 125

2 - Ali Köse (1996), *Conversion to Islam*, p. 49

3 - Ali Köse (1996), p. 93

4 - Ali Köse (1996), p. 74

5 - Ali Köse (1996), p. 78

٢-فشل الكنيسة المسيحية The failure of the Christian Church

منذ مسيحية العصور الوسطى وصعود حركة التنوير، تشهد أوربا جواً أكثر علمانية. إن حركة الإصلاح فرضت على الأوربيين فصلاً بين المسيحية والثقافة. ويرى كوسه بأن ذلك قد أدى إلى تحلل أخلاقي تدريجي، طالما أن المسيحية كانت تعتبر مصدر المعايير الأخلاقية. لقد فقدت الكنيسة دورها المؤثر على المجتمعات الأوربية. ففي بريطانيا هناك ١٠٪ فقط يقبل بالحقيقة المطلقة للكتاب المقدس، و١٥٪ من البالغين مرتبطين بالكنيسة. أحد المعتنقين يؤمن بأن "واحداً من أسباب ضعف الكنيسة هو الاستعداد لتغيير أحكامها لتلائم التغييرات في المجتمع، وبالتالي فلم تعد الكنيسة عامل استقرار للمجتمع. فهي تسير وراء الحاجة العلمانية".[1]

وهناك بعض الانتقادات للكنيسة تركز على حالة النفاق عند الكنائس وعجزها عن قيادة الناس في القضايا الأخلاقية. فبعض المعتنقين يرى أن الكنيسة مستعدة لأية تسوية وحتى القبول بالشذوذ الجنسي. فالسؤال المطروح هو: هل ما زال الغرب يعتبر مسيحياً؟ وهل الثقافة الغربية الحديثة مبنية على القيم المسيحية؟ الجواب هو أن الثقافة الحديثة تفقد تدريجياً معالم المسيحية، و أن أوربا تعيش مرحلة ما بعد المسيحية Post-Christian stage.

٣-الاتصال بالمسلمين Contact with Muslims

إن غالبية حالات اعتناق الإسلام تحدث من خلال وسائل عديدة للإتصال بالمسلمين. رغم أن ٢٣٪ من الذين حاورهم كوسه Kose قد ذكروا أن أول إتصال لهم بالإسلام كان من خلال الأدب والكتابات التي تتحدث عن الإسلام، لكن من النادر أن تنشأ عملية اعتناق دون اتصال إنساني بين شخص مؤمن بذلك الدين وشخص معتنق له فيما بعد. إن المستعد للإعتناق بحاجة إلى مناقشة الكثير من الأمور المتعلقة بالعقائد والأحكام والشعائر الإسلامية. وقد يتأثر هؤلاء المستعدون للإعتناق potential converts بالمحيط، ويقضون أوقات كثيرة بين المسلمين سواء كانوا أصدقائهم في الدراسة أو العمل أو عائلات مسلمة تسكن بجوارهم، أو لقضائهم فترات زمنية معينة في بلدان إسلامية سواء للسياحة أو العمل أو القيام بأبحاث أو دراسات هناك. كما يوفر الحضور الإسلامي المتزايد في البلدان الغربية فرصاً كبيرة للأوربيين للإحتكاك بالمسلمين. كما يخلق إنشاء المساجد والمراكز الإسلامية والمحاضرات والكتب الإسلامية باللغات الأوربية أجواء جديدة مفعمة بالأفكار والخبرات الروحية. يلاحظ أن معدل اعتناق الإسلام قد ارتفع مع زيادة نمو الجاليات المسلمة في البلدان الغربية. كما تؤدي حالات الزواج بين مسلمين وغير مسلمات إلى اهتمام الشركاء الغربيين بالعقائد والطقوس الإسلامية. لاحظ كوسه أن ٢٠٪ من

1 - Ali Köse (1996), p. 75

المعتنقين الانكليز قد كانوا متزوجين بمسلمين أثناء عملية اعتناق الإسلام.[1] من الجدير بالذكر أن النساء تشكل الغالبية من الغربيين المعتنقين للإسلام، وأكثريتهن متزوجات بمسلمين.

٤-أنماط الاعتناق Modes of Conversion

هناك عوامل ودوافع ذاتية تشجع أو تعجّل عملية الاعتناق. فقد تكون لديهم قناعات فكرية Intellectual convictions أو أسباب إدراكية Cognitive reasons. يذكر لوفلاند-سكونوفد Lofland-Skonovd ستة أنماط للإعتناق هي:

١-النمط الفكري Intellectual mode حيث يكون الشخص على اطلاع على عدة خيارات أيديولوجية وأساليب للحياة من خلال بحث ذاتي وجهد فردي عبر قراءة الكتب ومشاهدة التلفزيون أو طرق أخرى.

٢-النمط الصوفي Mystical mode والذي يتميز بتوقد روحي هائل أو صدمة روحية شديدة. ولا يمكن التعبير عن هذه التجربة بمصطلحات منطقية مترابطة.

٣-النمط التجريبي Experimental mode حيث يتخذ الشخص المستعد للإعتناق موقفاً تجريبياً بعنوان "أرني Show me"، كما أنه يبدو مستعداً لتجريب هذا الدين أو المعتقد الجديد على نحو التجربة ليرى نتائجه بنفسه.

٤-النمط التأثري Affectional mode حيث يحتل تقليد أشخاص آخرين من الملتزمين بتلك الديانة دوراً مركزياً في عملية الاعتناق.

٥-النمط الاحيائي Revival mode حيث يتعرض الفرد إلى إيقاظ نفسي وانجذاب صوفي ووجد عاطفي وإثارة روحية في بيئة جماعية ذات تأثير تحولّي Transforming effect على الفرد.

٦-نمط غسيل الدماغ Brain-washing mode الذي يحدث فقط في حالات نادرة جداً وظروف خاصة، ولكن هناك من يدعي أنه يحدث أو منتشر لدى بعض الديانات الجديدة في العالم الغربي.[2]

بعد أن يناقش كوسه كل نمط يقول «أن الذين يعتنقون الإسلام يجدون طريقهم له بشكل رئيسي عبر ثلاثة دوافع هي: الفكرية والتأثرية والتجريبية». ويلاحظ أن «٧١٪ من دوافع اعتناق الاسلام هي فكرية، و٦٠٪ منها تجريبية، و٦٦٪ منها تأثرية».[3] ويؤكد كوسه على أن الاكتشاف الفكري للإسلام من قبل المعتنقين يسبق عملية الاعتناق. ويوجد بينهم من اعتنق الإسلام بدافع فكري خالص، حيث كانت مشكلته الرئيسية هي قبول فرضيات الدين باعتبارها حقيقة، والذي كان التغيير المركزي عنده هو قبول نظام عقائدي آخر.

---

1 - Ali Köse (1996), p. 114

2 - Ali Köse (1996), pp.96-97

3 - Ali Köse (1996), p. 98

٧-الاعتناق العلاقاتي والاعتناق العقلاني Relational and Rational Conversion

في كتابه (معتنقو الإسلام، المسلمون الأوربيون Les convertis à l 'Islam: Les nouvaux musulmans d' Europe) يقدم ستيفانو أليفي Stefano Allievi تقسيماً نوعياً لاعتناق الإسلام بناءً على معلوماته الميدانية التي جمعها في دراسته. فهو يميّز بين نوعين من الاعتناق هما الاعتناق العلاقاتي Relational conversion والاعتناق العقلاني Rational conversion. ويعتبر النوع الأول أي العلاقاتي نتيجة علاقات اجتماعية تهيئ فرصاً تجعل الشخص المستعد يفكر بتغيير دينه.

إذن هناك علاقات إجتماعية معينة تمنحه خبرات جديدة تقوده فيما بعد إلى إعتناق الإسلام. أما الاعتناق العقلاني فهو مسألة فردية بحتة يكون الشخص فيها باحثاً عن نظام جديد قادر على الاستجابة لمتطلباته الفكرية و حاجاته الدينية (الروحية-الصوفية).[1]

٨-عوامل دافعة مختلفة Different Motivional Factors

في كتابه (الطريق إلى مكة) يكرس المفكر المسلم الألماني مراد هوفمان فصلاً يسلط فيه الضوء على اعتناق الاسلام في ألمانيا. يشير هوفمان إلى دراستين نشرتا بالألمانية هما (من دين إلى آخر) و(ألمان هداهم الله)، ثم يؤيد ما توصل إليه مؤلفو هذين الكتابين من نتائج بأنه لا توجد "طرق بعينها تدفع الإنسان وتؤدي به إلى الإسلام، وإنما هناك دروب شخصية عديدة لا حصر لها تدفع إليه". ثم يضيف هوفمان "يتبين أن المسلمين الأوربيين يلبون اليوم نداء داخلياً، كما حدث مع أسلافهم العظام رينيه جينو (١٨٨٦-١٩٥٢) ومحمد أسد (١٩٠٠-١٩٩٢) الذي فسر اعتناقه للدين الإسلامي بأنه نتاج عملية نضج".[2] بحسب أرضية دوافعهم، يقسّم هوفمان المعتنقين الألمان إلى أربعة فئات هي:

١-الألمان الأجانب هم الألمان الذين يعملون في البلدان الإسلامية، ووجدوا طريقهم إلى الاسلام من خلال إقامتهم في هذ البلدان. وتضم هذه الفئة مهندسين وفنيين وعمال صيانة وخبراء في مختلف المجالات والتخصصات. ويشاركهم في ذلك أعضاء السلك الدبلوماسي العاملون في السفارات الألمانية في الخارج والملحقون العسكريون والثقافيون والتجاريون.

٢-الأزواج الألمان، وهم الألمان الذين أحبوا مسلمات، ولم يكن أمامهم سبيل للزواج بهن إلا بعد إشهار إسلامهم، لأن الإسلام يمنع زواج المسلمة بغير المسلم. ولقد قبل بعضهم اعتناق الإسلام من الزواج بمن يحب لا غير.

---

1 - Allievi (1998), p. 95

٢ - مراد هوفمان (الطريق إلى مكة) / ص ١٢٣

٣-الشباب المعترض على المجتمع الغربي، فغالباً ما تضم هذه الفئة شباباً يعترض على انحرافات المجتمع الصناعي الحديث، ويريد الهروب من هذا المجتمع، ويبحث بالتالي عن مخرج أيديولوجي. فهؤلاء يبحثون عن مجتمع عالمي أكثر عدلاً، تسوده أخلاقيات رفيعة.. مجتمع يخلو من تقسيمات وتدرجات هرمية معقدة.. مجتمع يبعث وينشر الدفء الانساني.. مجتمع يوفر للإنسان السند، ويمنح الحياة معنى عميقاً.. تلك الحياة التي فقدت قيمتها وأهميتها. وينحاز أنصار البيئة و «الخضر» ممن اعتنقوا الإسلام إلى الجالية الإسلامية في ألمانيا، ويميلون إليها، لأنهم يجدون فيها «البيئة الدولية» -خاصة مع أناس من العالم الثالث- التي يقدرونها كثيراً.

تمر رحلة الوصول إلى الإسلام أحياناً عبر طرق ودروب غير مباشرة.. ليس هذا فحسب، بل وعبر طرق تثير الدهشة والعجب. فالانضمام لعضوية جماعة إشتراكية، أو مغازلة البوذية، تعتبر إحدى الخطوات المعتادة، بل التقليدية، التي تصل بهؤلاء الناي عاجلاً أو آجلاً إلى المحطة النهائية: الإسلام.

٤- المتخصصون بالدراسات الإسلامية في ١٩ جامعة ألمانية تضم كل واحدة منها قسماً للدراسات الإسلامية. هؤلاء الطلبة يقدمون على دراسة الاستشراق لانجذابهم وشعورهم بميل للمنطقة العربية-الإسلامية. وما تلبث الدراسة أن تصبح أكثر من مجرد مواد تدرس أو تصبح تلبية لنداء داخلي.[١]

١ - مراد هوفمان (الطريق إلى مكة) / ص ١٢٣-١٢٤

الفصل السادس

دوافع إعتناق المفكرين الغربيين للإسلام

الفصل السادس

دوافع إعتناق المفكرين الغربيين للإسلام

نظرة نقدية للدراسات المتعلقة بإعتناق الإسلام

تعتبر النظريات والتفسيرات الآنفة الذكر جهوداً كبيرة لفهم ظاهرة التحول الديني. إن الباحثين في اعتناق الإسلام يستخدمون شتى النظريات التي تسعى لتفسير التغير الديني من أجل توضيح طبيعة هذه الظاهرة والعوامل المؤثرة فيها. وهم يتناولون مختلف الدوافع التي تؤدي إلى اعتناق الإسلام. وبهذا الصدد لدي مجموعة من الملاحظات:

١- إن اعتناق الإسلام مثل بقية التحولات الدينية إلى الديانات الأخرى، إذ يتضمن دوافع نفسية واجتماعية. وهذه الدوافع نوقشت من قبل مختلف النظريات التي قدمها علماء النفس والتحليل النفسي والإجتماع. وهذا يعني أن معتنقي الإسلام قد يعانون أيضاً من أزمة نفسية Psychological crisis أو مشكلة اجتماعية Social problem والتي بدورها تحتاج إلى حل روحي. وقد يوجد هذا الحل في الاسلام باعتباره خياراً دينياً، أو في علاقة مع مسلمين تقود إلى اعتناق الإسلام فيما بعد. إذن، قد يقدّم الدين الإسلامي حلاً مناسباً لمشاكل نفسية أو اجتماعية يعاني منها أشخاص مستعدون للإعتناق. واستناداً إلى البحوث الخاصة باعتناق الإسلام، مقارنة مع اعتناق المسيحية، يبدو أن تأثير الدوافع النفسية أو وجود شخصيات مضطربة أو خبرات غيبية قليل جداً.

٢- معظم البحوث التي تعنى باعتناق الإسلام، مع بعض الاستثناءات، لا تعير اهتماماً للأسباب الفكرية باعتبارها عوامل هامة في اعتناق الاسلام. إن نقد المعتنقين للمجتمع العلماني الغربي والثقافة الغربية تمثل قضية فكرية عميقة. إن رفض العلمنة والمنظور المادي للمجتمع يوضح عمق الأزمة الفكرية التي يواجهها الفرد الغربي المعاصر. هؤلاء الأفراد يرفضون العديد من النتائج التي أحدثتها عمليات العلمنة Secularization، والتحديث Modernization، والتمدّن Urbanizationفي المجتمع الغربي المعاصر. فهم يجدون أن العلمانية تفتقد لنظام أخلاقي متماسك أو قيم جوهرية قادرة على إرضاء حاجات الإنسان الروحية. وبدلاً من الثقافة الغربية الحديثة التي تعجز عن إشباع حاجاتهم الفكرية، فهم يتطلعون إلى بدائل دينية أخرى تمنحهم ثقافة أخرى غير الثقافة الغربية التي لا يريدونها. إنهم يؤمنون بأن مشاكلهم المعرفية Cognitive problems وأسئلتهم المتعلقة بهدف ومعنى الحياة الإنسانية قد تم حلها عبر اعتناق الإسلام لأن "الإسلام

قدم لهم فلسفة كاملة للحياة. إنه ينادي بمسؤولية المرء وبمستقبل الحياة".[1] إنهم بحاجة إلى نظرة جديدة للعالم تستطيع تفسير العلاقات المتبادلة بين الفرد والمجتمع والكون، وأن تأخذ بنظر الاعتبار العدالة الاجتماعية ومسؤولية الأفراد عن أفعالهم. وهذا ما يفسر الحقيقة التي تؤكد أن الذي يعتنقون الإسلام إنما يعتنقونه في سن متأخرة حيث يكون إدراكهم قد تطور ونضج بشكل يكون فيه قادراً على تقييم ومناقشة الأفكار والعقائد والخيارات بوعي كامل.

هناك العديد من الحالات التي يبدو فيها الأشخاص عاديين جداً ولديهم وضع مستقر ولا يبحثون عن أي خيار ديني آخر، ولكنهم وبالصدفة يلتقون بمسلمين أو يكونون عرضة لقراءة القرآن الكريم، فيكتشفون معرفة جديدة، ثم تنشأ لديهم أسئلة حول دينهم وعقائدهم السابقة. هذه الأسئلة الفكرية والعقائدية لم يجدوا لها إجابات في دياناتهم السابقة. وهذا ما يقودهم إلى نقد دياناتهم، ثم يبدأون تدريجياً بالاقتراب من الإسلام. وبهذا الصدد يمكن ذكر اعتناق المطرب الإنكليزي السابق كات ستيفنس الذي تحول إلى الداعية يوسف إسلام[2]، وأستاذ الرياضيات الأمريكي جيفري لانغ[3] والطبيب الفرنسي موريس بوكاي[4]، باعتبارها أمثلة قوية على هذه الحالات. إن العامل الرئيسي في اعتناقهم الإسلام هو قراءة القرآن وتأثرهم العميق به. وهنا تطرح الأسئلة التالية: ما هو تأثير النص القرآني على هؤلاء الناس؟ أين يكون تأثير القرآن ؟ هل هو في خطابه للعقل البشري وفهم احتياجاته؟ أن أنه يمثل نداءً للتفكير المنطقي والواعي في البشرية والطبيعة والكون؟ وهل حقاً وجد هؤلاء الناس أن الإسلام يمثل الحقيقة التي يبحثون عنها؟

٣- هناك اهتمام ضئيل جداً بالبعد العقائدي في التحول الديني. إذ يبدو أن الباحثين في ظاهرة الاعتناق والذين يناقشون قضية دينية لكنهم يتعمدون الإهمال الكامل للدوافع الدينية أو الأسباب العقائدية في هذه الظاهرة. وحتى عندما ينسبون التحول الديني إلى حاجات روحية بهدف التكيّف مع أزمة نفسية أو اجتماعية معينة، فهم لا يجيبون على السؤال التالي: إذا كان هؤلاء المعتنقون بحاجة إلى حياة دينية أو بديل روحي فلماذا يتحولون عن ديانة آبائهم؟ أو بطريقة أخرى: لماذا يتركون المسيحية ويعتنقون الإسلام؟ فمن الممكن أن يصبحوا أكثر تديناً من خلال دينهم نفسه ولا حاجة لتغييره بآخر. أعتقد أن الإجابة تكون من خلال الملاحظات التالية:

1- Ali Köse (1996), p. 192

٢ - كان شقيق يوسف إسلام في زيارة إلى إسرائيل، وعند عودته جلب له معه نسخة من القرآن الكريم بالإنكليزية قرأها وتأثر بها. (كات ستيفنس (الإسلام ديني) / ص ٥).

٣ - قام بعض الأصدقاء السعوديين الدارسين في أمريكا بإهداء نسخة من القرآن الكريم مترجمة (جيفري لانغ (الصراع من أجل الإيمان) / ص ٢٤)

٤ - درس موريس بوكاي القرآن الكريم كجزء من دراسة مقارنة بين الكتب المقدسة قام بها ثم أدت به إلى اعتناق الإسلام، نشرها بعنوان (الكتاب المقدس، القرآن والعلم الحديث)

الأولى: هو فشل المسيحية في إعطائهم أجابات مقنعة لأسئلتهم. فهم يعتقدون أن المسيحية غير قادرة على تقديم الحياة الروحية التي يرغبون به لأن الكنيسة المسيحية مستعدة للتسوية مع متطلبات المجتمع العلماني، والتنازل عن قواعدها وعقائدها. إنهم يقولون أن المسيحية قد فقدت تأثيرها وسيطرتها على أتباعها. ويرى كثيرون منهم أن بعض العقائد المسيحية، كالتثليث والتجسد والتكفير عن الخطايا وأن المسيح ابن الله ووساطة رجال الكنيسة، سببت لهم الإرباك والغموض. إن مثل هذه العقائد تفتقد لقاعدة منطقية، أو بالكاد يمكن قبولها، وأنها تشجع المستعدين للإعتناق على البحث عن خيار ديني آخر ذي إيمان مقنع ومتماسك.

الثانية: بهدف تفسير ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب، أعتقد أنه من الهام التركيز ليس على «الجانب المتأثر» أي الأفراد المعتنقين أنفسهم فقط، بل الاهتمام أيضاً بـ«الجانب المؤثر» أي الإسلام نفسه. يجب دراسة سبب انجذاب المعتنقين الغربيين بالإسلام؟ لماذا يجذبهم الإسلام بالذات؟ ماهي ميزات الإسلام الرئيسية التي تسهّل عملية اعتناق الإسلام؟ لماذا يقبلون الأحكام والقيود الإسلامية في حين تشن وسائل الإعلام الغربية الحملات الدعائية المضادة والمستمرة ضد الإسلام؟ ولماذا يقبلون على دين يوصف دائماً من قبل الإعلام الغربي بأنه عدواني ومتعصب ومتخلف وضد الحضارة الغربية؟ وما الذي وجده هؤلاء المعتنقون في الإسلام جعلهم يديرون ظهورهم لكل هذه الاتهامات ضد الإسلام؟

الثالثة: في رحلة البحث عن الحياة الروحية، فإن كثير من معتنقي الإسلام قد قاموا بتجريب عقائد وأديان أخرى مثل البوذية والهندوسية وهاريكريشنا، لكنهم مع ذلك حافظوا على إيمانهم بالإسلام ولم ينتقلوا إلى غيره، رغم أنهم كانوا ينتقلون من دين إلى آخر بسهولة. فإذا كانت لديهم أزمة نفسية أو مشاكل إجتماعية، فلماذا لم يتمكنوا من حلها بنجاح من خلال اعتناقهم أديان أخرى غنية بالروحيات ووجدوا الحل في الإسلام فقط؟ فهل وجدوا توازناً بين الماديات والروحيات، وبين الفرد والجتمع، وبين الإنسان والطبيعة؟ أم أنهم وجدوا في الإسلام نظاماً متماسكاً يضمن السلام والسعادة لكل البشرية لأن تعاليمه تسمو على التمييز القومي والعرقي والعنصري؟

٤- من معالم اعتناق الإسلام أن عدداً كبيراً من المعتنقين الغربيين إنما دخلوا الإسلام من خلال الطرق الصوفية. «فالطرق الصوفية تتحمل حصة رئيسية في نشر الإسلام، ولكنها ايضاً تلعب دوراً هاماً في تعزيز اعتناق الإسلام».[1] إن ٣٣٪ من الإنكليز الذين يعتنقون الإسلام يأتون إليه عبر الطرق الصوفية.[2] إن الطرق الصوفية ما زالت تجذب الكثير من المعتنقين الغربيين من

1 - Levtzion (1979), p. 17

1 - Ali Köse (1996), p. 142

مختلف الطبقات الاجتماعية والأعمار والمستويات الدراسية، رجالاً ونساء. وهنا يمكن الإشارة إلى مجموعة من المفكرين الأوربيين أمثال الفيلسوف الفرنسي رينيه غينون، والصوفي الإنكليزي مارتن لنغز والفيلسوف السويسري فريتهوف شاون والمستشرق السويسري تيتوس برنكهارت. وأما الأسكوتلندي عبد القادر الصوفي فقد أسس فرقة صوفية أوربية تدعى «المرابطون». فهؤلاء المعتنقون يبحثون عن خبرات روحية وأخلاقية لأن المجتمعات الغربية ما تزال تسير نحو حياة لادينية ورفض الإيمان بالله. في هولندا مثلاً، كانت نسبة الذين يؤمنون بالله هي ٤٧٪ عام ١٩٦٦. وخلال ثلاثين عاماً انخفضت النسبة إلى ٢٤٪ عام ١٩٩٦،[1] إن انجذاب الأوربيين إلى الطرق الصوفية قد يمثل رفضاً للحياة المادية الغربية والثقافية والغربية وكذلك المسيحية.

٥- من المعالم الملحوظة في اعتناق الإسلام المعاصر هي أن غالبية المعتنقين من الإناث. وفي الوقت الذي لا توجد معلومات إحصائية، لكن توجد تقديرات عامة تؤكد ذلك. ويرى الباحثون في الاعتناق أن ارتفاع نسبة الإناث الغربيات في اعتناق الإسلام يعود إلى العلاقات العاطفية مع الرجال المسلمين، سواء قبل الزواج أو بعده. وهذا التفسير ربما يصدق على على معظم الحالات، ولكن توجد حالات أخرى كثيرة تكون فيها النساء الأوربيات قد اعتنقت الإسلام دون وجود علاقة عاطفية مع مسلمين. فهن لديهن دوافعهن الخاصة في البحث عن بديل ديني غير ما ذكر من قبل. على أية حال، تطرح هذه الظاهرةمجموعة أسئلة تتعلق بانجذاب النساء الغربيات إلى الإسلام: لماذا تترك هؤلاء النساء الحرية والثقافة الغربية ويدخلن في نظام صارم مليء بالممنوعات والمحرمات وطاعة الرجال؟ لماذا يرتدين الحجاب الإسلامي الذي يعتبر بظر كثير من الغربيين مظهراً للإضطهاد وقمع المرأة المسلمة؟ إذا كانت وسائل الإعلام الغربية تقدم المرأة المسلمة بأنها عاجزة، أمية، وأقل من متاع يملكه الرجل، فلماذا تعتنق النساء الغربيات الإسلام؟

هذه القضية بحاجة إلى دراسة موسعة وتحليل عميق من اجل التوصل إلى تفسيرات مناسبة لفهم الدوافع الحقيقية التي تجعل هؤلاء الغربيات يعتنقن الإسلام. يعتقد الباحث الأمريكي لاري بوستون أن الصورة السلبية للإسلام في الغرب «تجد تأثيراً ضئيلاً في عيون المرأة الغربية المعاصرة. وكذلك المعايير الشرقية التقليدية في الملابس والتفاعل الإجتماعي لا تعتبر حكماً إجبارياً في البيئات الغربية».[2]

إعتناق المفكرين الغربيين للإسلام

إن اعتناق الإسلام عملية متعددة الجوانب، تراكمية، متفاعلة وتدريجية. فلكل معتنق

2 - G. Dekker, J. De Hart & J. Peters (1997), *God in Nederland*, p. 18

3 - Poston (1992), p. 164

دوافعه الذاتية وبيئته وظروفه. فلا يوجد عامل محدد واحد يكون المؤثر الحيوي في الاعتناق، بل هناك دوافع مختلفة في مراحل زمنية مختلفة. إن عاملاً معيناً قد يكون مؤثراً في مرحلة معينة من مراحل عملية الاعتناق، في حين يكون عامل يلعب دوراً هاماً في مرحلة أخرى.

ولتفسير ذلك أذكر مثالين: الأول، من أجل غرض علمي يقوم أحدهم بدراسة الإسلام، كبعض المستشرقين والمتخصصين بالإسلام، أو من خلال الفضول حين يقبل على قراءة القرآن. في هذه المرحلة، يجد هذا الشخص أن الإسلام والقرآن يزودانه بمعرفة جديدة ويجيبان على تساؤلاته الفكرية وأسئلته الدينية السابقة. وقد يبدأ هذا الشخص بالتفاعل مع هذا الدين الذي اكتشفه مؤخراً. وهذا التفاعل هو الذي يعبّد الطريق أمامه لاتخاذ قرار: اعتناق الإسلام. هنا تكون الدراسة والفضول عاملاً مؤثراً في الفترة الأولى، ولكن فيما بعد، تكون العوامل الفكرية والدينية هي المهيمنة على عملية الاعتناق.

والمثال الآخر، أنه في حالة علاقة الحب بين مسلم(ة) وشريك(ة) غير مسلم(ة). فالعوامل المؤثرة في الاعتناق قد تكون نفسية وإجتماعية. يقوم الشريك(ة) غير المسلم بالتحول إلى الإسلام من أجل الزواج أو الاحتفاظ بهذه العلاقة لوقت طويل. هنا تلعب العواطف دوراً هاماً في المرحلة الأولى، ولكنها بعد الاعتناق، فإن المعتنق الجديد قد يكتشف عالماً جديداً من الأفكار والعقائد والعلاقات في الإسلام. بعد ذلك، يصبح المسلم الجديد أكثر اهتماماً بالعقائد الإسلامية، ويبدأ بدراستها بجدية. ومن خلال نشطات فكرية مختلفة، قد يصبح مفكراً مسلماً. إن كثير من المعتنقين لم يكونوا مفكرين قبل اعتناقهم الإسلام، ولكنهم بواسطة دراستهم للإسلام وممارسة الدعوة الإسلامية ومناقشة غير المسلمين جعل منه داعية مشهوراً مثل يوسف إسلام، أو كاتباً معروفاً مثل مراد هوفمان وأحمد ثومبسون وعبد القادر الصوفي.

إن واحداً من العوامل التي تسهّل اعتناق الإسلام هو الاتصال بالمسلمين أو الأدب الإسلامي (نصوص إسلامية أو كتابات تتحدث عن الإسلام وتعاليمه). إذ من الصعب القبول بأن الإعتناق يحدث دون إتصال بالإسلام أو المسلمين. جميع المعتنقين لديهم مثل هذه الخبرة، سواء من خلال الاتصال الإجتماعي مع المسلمين أو التعامل مع الكتابات الإسلامية (قرآن، تاريخ الإسلام، تعاليم الإسلام...) بطريق الصدفة. وقد يكون الإتصال بالمسلمين عبر السفر إلى البلدان الإسلامية أو عبر العلاقات مع مسلمين يقيمون في الغرب.

ولكن هذه الحقيقة، بالطبع، لا تعني أن كل شخص لديه اتصال بالمسلمين سيعتنق الإسلام. فهناك أعداد كبيرة من المستشرقين والمتخصصين بالإسلام واللغة العربية والشريعة الإسلامية

والتاريخ الإسلامي والمجتمعات الإسلامية، لكنهم لم يعتنقوا الإسلام. وأكثر من ذلك، فهناك الكثير من رجالات الدولة والكتّاب والصحفيين والمفكرين والفلاسفة والعلماء الغربيين الذين أعربوا عن إعجابهم بالإسلام والحضارة الإسلامية لكنهم لم يدخلوا في الإسلام أمثال الأمير البريطاني جارلس، رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، العالم توماس كارليل، الزعيم الهندي المهاتما غاندي والكاتب الفرنسي ألفونسو لامارتين.[1]

دوافع المفكرين الغربيين لاعتناق الإسلام

إن المعتنق هو نتاج خلفيته وبيئته، فهو يتأثر بمختلف العوامل النفسية والاجتماعية والفكرية والسياسية والدينية والتي تقود الفرد لتغيير ديانته. والمفكرون الغربيون المسلمون ليسوا استثناء من ذلك، ولكن يتوقع منهم أن يكونوا أكثر عقلانية ويستخدمون طاقاتهم الفكرية في اتخاذ قرار تغيير دينهم. فهم أقدر من غيرهم على مناقشة الأمور بفكر ووعي.

وحسب مختلف تجارب المفكرين الغربيين المسلمين، وحسب نظريات التحول الديني فإن هناك دوافع مختلفة في مختلف الفترات والمراحل والتي تلعب دوراً في عملية اعتناقهم. ولعل هناك بضع عوامل تؤثر في نفس الوقت على الشخص المستعد للإعتناق، ويتغيّر تأثير كل عامل منها من مرحلة إلى أخرى طوال عملية الاعتناق التي تستغرق سنوات طويلة.

و اعتماداً على نظريات إعتناق الإسلام التي نوقشت من قبل، وعلى أساس البحوث والمواد المتوفرة (منشورة أو عبر المقابلات التي أجريتها معهم) فإن دوافع المفكرين الأوربيين التي تقودهم إلى اعتناق الإسلام يمكن تقسيمها كالتالي:

١ -البحث عن نظرة جديدة للعالم Seeking a new worldview

الشخصيات المفكرة تبحث عن نظرة جديدة للعالم عندما تعجز ثقافتهم ومجتمعهم ودينهم عن الاستجابة لحاجاتهم الفكرية وتساؤلاتهم الفلسفية. فإذا ما وجدوا أن نظاماً فكرياً معيناً يمنحهم تفسيرات مقنعة وحلولاً مقبولة للتساؤلات التي تشغل أذهانهم، وتزودهم بنظرة عالمية كاملة، فسينهمكون به، وسوف يستجيبون له، ويتفاعلون مع هذا النظام الفكري. بعد ذلك، وإذا ما أصبحوا مقتنعين تماماً به، فلن يترددوا في اتباع قواعده ومبادئه حتى لو أدى ذلك إلى أن يقودهم إلى اعتناقه.

---

١ - صرح الأمير جارلس أن «الإسلام أنتج للبشرية حضارة مزدهرة». وقال بلير «الإسلام دين التسامح والسلام». ويقول كارليل «إذا قرأت القرآن ستتأكد فوراً بأنه ليس من الأدب العادي. إن عمل فني يقفز من القلب سرعان ما يخترق القلوب الأخرى». ويؤكد غاندي «إذا كان الغرب يغط في الظلام، كان نجم الإسلام يسطع في الشرق، جالباً معه النور والسلام والغوث للعالم الذي يقاسي». وكتب لامارتين «إن ديناً (أي الإسلام) حمل المسؤوليات الثقيلة التي نشرها إلى مسافات، وحافظ على قوته الكبيرة لفترة طويلة، لا يمكن أن يكون كذبة. إنه حقيقي ومقنع». (راجع موقع www.hizmetbooks.org)

منذ عام ١٩٣٣ انتمى روجيه غارودي للحزب الشيوعي الفرنسي لأنه كان يعتقد أن "الشيوعية كانت الاختيار الوحيد الذي يطرح بديلاً للخروج من أزمة الرأسمالية. كما كانت أفضل جبهة تقاوم هتلر والنازية في هذه الفترة.. وفي فرنسا - على سبيل المثال- كان معظم المشتغلين بالكتابة والفنون وأساتذة الجامعات، وحائزي جائزة نوبل: إما أعضاء في الحزب الشيوعي أو أصدقاء للشيوعيين. وذلك بسبب الحالة السيئة التي نشأت عن أزمة الرأسمالية وتيار المقاومة لنازية هتلر".[١]

قبل اعتناقه الإسلام، كان غارودي يناقش بعمق مسألة الحوار بين الحضارات. إذ كان يؤمن بأن الحضارة الغربية ستقود البشرية إلى مستقبل مدمّر ما لم تنسجم مع الحضارات الأخرى. لقد رأى أن «الحل لن يكون إقتصادياً ولا سياسياً. الحل أعمق من هذه الأبعاد». ثم يستنتج أن «سر النجاة يكمن في الديانات.. إنه نداء الإيمان: يمكنك أن تسميه الله أو أي إسم آخر، لا مشكلة فيما تقوله حول الدين: أنا مسيحي، أنا مسلم أو ملحد. المهم أن هذا الإيمان يصنع حياتك، لأن الدين هو طريق للتفكير والاعتقاد. الإيمان هو الطريق للفعل».[٢] وفي نفس الوقت كان غارودي يبحث عن نظام أخلاقي وعقائدي جديد قادر على جمع الديانات التوحيدية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام. وجد غارودي ذلك النظام في الإسلام، لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يقبل بالديانتين الأخرتين.

كان غارودي قد اطّلع من قبل على الإسلام والمجتمع الإسلامي. ففي عام ١٩٤٤ كتب أول مقالة له بعنوان (المساهمة التاريخية للحضارة الإسلامية العربية). وفي نفس العام، دعي إلى حضور مؤتمر فكري بمناسبة افتتاح جامعة جديدة في تونس. وكان المؤتمر مكرساً لمناقشة (الإسهام التاريخي للحضارة العربية الإسلامية في الثقافة العالمية).[٣] في تلك المناسبة صرح غارودي أن «أكثر الفترات شؤماً في تاريخنا هي سنة ٧٣٢، وهي السنة التي وقعت فيها معركة بواتييه (جنوب فرنسا) حيث تراجعت الحضارة العربية (في الأندلس) في هذا اليوم أمام البربرية الفرنسية». وكان قد اقتبس هذه العبارة من الروائي والناقد الفرنسي الشهير أناتول فرانس (١٨٤٤-١٩٢٤). وفي تلك الفترة كان غارودي يوجه النقد لإدارة الإستعمار الفرنسي بسبب ظلمها للمسلمين الجزائريين.[٤]

---

١ - مصطفى حلمي (إسلام غارودي بين الحقيقة والافتراء) / ص ١٧

٢ - غارودي (سيرة حياتي) / فصل من كتاب بالفرنسية لم ينشر بعد أعطانيه غارودي أثناء زيارتي له في باريس في ١٤ تموز ٢٠٠١.

٣ - غارودي (الإسلام والقرن الواحد والعشرين: شروط نهضة المسلمين) / ص ١٦. يذكر غارودي حادثتين لهما صلة بهذا البحث، الأولى أنه اعتقل في اليوم الثاني من المؤتمر من قبل البوليس الفرنسي لأن تونس كانت تحت الاحتلال الفرنسي. وقد وجهت له تهمة (الدعاية المضادة لفرنسا). كما وجه إليه اللوم لأنه صرح في عدة مناسبات أن (أكثر الفترات شؤماً في تاريخنا هي سنة ٧٣٢، وهي السنة التي وقعت فيها معركة بواتييه (جنوب فرنسا) حيث تراجعت الحضارة العربية (في الأندلس) في هذا اليوم أمام البربرية الفرنسية. يقول غارودي: لقد ضحكت طويلاً من هذا الاتهام، لأن العبارة كان قد صرح بها أناتول فرانس (روائي فرنسي شهير). والحادثة الأخرى هي أن عبد الناصر استقبل غارودي عام ١٩٦٩ في مصر، أي بعد صدور الكتاب بخمس وعشرين عاماً، وترجم إلى العربية، فقال له عبد الناصر: أتدري أنني بفضل هذا النص الصغير عرفتك منذ زمن طويل.

٤ - كان غارودي يرأس تحرير صحيفة (الحرية) أثناء إقامته في الجزائر. ونشر مرة فضيحة قام بها المستوطنون الفرنسيون الذين كانوا

وكان محمد أسد ينتقد الحضارة الأوربية أيضاً. إذ كان يبحث عن حل لأزمة الثقافة الأوربية: «لم أكن أشعر بأي اندفاع نحو أي من الأهداف والمساعي التي غمرت الجو الفكري الأوربي في ذلك الحين، وملأت أدبها وفنها وسياستها بدوّي من المحاورات الفعالة.. شعرت شعوراً قوياً، حتى في ذلك الحين، أن التقدم المادي وحده لم يستطع أن يوفر الحل».[1] لقد وجد أسد أن الثقافة والحياة الأوربيتين عاجزة عن الاستجابة للحاجات الإنسانية. وبعد أن اندمج في المجتمع المسلم (في الشرق الأوسط) لم يفتقد ثقافته الأوربية السابقة لأنه شعر بأنه لا ينتمي إليها. أثناء إقامته في الجزيرة العربية، سأل نفسه: لماذا لم تكن الحياة التي اخترتها بنفسي لا ترضيني تماماً؟ وما هو الذي كان ينقصني في هذه البيئة؟ ثم يجيب: بالتأكيد لم تكن تنقصني الدوافع الفكرية الأوربية، لقد خلفتها ورائي، ولم أشعر مرة بأنها تنقصني».[2]

لقد احتلت العقائد الإسلامية فكر وعقل محمد أسد تدريجياً. إذ صار يقارن بين الأحكام والعقائد الإسلامية والآيات القرآنية بالأفكار الأوربية ومفاهيم الكتاب المقدس. لقد أعجب كثيراً بالمجتمع المسلم، إذ كتب عام ١٩٣٤ قائلاً: «لقد رأيت نظاماً اجتماعياً ونظرة إلى الحياة تختلف اختلافاً أساسياً مما هي الحال في أوربا. ومنذ البداية نشأ في نفسي ميل إلى إدراك للحياة أكثر هدوءً -أو إذا شئت- أكثر إنسانية، إذا قيست تلك الحياة بطريقة الحياة الآلية العجلى في أوربا. ثم قادني هذا الميل إلى النظر في أسباب هذا الاختلاف. وهكذا أصبحت شديد الاهتمام بتعاليم الإسلام الدينية».[3] لقد انبهر أسد بالمجتمع المسلم كثيراً وخاصة السلام الداخلي والعلاقات الإنسانية التي يتمتع بها أفراده حيث يقول: «كان كافياً لأن يعرض أمامي رأياً جديداً في امكان تنظيم الحياة الانسانية مع أقل قدر ممكن من النزاع الداخلي وأكبر قدر ممكن من الشعور الأخوي الحقيقي».

لقد غيّر هذا الإيمان نظرة أسد إلى العالم، حيث بدأ يؤمن بأن الإسلام هو الحقيقة الوحيدة والحل الأمثل لمشاكل البشرية. كما أنه لم يفكر في وجود نقطة ضعف فيه: «الإسلام، على ما يبدو لي، تام الصنعة، وكل اجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً. فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص في شيء، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص.

يملمون مزارع العنب، والذين أخفوا تقارير الكيمائيين التي تشير إلى نسبة السولفات في منتجات العنب، حيث تسبب في موت كثير من الأطفال، وذلك حتى يواصلوا بيعهم لهذه المنتجات. قام الجنرال كاترو الحاكم العام بسحب أوراق غارودي فاضطر لمغادرة الجزائر سراً.

١ - محمد أسد (الطريق إلى الإسلام) / ص ٨٧

٢ - محمد أسد (الطريق إلى الإسلام) / ص ٦١

٣ - محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) / ص ١٣

ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض (قد وضعت مواضعها) هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي».[1]

٢-الاعتناق العقلاني Rational Conversion

إن التحول الديني ليس عملية سهلة أو فجائية ولكنها عملية معقدة وتدريجية. وبحسب ما توصل إليه الباحث الأمريكي بوستون فإن عملية الاعتناق تستغرق ١٤ عاماً تقريباً،[2] أي من الوقت الذي يبدأ فيه الشخص برفض دينه السابق إلى أن يعتنق الإسلام. هذه الفترة الزمنية التي توصل إليها بوستون لا تسري على جميع المعتنقين، لكنها تشير إلى أن المعتنق يستغرق فترة ما، طويلة أو قصيرة، حتى يقتنع بالإسلام. وطوال هذه الفترة، يكون المعتنق مشغولاً بدراسة ومناقشة عقائد وشعائر وتعاليم الدين الجديد الذي يشغل اهتمامه. فهو يقرأ ويبحث في المصادر الإسلامية كالقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي والكتابات التي تناقض المفاهيم والعقائد والأحكام الإسلامية من أجل تعميق معرفته بالإسلام. فهؤلاء المعتنقون يبحثون عن إجابات لأسئلتهم المتعلقة بشتى القضايا الإسلامية مثل النظام الاجتماعي، قانون الأسرة، حقوق الإنسان، الحرية الدينية، وضعية وحقوق المرأة، المشاكل الاقتصادية والسياسية ورأي الإسلام فيها.

إن اعتناق الإسلام يختلف عن اعتناق الديانات الأخرى، فالمستعد للإعتناق يركّز أكثر على دراسة الإسلام من خلال الرجوع إلى النصوص والأدبيات الإسلامية بهدف الوصول إلى فهم واعي للإسلام وعبر جهد فكري وعقلاني. يستنتج بوستون أن ٧٥٪ من حالات اعتناق الإسلام بين الغربيين تعود إلى دراسة تعاليم الإسلام ثم الاقتناع بها.[3] إذن إعتناق الإسلام هو اعتناق عقلاني أكثر منه عاطفي أو انفعالي أو علاقاتي.

هناك بعض الحالات التي يكون فيها المفكرون المعتنقون قد قبلوا الإيمان الإسلامي دون وعي، ولكن من خلال العواطف. وهناك بعض المعتنقين الذين قاموا وبوعي بمناقشة العقائد الإسلامية ثم بدأوا تدريجياً يعجبون بها، ثم صاروا يؤمنون بالإسلام قبل أن يشهروا إسلامهم عبر النطق بالشهادتين، التي تؤكد إعتناقهم الإسلام رسمياً. لقد فكّر محمد أسد بالعقائد الإسلامية ثم وجد نفسه ينسجم معها. وبدأ يتحقق من الحلول التي يعرضها الإسلام للمجتمع الإسلامي. واكتشف أن التعاليم الإسلامية ذات مستوى أعلى وأرقى من مستوى سلوك المسلمين. يقول أسد «لقد تحققت تماماً أن ثمة شيباً واحداً فقط للإنحلال الاجتماعي والثقافي بين المسلمين، ذلك السبب يرجع إلى الحقيقة الدالة على أن المسلمين أخذوا شيئاً فشيئاً، يتركون اتّباع

١ - محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) / ص ١٥

2 - Poston (1992), p. 166

3 - Poston (1992), p. 176

روح التعاليم الإسلامية. فنتج من ذلك أن الإسلام ظل بعد ذلك موجوداً، ولكنه كان جسداً بلا روح.. وكنت كلما زدت فهماً لتعاليم الإسلام من ناحيتها الذاتية، وهظم ناحيتها العملية ازددت رغبة في التساؤل عما دفع المسلمين إلى هجر تطبيقها تطبيقاً تاماً على الحياة الحقيقية. لقد ناقشت هذه المشكلة مع كثير من المسلمين المفكرين...ثم زادت رغبتي في ذلك شدة حتى أني -وأنا غير المسلم- أصبحت أتكلم إلى المسلمين أنفسهم مشفقاً على الإسلام من اهمال المسلمين وتراخيهم».[1] واستمر تفاعل أسد مع الإسلام إلى درجة أنه آمن به دون أن يشعر، إذ انتبه إلى ذلك صدفة. فعندما كان في أفغانستان عام ١٩٢٥ في لقاء له مع حاكم إداري شاب، بادره هذا الشاب قائلاً: «ولكنك مسلم، غير أنك لا تعرف ذلك من نفسك». يعلّق أسد فيقول: لقد أثّرت فيّ هذه الكلمات، غير أني بقيت صامتاً. ولكن لما عدت إلى أوربا مرة ثانية عام ١٩٢٦ وجدت أن النتيجة المنطقية الوحيدة لميلي هذا هو أن أعتنق الإسلام.

هؤلاء المفكرون الغربيون قد يلتفتون إلى بعض الأفكار النقدية التي تشابه بعض المبادئ الإسلامية. ويرجع ذلك إلى أن الطبيعة البشرية التي يؤكد القرآن الكريم دائماً عليها. مثل هذه الأفكار والقيم المشتركة بين المفكرين تعود إلى مشاعرهم الإنسانية والتي ربما تطرح السؤال التالي: كيف يمكن إنقاذ البشرية من القمع والظلم؟

قبل اعتناقه الإسلام، كان مراد هوفمان يفكر ملياً بمحاضرة ألقاها مفكر مسلم جديد عهد بالإسلام هو الألماني محمد هوبوم M. Hobohm تناولت تعاليم الإسلام. وكان هوفمان نفسه مشغولاً بأفكار تبحث عن إجابات لتساؤلاته. فقد كتب رسالة قصيرة من ١٢ صفحة، عبر فيها عن رؤيته الفلسفية لما يعتقد أنه فلسفي حقاً. كما أدرج فيها خبراته الشخصية التي اكتسبها طوال سنين، وأراد أن يقدمها كهدية لولده بمناسبة عيد ميلاده الثامن عشر. وأراد هوفمان أن يطبع هذه الرسالة فذهب بها إلى ناشر مصري في مدينة كولون وأعطاها إياه. وبعد أن قرأها قال له: إن كنت مقتنعاً بما استخلصته، فأنت مسلم! يقول هوفمان: لم يكن بوسعي آنذاك أن أدرك هذا.. ومع ذلك فقد أقنعني برغبته في نشر هذا النص، عن طريق دار نشره، تحت عنوان "درب فلسفي إلى الإسلام".[2]

٣- الرغبة بالارتباط بالغيب Desire for Transcendence

يعيش المعتنقون الغربيون في ثقافة تسمح بمكان صغير للدين والروحيات والأخلاق. فالعلمنة والمادية تهيمنان على مختلف أنواع النشاطات في المجتمعات الأوربية في مجالات السياسة والاقتصاد والتعليم والاعلام وغيرها. وكثير من الناس يرغب بالارتباط بالله سبحانه وتعالى بشكل يغني

١ - محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) / ص ١٣-١٤

٢ - مراد هوفمان (الطريق إلى مكة) / ٢٩

حياتهم ويوسّع آفاق تفكيرهم وأذهانهم. وبالكاد يقبل علماء الاجتماع مثل هذه الدوافع الإيجابية كأسباب للإعتناق، بل يرونها عقلانيات لتعميق الدوافع التي (غالباً ما تكون مظاهر مَرَضيّة) تختفي خلف أفكار دينية. ومهما كانت الحالة، فبعض الناس يعتنق ديناً آخر دون وجود أزمة صريحة.[1]

كثيراً ما قام المعتنقون الأوربيون بنقد الثقافة الأوربية لأنها تحصر الدين في البعد الشخصي فقط، وأنه لا دور له أي دور أساسي في المجتمع. يقول محمد أسد: «إن المدنية الغربية لم تستطع حتى الآن أن تقيم توازناً بين حاجات الإنسان الجسمانية والاجتماعية وبين أشواقه الروحية. لقد تخلّت عن آدابها الدينية السابقة، دون أن تتمكن من أن تخرج من نفسها أي نظام أخلاقي آخر مهما كان نظرياً، يخضع نفسه للعقل».[2] وهذا يفسر لماذا ينتمي كثير من الغربيين إلى الطرق الصوفية أو يعتنقون الإسلام من خلال الجماعات الصوفية المسلمة. وليس لأنها تزودهم بحياة روحية غنية، بل لأنهم يرفضون الفصل التقليدي بين العلمانية والدين. فهم لديهم مفهوم واضح عن الله وكذلك عن مجموعة من المطالب الأخلاقية في نفس الوقت.

إن قسماً من المعتنقين يريدون حياة دينية عادية بحيث يحرزون بواسطتها توازناً بين الحاجات الروحية والجسدية. تتحدث المسلمة الهولندية ساجدة عبد الستار عن خبراتها الدينية فتقول: «منذ البداية، وحتى عندما كنت طفلة، كنت أبدي اهتماماً كبيراً بالدين. وكما تعلمت من الراهبات والقساوسة والمعلمين، انبهرت بجوهر الدين، أي دين. لم يكن أساسي في الإسلام فكرياً بدرجة رئيسية، ولكن كان روحياً... لقد تشكّلت المحاور الفكرية بطريقة مختلفة عن الخبرة الروحية والقناعات».[3] وحسب هؤلاء المعتنقين، فالإسلام يزودهم بسلام داخلي وقناعة وسعادة وطمأنينة قلبية وأخوة وإخلاص وعلاقات حميمة مع الآخرين.

٤ - فشل المسيحية Failure of Christianity

إن تغييب الدين في أوربا أدى إلى حدوث فراغ روحي. فالكنيسة المسيحية قد فشلت في ملء هذا الفراغ، وعجزت عن الاستجابة للحاجات الروحية للفرد الأوربي. يؤكد محمد أسد أنه "بسبب فقدان المقاييس الأخلاقية الموثوق بها، لم يستطع أحد أن يقدم إلينا، نحن الشباب، أجوبة مرضية عن كثير من الأسئلة التي كانت تحيرنا".[4] يبدون أن الكنيسة المسيحية قد فشلت في تقديم أجوبة مقنعة على الأسئلة العقائدية والفكرية التي كانت تدور في أذهان أتباعها. وينتقد

1- Rambo (1993), p. 51

٢ - محمد أسد (الطريق إلى الإسلام) / ص ٢٥٤

٣ - مقابلة أجريتها مع ساجدة عبد الستار في روتردام بتاريخ ١٧/ ١٠/ ٢٠٠١

٤ - محمد أسد (الطريق إلى الإسلام) / ص ٧٠

كثير من المعتنقين العقائد المسيحية مثل الخطيئة الأصلية التي تعتبر المرء خاطئاً وأنه يولد مع الخطيئة. تناقش ساجدة عبد الستار أن «المسيحية تحمل فكرة التثليث التي تجعل وحدانية الله غامضة. بلا شك في سياق العقيدة المسيحية، تحتل عقيدة ألوهية المسيح وظيفة ما. ولكن لو أخذتها من منظور أدبي وتاريخي، فإنك تمنح صفة الألوهية إلى رجل من لحم ودم، مدعياً أنه هو الله نفسه. كلا، لا يمكن القبول بذلك». وتشير السيدة ساجدة إلى موقف الكنيسة التي تقصي بقية الأديان، وتقارن هذا الموقف الإسلامي قائلة: «إن رجال الكنيسة يدعون أن عقيدتهم وحدها هي الصحيحة، وأن جميع الآخرين على خطأ. وعلى هذا الأساس فهم يرفضون بقية عقائد الناس الآخرين (غير المسيحيين). بينما نجد أن القرآن يقبل ويحترم جميع الأنبياء، وأن الله أنزل الوحي والأديان لجميع البشر في العالم».[1]

٥ - الأسباب الفكرية Intellectual reasons

المفكرون مشغولون عادة بأنواع الأفكار التي يمكنها أن تعطي أجوبة مقبولة على مختلف المشاكل السياسية والاقتصادية والفلسفية وغيرها. فإذا لم يجدوا أجوبة في ثقافتهم وديانتهم، فربما يتابعون البحث عنها في ثقافات أو منظومات فكرية أخرى. إن حصولهم على إجابات في نظام فكري آخر قد يقودهم إلى الاعجاب به، والتفاعل معه ومع بقية مكوناته بما فيها الدينية. لقد امتلأ المفكر الهولندي المسلم عبد الواحد فان بومل إعجاباً بالإسلام عندما استمع إلى داعية مسلم يتحدث بالضبط عما كان يراود مخيلته من أفكار منذ وقت قصير: "إن أول خبرة حقيقية لي مع المعنى الداخلي للإسلام كانت خلال محاضرة ألقاها واعظ باكستاني في أمستردام. ففي مقدمته تحدث بعمق عن العلاقة بين الكبير Macro والصغير Micro، ورؤية القرآن بصددها: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" (فصلت: ٥٣). لقد أوضحها بشكل ولّد في نفسي إنطباعاً كبيراً. قبل تلك المحاضرة كنت أفكر مع نفسي في ماهية العلاقة بين الماكرو والميكرو. لقد كانت نوعاً من الصدمة لي أن أكتشف وجود شيء مثل هذه القضية في الإسلام، في حين كانت لدي أفكاراً مختلفة جداً عن الإسلام. لقد أخذت مني خمس سنوات حتى توصلت إلى استنتاج بأن الإسلام كان هو طريقي".[2]

وكان غارودي يبحث عن أيديولوجيا تمنح السلام والأمن للبشرية، وتمنح الانسجام بين الأخلاق والسياسة، بين الروح والمادة، بين الفرد والمجتمع، بين الثقافات الغربية وغير الغربية، بكلمة واحدة: أيديولوجيا عالمية تضم كل البشر...دين يسمو فوق القومية والوطن واللغة والمستوى الاقتصادي للحياة...دين يمنح الحياة الإنسانية معناها الحقيقي، الإسلام. لقد وجد

١ - مقابلة أجريتها مع ساجدة عبد الستار في روتردام بتاريخ ١٧/ ١٠/ ٢٠٠١

٢ - مقابلة أجريتها مع عبد الواحد فان بومل في هليفرسوم بهولندا بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠١

في الإسلام النموذج لنوع من الحوار التوفيقي الذي كان مشغولاً به طوال ثلاثين عاماً.

أما هوفمان فقد كانت له تجربة ذات طبيعة جمالية ذات علاقة بالفن الإسلامي. كان في بداية حياته مولعاً بالفن الساكن كالرسم والنحت والعمارة والخط، وسرعان ما لفت انتباهه جمال الفن التشكيلي الذي يرى أنه يزداد إحساسنا به كلما زادت قدرته على الإيحاء بالحركة. وتطور هذا الاهتمام إلى انبهاره الشديد بعروض رقص الباليه، حتى صار ناقداً مرموقاً في الباليه يشرف على باب نقد الرقص في صحيفة ميونيخ المسائية عام ١٩٥٥، وعمل هوفمان بين ١٩٥٤ و١٩٨٠ ناقداً متخصصاً للباليه في صحف ألمانيا وبريطانيا وأمريكا. وعمل محاضراً لمادتي تاريخ وعلم جمال الباليه بمعهد كولونيا للباليه للفترة ١٩٧١-١٩٧٣.

خلال وجوده في الجزائر كدبلوماسي عام ١٩٦١ لفتت إنتباهه الأعمال المعمارية الإسلامية كالمساجد والمدارس والأبنية القديمة. يقول هوفمان: «ألهمتني أعمال معمارية، مثل قصر الحمراء في غرناطة والمسجد الكبير في قرطبة (بإسبانيا)، اليقين بأنها إفراز حضارة راقية رفيعة. واستوعبت جيداً ما كتبه راينر ريلكا بعد زيارته لكاتدرائية قرطبة، إذ كتب (..تملكني منذ زيارة قرطبة عداء وحشي للمسيحية. إنني أقرأ القرآن وهو يتجسد لي صوتاً يستوعبني بقوة طاغية، وأندفع بداخله كما تندفع الريح في الأرغن)». لقد انبهر هوفمان بالفن الإسلامي حتى فقد الإحساس تجاه الفنون الأخرى فيقول: «صار الفن الاسلامي وطناً جمالياً لي، مثلما كان الباليه الكلاسيكي من قبل. وأصبحت أرى الأعمال الفنية للعصور الإغريقية والرومانية والقوطية ولعصر النهضة مثيرة وعريقة بل وعبقرية، ولكنها لا تنفذ إلى داخلي، ولا تحرك عواطفي ولا مشاعري. إنني أدرك قوة جاذبية هذا الدين الآن أفضل من ذي قبل».[1]

دخلت الفتاة الإنكليزية هدى خطاب، سمانتا سابقاً، معهد الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن لدراسة اللغة العربية: «حتى ذلك الوقت، كانت لدي فكرة مشوشة عن الإسلام. وحالما بدأت بدراسة اللغة العربية وجدت نفسي منجذبة إلى الطريق الإسلامي. كان أحد المشرفين عليّ مسلماً، وبدأت ألتقي بمسلمين، وشاهدتهم كيف يعيشون حياتهم اليومية. لقد كنت أراقب حياة العائلة المسلمة. لقد انجذبت إلى أسلوب الحياة الإسلامية والقيم الأخلاقية وحجاب النساء أمام الرجال الأجانب». لقد كانت هدى خطاب تعاني من مشكلة نفسية تعود إلى طفولتها: «كنت أعاني من هيمنة رفاقي الإناث والذكور في المدرسة. ولذلك كنت أحب الفكرة التي لا تركّز على جسد المرأة».[2]

---

١ - مراد هوفمان (الطريق إلى مكة) / ص ٣٦

٢ - إمام محمد إمام (المسلمون الجدد)، منشور في موقع صحيفة الشرق الأوسط الصادرة في لندن.

٦- تجارب وخبرات شخصية Personal experiences

يشكل الإتصال بالمسلمين أرضية جيدة لغير المسلمين في الحصول على معلومات حول الإسلام. فبواسطة الزواج والعلاقات الاجتماعية مع المسلمين، توفرت للعديد من المعتنقين فرصة جيدة لتعميق معرفتهم بالدين الإسلامي. إن وجود الجاليات المسلمة في البلدان الغربية قد سهّل توفير هذه الفرص للغربيين الذين كثير منهم ربما لم يلتقوا بمسلم من قبل، سواء بسبب عدم وجود المسلمين في بلدانهم سابقاً أو عدم سفر هؤلاء الغربيين إلى بلدان إسلامية. إن وجود المسلمين إلى جانب الغربيين في الحي والشارع والعمل والمدرسة والمصنع جعل من المسلمين جزء ملحوظاً في المجتمعات الغربية. ولا تكاد وسائل الإعلام الغربية يوماً ما تخلو من خبر أو تقرير أو تعليق أو برنامج ذي علاقة بالإسلام والمسلمين. الأمر الذي يلفت إنتباه المجتمع الغربي إلى الإسلام والمسلمين، سلباً أو إيجاباً، وإن كانت صورة الإسلام سلبية في الغالب. من جانب آخر قامت الأقليات المسلمة بتأسيس الكثير من المساجد والمراكز الإسلامية التي تقام فيها الشعائر الإسلامية وتلقى فيها الدروس والمحاضرات الإسلامية. وتقام العديد من الندوات والمؤتمرات والحوارات الدينية والاجتماعات حول الإسلام والمسلمين. وهذه كلها توفر أجواء جيدة في تعريف الغربيين بالإسلام.

إن الأنظمة الغربية الديمقراطية تضمن للجميع الحرية الدينية وحريات ممارسة الشعائر الدينية والدعوة إلى الدين وحرية التعبير. فمن حق كل مواطن في البلدان الغربية التفكير والاعتقاد وممارسة أي دين أو قناعة دينية. ولا يستطيع أحد التدخل في قناعاته وتصرفاته الشخصية. هذه الحرية الواسعة تزيل جميع العوائق أمام الايمان بأديان أخرى غير المسيحية. إن البيئة الأوربية تمنح المستعدين للإعتناق خيارات عديدة لاختبار واختيار دين آخر دون مشاكل اجتماعية أو قانونية. هذا على العكس من البلدان الإسلامية حيث لا يحق للمسلم التحول إلى دين آخر، إذ يعتبر مرتداً، وقد يواجه عقوبات قانونية.

إن بعض المفكرين الغربيين قد التقى بالإسلام في البلدان الإسلامية. فقد سافر بعضهم أمثال محمد أسد إلى الشرق الأوسط وراقب المجتمعات المسلمة ودرسها عن قرب. ولكن بعض الحالات تشير إلى سفر المعتنقين إلى البلدان الإسلامية قد جاء صدفة ولأغراض أخرى، ولم تكن لهم دوافع لدراسة الإسلام أو المجتمعات الإسلامية. على أية حال كانت يمكن أن لا يكون لإقامتهم لعدة سنوات في مجتمع مسلم أي تأثير على مجرى حياتهم لولا تجاربهم الشخصية والمواقف التي مروا بها أثناء حوادث معينة جلبت إنتباههم للإسلام باعتباره أرضية للسلوك الاجتماعي والنظام الأخلاقي الذي يشكله الإسلام.

غارودي وتجربة المعتقل الجزائري

لقد مر كل من غارودي وهوفمان بتجارب مماثلة في مجتمعات إسلامية، ومن الصدفة أن يكون نفس المجتمع المسلم وهو الجزائر مع فارق في الزمن يقدر بعشرين عاماً وفي ظروف مختلفة. ففي الحرب العالمية الثانية كان غارودي أحد الناشطين في المقاومة الفرنسية ضد النازية والجيش الألماني الذي احتل فرنسا. في أيلول ١٩٤٠ تم اعتقاله من قبل قوات حكومة فيشي Vichi والقائد المارشال بيتيان Petian. ثم جرى تفسيره إلى الجزائر التي كانت آنذاك تحت الاحتلال الفرنسي كي يقضي فترة سجنه في معسكر تابع للجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية في منطقة جلفا، حيث قضى هناك ٣٣ شهراً. في أحد الأيام تزعم غارودي حركة تمرد في المعسكر، ثم تم تقديمه إلى محاكمة ميدانية سريعة حكمت عليه بالإعدام. أعطى قائد المعسكر أوامره للجنود الجزائريين المسلمين المنضمين للفيلق الأجنبي Foreign Legion بإطلاق النار على غارودي لتنفيذ الحكم. يقول غارودي: "لقد اندهشت عندما رأيت الجنود يمتنعون عن إطلاق النار باتجاهي. لم أستطع فهم ما يجري أو سبب امتناعهم لأنني لا أعرف العربية، وهم لا يتكلمون الفرنسية. بعد ذلك أمر القائد بإعادتي إلى المعتقل، ثم استفسرت عن الأمر من أحد الجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي، وكان يجيد الفرنسية فقال لي موضحاً: لم يكن امتناعهم عن إطلاق النار عليك لأنهم يحبونك، بل القضية تعود إلى الشرف والرجولة. فسألته: ماذا تعني؟ فقال: إن شرف المقاتل المسلم يمنعه من إطلاق النار على شخص أعزل. هذا هو العرف بين قبيلة (العبادات) التي ينتمي إليها أولئك الجنود. يضيف غارودي: لقد كانت هذه أول مرة أتعرف على الإسلام من خلال حادثة هامة جداً في حياتي.[١]

هوفمان وسائق الإسعاف المسلم

بعد أن التحق هوفمان بوزارة الخارجية الألمانية جرى تنسيبه للعمل في الجزائر للفترة ١٩٦١-١٩٦٢ بصفته ممثلاً للقنصلية الألمانية العامة. وكانت الجزائر آنذاك تعيش ذروة الجهاد ضد المحتلين، حيث كانت جبهة التحرير الجزائرية تقود مواجهة قوات الاحتلال و(منظمة الجيش السري) وهي منظمة إرهابية فرنسية تضم مستوطنين وجنوداً متمردين. يقول هوفمان: «كانت المعارك مستمرة، ولم يكن يمر يوم دون أن يسقط عدد غير قليل من القتلى في شوارع الجزائر. وغالباً ما يقتلون رمياً بالرصاص في مؤخرة الرأس من مسافة قريبة. ولم يكن لذلك من سبب إلا كونهم عرباً، أو لأنهم مع استقلال الجزائر. لقد شكّلت تلك الأحداث المحزنة أرضية لأول اتصال قريب لي بالإسلام الحي».[٢]

١- مقابلة أجريتها مع زوجيه غارودي في باريس في ١٤ تموز ٢٠٠١

٢ - مراد هوفمان (الطريق إلى مكة) / ص ٣٠

كان هوفمان يراقب سلوك مواقف الشعب الجزائري المسلم، وأندهش بمواقفه الإنسانية. ولاحظ أنهم رغم آلامهم ومعاناتهم تحت الإحتلال لكنهم كانوا أقوياء يصومون رمضان، ومتأكدون من النصر الحتمي على عدوهم. ثم صار يقارن بين ممارسات القوات الاستعمارية الفرنسية التي كانت ترتكب أفظع الجرائم وقتل أعداد هائلة من الناس وبضمنهم النساء، وبين الأخلاق العالية للجزائريين. ويصف هوفمان مشاعره بقوله: «لقد كنت أتساءل: ما الذي يجعلهم أقوياء هكذا؟ وما الذي يجعل هؤلاء السكان المحليين يتصرفون بهذا المستوى الراقي من التفكير والسلوك؟ ثم أدركت أن دينهم يلعب دوراً في كل شيء. ولكن أين يمكن أن توجد تعاليم هذا الدين؟ في كتابهم، إنه القرآن. فاشتريت نسخة مترجمة إلى الفرنسية، فقرأتها طويلاً كي أتعرف أكثر على الإسلام. ومنذ ذلك التاريخ لم أتوقف عن قراءتها حتى الآن».[1]

مرت السيدة رقية وارث مقصود، مثقفة إنكليزية، بتجربة مماثلة عندما التقت مصادفة بالإسلام عبر مجموعة من الطلاب المسلمين الذين استأجروا غرفاً في مسكنها. وكانت قبل ذلك قد عرفت شيئاً عن الإسلام باعتبارها تدرس مادة الدين، لكنها تأثرت كثيراً بهؤلاء الطلاب المسلمين: «لقد أعجبت بهدوئهم وشعرت بالأمن تماماً معهم. إذ لم يكونوا يسرقون أو يقومون بأي عمل مؤذ. ومن خلال حديثي معهم، تعلمت الكثير عن الإسلام وقيم العائلة والشرف والنزاهة».[2]

٧- دوافع نفسية-إجتماعية Psycho-social motives

مثل بقية المعتنقين، فإن المفكرين المسلمين الجدد يتأثرون بمختلف العوامل الاجتماعية والدوافع النفسية. وهذا يصدق عليهم سواء في المرحلة المبكرة من حياتهم، أي قبل أن يصبحوا مفكرين معروفين، أو بعد أن مضوا شوطاً في نشاطاتهم الفكرية. إن الدوافع النفسية والاجتماعية قد تلعب دوراً رئيسياً أو ثانوياً في مختلف مراحل عملية التحول الديني. من الصعب تحديد أي عامل بالضبط هو الذي يلعب دوراً هاماً في فترة معينة.

إن العلاقة مع الأب قد تشكل مشكلة حقيقية أثناء فترة الطفولة أو في مرحلة المراهقة. ففي دراسة حول المعتنقين الإنكليز ظهر أن ثلثهم كانت لديهم علاقات سيئة أو متوترة مع آبائهم. وذكر ٢٦٪ أم آباءهم كانوا غائبين عن المنزل، في حين ذكر ٣٦٪ وصفوا آباءهم بأنهم كانوا منسحبين ومنعزلين عن الأسرة. وذكر ٣٨٪ منهم أنهم كانت لديهم علاقات طبيعية مع آبائهم.[3] وقد كان لبعض المفكرين الغربيين المسلمين علاقات متوترة مع آبائهم.

---

٢ - مقابلة أجريتها مع مراد هوفمان في اسطنبول بتاريخ ٣٠ تموز ٢٠٠١

٣ - إمام محمد إمام (المسلمون الجدد)، منشور في موقع صحيفة الشرق الأوسط الصادرة في لندن.

1 -Ali Köse (1996), p. 34

يروي محمد أسد طبيعة علاقته مع والده فيقول: «في أواخر عام ١٩١٤، بعد أن اشتعلت نيران الحرب العظمى (العالمية الأولى)، بدا لي أن الفرصة الكبرى لتحقيق أحلامي الصبيانية على قاب قوسين أو أدنى. كنت إذ ذاك في الرابعة عشرة من عمري، فهربت من المدرسة والتحقت بالجيش النمساوي بعد أن اتخذت لي اسماً مزوراً...بعد أسبوع نجح والدي المسكين في أن يتعقب آثاري بواسطة الشرطة، فأعادوني مخفوراً حقيراً إلى فيينا».[١] تبدو علاقة أسد بوالده قد استمرت غير مستقرة ومتوترة. ففي عام ١٩١٨ دخل أسد جامعة فيينا وعمره ١٨ عاماً، حيث درس تاريخ الفن والفلسفة، لكنه لم يكن منجذباً للمسلك الأكاديمي. ففي المساء كان يقضي أوقاته في المقاهي منصتاً إلى المناقشات المثيرة بين رواد التحليل النفسي الأوائل أمثال الفريد إدلر (١٨٧٠-١٩٣٧) وسيغموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) وهيرمن ستاكل وأوتو جروس. يصف أسد تلك الفترة فيقول: «لقد نما قلقي وجعل من العسير عليّ جداً أن أتابع دروسي الجامعية. وأخيراً قررت أن أتركها نهائياً، وأن أجرب قلمي في الصحافة. ولكن أبي اعترض بشدة على ذلك، ودعم اعتراضه بتبريرات وجيهة لم أشأ أن أسلّم بها وقتئذاً منها أنني قبل أن أقرر اتخاذ الصحافة مهنة لي يجب على الأقل أن أثبت لنفسي أنني أستطيع الكتابة. ثم انتهى، في ختام إحدة مناقشاتنا الحامية، إلى القول: (وعلى كل، فإن شهادة الدكتوراه لم تمنع أحداً على الإطلاق حتى الآن من أن يصبح كاتباً ناجحاً). لقد كانت حجته سليمة، ولكنني كنت صغير السن جداً، مليئاً بالآمال لا يقرّ لي قرار. وعندما أدركت أنه لن يبدل فكره بدا لي أنه لم يبق إلا أن أبدأ حياتي بوسائلي الخاصة. وهكذا، دون أن أخبر أحداً بما عزمت عليه، ودعت فيينا في يوم من صيف عام ١٩٢٠ وأخذت القطار إلى براغ».[٢]

ويمر مثقف أوربي آخر بتجربة من نوع آخر، بعد حوالي نصف قرن، وفي بلد يبعد آلاف الأميال من أوربا. فعندما بلغ الهولندي رفيق أحمد فريس من العمر ١٨ عاماً غادر هولندا لأنه كان يرغب بدراسة الفلسفة، لكن والده أصرّ عليه أن يدرس الهندسة، وإلا لن يدفع الوالد مصاريف الدراسة الجامعية. ولما كان القانون يجبره على الخدمة العسكرية لأنه لا يدرس، اضطر فريس إلى السفر إلى جنوب أفريقيا للعمل ودراسة الفلسفة في الوقت نفسه. حتى ذلك الوقت لم يكن قد قرأ شيئاً عن الإسلام أو القرآن. وهناك صاحب شاباً ألمانياً كان جده ألمانياً قد تزوج بإمرأة سوداء. وكان صديقه هذا يشعر بالإحباط والتعاسة، وكان سكيراً طوال الوقت، رغم أنه كان عازفاً جيداً وناجحاً. في أحد المرات غادر فريس جنوب أفريقيا لمدة قصيرة، وعندما عاد إليها أصيب بصدمة عندما علم أن صديقه قد اعتنق الإسلام. وعندما زار فريس صديقه المسلم

٢ - محمد أسد (الطريق إلى الإسلام) / ص ٦٩

٣ - محمد أسد (الطريق إلى الإسلام) / ص ٧٣

حديثاً لاحظ حصول تغيير طارئ وكبير في حياة صديقه وتصرفاته. فقد أصبح أكثر هدوءً ورزيناً، ويتحدث عن الأخلاق والخبرات الدينية. بدأ فريس يتساءل: أي نوع من الديانة هذه التي استطاعت تغيير صديقه تماماً؟ كيف يمكن أن تكون للإسلام هكذا قوة على تغيير الناس؟ هذه الأسئلة وغيرها بدأت تراود فريس. الأمر الذي دعاه إلى يطلب من صديقه أن يعيره بعض الكتب التي تتحدث عن الإسلام. في تلك الفترة توفيت زوجة فريس الدانماركية، فحزن عليها كثيراً لأنها تركته وحيداً. هذا الحادث جعله يفكر عميقاً بالموت وسببه ونهاية العالم والآخرة. كل هذه الخبرات الشخصية دفعت بفريس إلى اعتناق الإسلام، وليصبح اليوم واعظاً[1] وداعية وإمام مسجد في مدينة تلبورخ، جنوب هولندا.

لعل أهم منعطف مر بحياة غارودي والتي شقت طريق مستقبله باتجاه آخر هي تركه الحزب الشيوعي الفرنسي. فقد انتقد غارودي قيادة الحزب لأنها سكتت مؤيدةً الغزو السوفييتي لبراغ في عام ١٩٦٨. الأمر الذي ردت عليه القيادة بطرده من عضوية اللجنة المركزية للحزب في بداية عام ١٩٧٠، ثم بعد أشهر قليلة من عضوية الحزب نفسه.[2] لقد أدت هذه التطورات إلى حدوث تصدع راديكالي في حياته. ففي تلك المرحلة كان يعاني من موت اجتماعي وانهيار داخلي. هذا التغير الدراماتيكي قد مهّد الطريق أمام غارودي ليكمل مشروعه في الحوار. في عام ١٩٧٤ قام بتأسيس «المعهد العالمي لحوار الحضارات» لتوضيح أهمية مساهمة الحضارات غير الغربية في الحضارة الإنسانية. ثم أخذ يفكر في مسألة الأيديولوجيا التي تضم الديانات السماوية الثلاث، أو ما سماه بالعقيدة الإبراهيمية التي تضم الديانات التوحيدية الثلاث. في عام ١٩٨٢ أشهر غارودي إسلامه.

---

١ - مقابلة أجريتها مع محمد رفيق فريس في تلبورخ بهولندا بتاريخ ٥ / ٢/ ١٩٩٩.

2 - Gerholm (1988), p. 268

مصادر الدراسة

المصادر الإنكليزية

Allievi, S. (1996), Muslim Organization and Islam-State Relation: The Italian Case, in

Arnold, T.W. (1896), Preaching of Islam, Westminister: Archibald Constable.

Bulliet, R. W. (1979), Conversion to Islam in the Medieval Period, USA: Harvard University Press.

Dollah, M. A. (1979), 'The Social Psychology of Religious Conversion', Unpublished thesis, Glasgow University.

Esposito, J.L. (1991), Islam and Politics, New York: Syracuse University Press.

Gerholm,T. (1988), 'Three European Intellectuals as Converts to Islam: Cultural Mediators or Social Critics?', T. Gerholm and Y.G. Lithman (ed.), in New Islamic Presence in Western Europe, , London: Mansell, 263-77

Humphreys, R. S. (1995), Islamic History, Tauris Publisher: London & New York.

James, W. (1919), The Varieties of Religious Experience, Longmans, Green and CO: London.*Koningsveld, P.S. van (1987), Snouck Hurgronje en de islam*, Leiden University.

Köse, Ali (1996), Conversion to Islam: A study of Native British Converts, London: Kegan Paul International.

Levtzion, N. (1979), Conversion to Islam (ed.), New York, London: Holmes & Meier Publishers, Inc.

Lewis, Philip (1994), Islamic Britain: Religion, Politics and Identity Among British Muslims. I.B. Publishers, London, New York.

Malony, H.N. & Southard, S. (1992), Handbook of Religious Conversion, Birmingham, Alabama: Religious Education Press.

Nielsen, J. (1992), Muslims in Western Europe, Edinburgh: Edinburgh University Press.

Poston, Larry (1992), Islamic Da'wah in the West: Muslim Missionary Activity and the Dynamics of Conversion to Islam, Oxford: Oxford University Press.

Rambo, L. R. (1993), Understanding Religious Conversion, New Haven and London: Yale University Press.

Rambo, L. R. (1999), Theories of Conversion: Understanding and Interpreting Religious Change, in Social Compass 46 (3), 1999, 259-271.

Sultán, Madeleine (1999), Choosing Islam: a Study of Swedish Converts, in Social Compass 46(3), 1999, 325-335.

Van Koningsveld, P.S. (1987), Snouck Hurgronje en de Islam, Het Documentatiebureau Islam-Christendom, Faculteit der Godgeleerdheid, Rijkuniversiteit Leiden.

Van Koningsveld, P.S. (1993), Sprekend over de Islam en de moderne tijd, Prometheus, Utrecht/Amsterdam.

Westerlund, D. & E. Rosander (1997), African Islam and Islam in Africa, London: Hurst & Company.

Wohlrab-Sahr, Monika (1999), Conversion to Islam: Between Syncretism and Symbolic Battle, in Social Compass 46(3), 1999, 351-362.

Woodberry, J.D. (1992), Conversion in Islam, in Malony, H.N. & Southard, S., Handbook of Religious Conversion, Religious Education Press: Birmingham, Alabama.

المصادر العربية

- إمام محمد إمام (المسلمون الجدد)/ منشور في موقع صحيفة الشرق الأوسط
- جيفري لانغ (١٩٩٨) (الصراع من أجل الإيمان)/ دار الفكر: دمشق.
- صلاح عبد الرزاق (١٩٩٦) (اعتناق الإسلام في الغرب: الأسباب والدوافع)/ في مجلة الفكر الجديد (١٣-١٤)
- علي الوردي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث)/ دار كوفان، لندن
- محمد أسد (١٩٨٧) (الإسلام على مفترق الطرق)/ دار العلم للملايين، بيروت
- محمد أسد (١٩٩٤) (الطريق إلى الإسلام)/ الطبعة الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت
- مراد هوفمان (١٩٩٨) (الطريق إلى مكة)/ دار الشروق، القاهرة
- مصطفى حلمي (١٩٩٦) (إسلام غارودي بين الحقيقة والافتراء)/ دار الدعوة، القاهرة
- يوسف إسلام (الإسلام ديني)

مقابلات مع:

- روجيه غارودي، باريس في ١٤ تموز ٢٠٠١
- مراد هوفمان، اسطنبول في ٢٥ تموز ٢٠٠١
- ديفيد بيدكوك، لندن في ١١ مايس ٢٠٠١
- عبد الواحد فان بومل، هيلفرسوم ٢٥ تشرين الأول ٢٠٠١
- ساجدة عبد الستار، روتردام في ١٧ تشرين الأول ٢٠٠١
- محمد رفيق فريس، تبلورغ في ٥ شباط ١٩٩٩

الباب الثاني

حوارات في الفكر والسيرة الذاتية

- روجيه غارودي
- مراد هوفمان
- ديفيد بيدكوك
- عبد الواحد فان بومل
- ساجدة عبد الستار

الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي
من الماركسية إلى الإسلام

يعتبر الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي (١٩١٣-) من أشهر الأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام في القرن العشرين. وكان قد سبقه إلى الإسلام مفكرون وفلاسفة ومثقفون أمثال النمساوي محمد أسد (ليوبولد فايس) (١٩٠٠-١٩٩٢) والفرنسي رينيه غينون (١٨٨٦-١٩٥١) والسويسري تيتوس بركهارت (١٩٠٧-١٩٧٤) وأسماء لامعة كثيرة.

ويعتبر غارودي أكثرهم ضجة بسبب مواقفه الحادة والصريحة تجاه بعض الأحداث والقضايا والدول والحكومات. فكتاباته ومواقفه جرته إلى نزاعات مع أطراف عديدة كاليهود والإسرائيليين وأمريكا وفرنسا والمملكة العربية السعودية. وقد حوكم من قبل القضاء الفرنسي عام ١٩٩٨ بسبب كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية).

ولد غارودي في ١٥ تموز ١٩١٣ في مرسيليا لأسرة كاثوليكية لكنه اعتنق المذهب البروتستناتي. في شبابه التحق بالحزب الشيوعي الفرنسي لأن الشيوعية كانت برأيه (الاختيار الوحيد الذي يطرح بديلاً للخروج من أزمة الرأسمالية. كما كانت أفضل جبهة تقاوم هتلر والنازية في تلك الفترة. وفي فرنسا -على سبيل المثال- كان معظم المشتغلين بالكتابة والفنون من أساتذة الجامعات وحائزي جائزة نوبل: إما أعضاء في الحزب الشيوعي أو أصدقاء للشيوعيين، وذلك بسبب الحالة السيئة التي نشأت عن أزمة الرأسمالية وتيار المقاومة النازية لهتلر).

أصبح غارودي عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي لمدة عشرين عاماً، وعضو المكتب السياسي لمدة ١٢ عاماً. فصل من الحزب بسبب انتقاده لموقف الحزب الشيوعي الفرنسي وسكوته تجاه الغزو السوفياتي لجيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨، كان غارودي نائباً في البرلمان الفرنسي لعقدين من الزمن وترشح عام ١٩٨١ في انتخابات رئاسة الجمهورية في فرنسا.

آمن غارودي أن الفلسفة يجب أن لا تبقى تدور في مدارات تنظيرية بحتة أو مناقشات عقيمة بل يجب أن تنزل إلى الشارع لخدمة الإنسان والإنسانية. تلك الرؤية جعلت غارودي ينتقل من أيديولوجية إلى أخرى بحثاً عن فلسفة قادرة على تلبية حاجات المجتمع البشري وحل مشاكله، فانتقل من المسيحية إلى الماركسية ثم إلى الإسلام. اعتقد غارودي أنه يمكن الجمع بين المسيحية والماركسية ولكن في غياب مذهب اجتماعي مسيحي معتبر وسياسة مسيحية تسمح بالنضال ضد الفوضى، أخذ يبحث عنه في الماركسية حيث وجد فيها منهجية لمبادرة تاريخية من أجل مشروع قادر على التغلب على التناقضات القاتلة للنظام الرأسمالي المنافس. ولم يقف

إيمانه بالماركسية من مناصرة تيار اللاهوت الثوري في أمريكا الجنوبية في الستينات والسبعينات والاعجاب به. كما تكشف له أن الاتحاد السوفياتي ليس هو الاشتراكية، ولاستخدامه الغزو أسلوباً لمعالجة الأزمات السياسية ليس هو الحل (غزو براغ ١٩٥٦ وغزو جيكوسلوفاكيا ١٩٦٨ و أفغانستان ١٩٧٩). وفي عام ١٩٧٤ حوّل الحوار المسيحي-الماركسي الذي رأى أنه أصبح إقليمياً إلى حوار حضارات تساهم فيه الديانات الثلاث والثقافات غير الغربية.

التقى غارودي بالاسلام عندما اعتقل عام ١٩٤٠ من قبل حكومة فيشي الفرنسية، التي عينها هتلر بعد احتلال فرنسا، بسبب مواقفه المناهضة للنازية. ثم أرسل إلى معسكر للاعتقال في الجزائر مع مجموعة من المعتقلين السياسيين. في المعسكر قاد تمرداً مما جعل القائد الفرنسي يصدر أوامره بإعدامه رمياً بالرصاص. وكانت المفاجأة عندما رفض الجنود الجزائريون الملتحقون بالجيش الفرنسي تنفيذ الأمر، لم يعرف غارودي سبب امتناع الجنود عن إطلاق النار عليه لكن علم فيما بعد أنهم من قبيلة (العبادات) حيث يعتبر إطلاق النار على رجل أعزل أمراً معيباً ولا يناسب الرجولة والشجاعة. بعد إطلاق سراحه بعد اعتقال دام ٣٣ شهراً، بقي في الجزائر حيث رأس تحرير صحيفة يومية. والتقى بقيادات التيار الإسلامي في الجزائر أمثال الشيخ محمد بشير الإبراهيمي وتعرف منه على جهاد عبد القادر الجزائري وكتابات بن باديس الإصلاحية.

أعجب غاردوي بالإسلام كدين وفلسفة ونظام اجتماعي، كما وجد فيه نوعاً من الحوار المركب الذي كان مشغولاً به طوال ٣٠ عاماً. آمن غارودي بأن الاسلام يمثل نموذجاً لتركيب أو توليف الحضارات السابقة مما جعله يكتب (وعود الإسلام) و(مساهمة الإسلام والعرب في الحضارة البشرية) قبل أن يعتنق الإسلام بسنين. ثم كتب العديد من المؤلفات التي تعرض الإسلام كأفضل حل للأزمة الإنسانية التي يعيشها المجتمع البشرية في الأنظمة السياسية والنظريات والفلسفات الوضعية، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٢ في أوج الصحوة الإسلامية وانتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ في إيران، وأعجب بها. اهتم العالم العربي والمسلمون باعتناقه لأنه ليس شخصية عادية، واعتبروا دخوله الإسلام نصراً للإسلام وهزيمة للمسيحية والحضارة الغربية معاً. واحتفت به المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي والدوائر الإسلامية المثقفة حيث يدعى لحضور المؤتمرات والندوات الدولية التي تناقش قضايا إسلامية. اتخذ موقفاً مناوئاً للوجود الأمريكي في السعودية إبان غزو الكويت ١٩٩٠ مما جعل الاعلام السعودي يشن عليه هجمات متواصلة مشككاً بإسلامه وعقائده مع العلم أنه قبل ذلك بفترة وجيزة منح الملك فهد جائزة الملك فيصل العالمية لجهوده وخدماته للإسلام!

في منزل غارودي

زرت غارودي الذي يسكن في ضاحية تشينفير Chennverieres التي تبعد حوالي ٢٠ كم عن باريس، والتي تغفو على نهر صغير تصطف على ضفته بيوت القرية الجميلة. استقبلتني زوجته الفرنسية الثانية (طلق زوجته الأولى عام ١٩٤٧، وتزوج بعد اعتناقه الإسلام بالفلسطينية سلمى الفاروقي التي تقيم في اسبانيا) مرحبة وهي ترشدني إلى غرفة مكتبه في الطابق العلوي، معتذرة أن غارودي لا يتمكن من النزول لألم في رجله إضافة إلى مرض القلب. وعندما صعدت السلم وجدته يستقبلني مستبشراً، دخلنا غرفة المكتب ذات اللمسات الشرقية من تحف ونحاسيات وسبح وآيات قرآنية وسجادة شرقية، لكنها لم تفتقد الأناقة الباريسية. وعلقت على الجدران ميداليات وأوسمة جرى تكريم غارودي بها في مناسبات عديدة. كان يبدو متعباً ومنهكاً رغم الحيوية التي ترافق حركات يديه وملامح وجهه. لذلك قررت عدم الخوض في قضايا شائكة بعد أن وجدت أنه يتحدث الانكليزية بشيء من الصعوبة (أخبرني أنه يستطيع قراءة سبع لغات لكن لا يتكلم سوى الفرنسية وقليل من الانكليزية). بدأت الحوار بسؤاله عن ظروف اعتناقه الإسلام ودوافعه:

- **هل كنت تؤمن بالمسيحية؟**

غارودي: كانت عائلتي ملحدة ثم بدأتُ التحول نحو البروتستانتية من خلال قراءاتي للمصلحين المسيحيين. وآنذاك كان يبدو المسيح لي بأنه نبي لا أكثر. وبرأيي أنه لم يأت بديانة جديدة بل لتعليم الإنسان كيف يكون كاملاً. وقد أحيا النبي محمد (ص) رسالة عيسى وعلمنا (ص) كيف نعيش الحياة. وعندما أدركت أن الإسلام استمرار لرسالة عيسى أصبحت مسلماً.

- **ذكرت في أحد كتبك أنك درست الإسلام لأكثر من عشر سنوات، أي نوع من الدراسة كانت: فلسفة، فقه أم غير ذلك؟**

غارودي: أصدرت أول كراس لي عن الإسلام بعد إطلاق سراحي من المعتقل. بقين عاماً في الجزائر بعد أن عينني شارل ديغول محرراً ومديراً للإذاعة. كان في الجزائر أستاذ عربي مختص بالفرنسية قام بتدريسي اللغة العربية. أسست في الجزائر جامعة جديدة ودرست فيها الثقافة الإسلامية. عام ١٩٤٧ كتبت (المساهمة العربية والإسلامية في الحضارة العالمية) ولم أكن مسلماً بعد. عندما التقيت الزعيم جمال عبد الناصر بعد عشر سنوات من صدور الكتاب قال لي: أنا أعرفك لأن كتابك ترجم إلى العربية، ثم أعطاني نسخة من الترجمة العربية.

- **عام ١٩٨٢ اعتنقت الإسلام.**

غارودي: نعم وكتبت بعض كتبي قبل ذلك مثل (وعود الإسلام) و(الاسلام يسكن المستقبل).

- ما هي الأسباب التي دفعتك لمثل تلك الكتابات ولم تكن مسلماً؟

غارودي: القضية فكرية. لقد كنت متحمساً للصوفيين الكبار أمثال ابن عربي وابن الرومي. لقد كنت مهتماً كثيراً بالصوفية، وكتبت للإسلام من خلال الصوفية مثلي مثل الفيلسوف الفرنسي رينيه غينون الذي اعتنق الإسلام وهو من أشهر المفكرين الفرنسيين.

- هل تعني أنك تأثرت بكتابات غينون؟

غارودي: نعم وكذلك كتابات محمد أسد مثل (الطريق إلى مكة). لقد التقين بمحمد أسد قبل أن اعتناقي الإسلام. التقيته في قرطبة. كان قد طلب مني البحث له عن منزل في قرطبة كي يستكمل تأليف تفسيره للقرآن(بالانكليزية). لقد كانت ترجمة رائعة وأفضل من الفرنسية.

- كيف وجدت محمد أسد في سنواته الأخيرة حتى توفي عام ١٩٩٢؟

غارودي: كان قليل الكلام، وكنا نتحادث فقط في الأمور الثقافية.

ثم قام غارودي بإعطائي نسخة من الفصل الأول من مذكراته التي كتبها بالفرنسية (٧٠٠ صفحة) والتي لم تصدر بعد. يتضمن الفصل الأول سيرة حياته ونشاطاته وظروف اعتناقه الإسلام.

نقد الحضارة الغربية

- اشتهرت بنقدك العميق للحضارة الغربية واعتبرتها آلة مدمرة لمحق مساهمات الحضارات الأخرى في المشروع البشري، كما انتقدت فلسفة جان بول سارتر وجان جاك روسو. وفي كتابك (الإسلام في القرن ٢١) تعتبر روسو كذاباً وأن (عقده الاجتماعي) كذبة. هل تعتقد ان الفلسفة الغربية قد استنفدت أغراضها وليس لديها ما تعطيه للإنسانية اليوم؟

غارودي: لا ليس إلى ذلك الحد ولكنني شرحت العيوب الرئيسية للفلسفة الغربية التي تعترف بنفسها فقط. إلى ما قبل ٤٥ عاماً بدأت وبمبادرة شخصية بدراسة الفلسفات الشرقية في الهند والصين والدين الإسلامي.

- هل تعني أن الغربيين يدرسون ويعترفون بالفلسفة الغربية فقط؟

غارودي: نعم، الفلسفة الغربية فقط. والوضع اليوم نفسه، فما زالوا يرفضون تعلم الفلسفة خارج البيئة الغربية. إنهم يتعلمون فلسفة سبينوزا وديكارت وسقراط وغيرهم.

- تنتقد الغرب لأنه لا يملك أخلاقاً.

غارودي: ليس طوال القرن، ولكنهم اليوم يؤمنون بالفكر الواحد Unique Thought المستلهم من فلسفة ديكارت. إنني ضد فلسفة ديكارت لأنها تمثل مصدر ميكانيكية هذا الفكر. ولذلك أقاتل دائماً أفكار ديكارت.

- الغربيون ينكرون الفلسفات غير الأوربية وهذا ما يجعلهم بعيدين عن الفلاسفة المسلمين؟

غارودي: وهذا ما يؤثر في تكامل العالم في السياسة والاقتصاد والدين.

- هل اطلعت على كتابات الفيلسوف العراقي محمد باقر الصدر؟

- غارودي: كنت مهتماً بفلسفة السهروردي والملا صدرا وهما أفضل فلاسفة الإسلام. (يعتبر غارودي نفسه صوفياً).

غارودي والعالم الإسلامي

- هل زرت العراق؟

غارودي: نعم زرت العراق قبل شهرين (المقابلة كانت في ١٤ تموز ٢٠٠١)، وخلال الحرب مع الحلفاء (١٩٩١) زرت العراق وقابلت صدام حسين.

- المعروف عنك اعجابك ودعمك للثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ هل يعود السبب إلى تأييدك السابق للاهوت التحرير المسيحي الذي حارب الرأسمالية والأنظمة الفاسدة؟

غارودي: أنا أيدت الثورة الإيرانية، وكانت صلتي بإيران تعود إلى ما قبل الثورة. فقد طلبت مني فرح ديبا زوجة الشاه السابق تأسيس فرع لمعهدي (حوار الحضارات) في طهران. وطلبت مني جمع خمسين عمل فني يمثل الحضارات البشرية. بقيت ستة أشهر في إيران قبل الثورة. وقد جمعت حوالي أحد عشر عملاً فنياً فقط وبعضها موجد لدي (أراني غارودي ثلاثة أعمال افريقية).

بعد وبعد انتصار الثورة زرت إيران، في المطار سألني أحد العلماء:أين تفضل الذهاب؟ فقلت له: إلى صحيفة إطلاعات اليومية.

- هل التقيت بالامام الخميني؟

غارودي: نعم قابلته مرة واحدة.

- هل تحدثت معه؟

غارودي: لم يكن هناك حوار، لكنني ما زلت أتذكر مقولته (من يفرق بين السنة والشيعة عدو للسنة والشيعة) وكان محقاً في ذلك. والتقيت بالرئيس خاتمي. هو رجل مثقف ومفكر، وكنت سعيداً بلقائي معه. لقد فاز بالانتخابات الرئاسية وهذا هام جداً من أجل إيران. إن الشعب الإيراني شعب متحضر جداً. لقد زرت إيران عدة مرات قبل الثورة وبعدها. كنت متحمساً لمكانة المرأة في المجتمع. اليوم لدى الإيرانيين إنجاز عظيم، فلم يمنع الحجاب المرأة من التطور والرقي واحتلال المناصب الراقية. في جامعة بولي تكنيك تجد نصف الأساتذة من النساء في حين لا تجد في فرنسا سوى سبعة نساء في جامعة مماثلة. كما أن بعض النساء يرأسن أقسام وفروع علمية دقيقة.

- متى كانت آخر زيارة لك إلى إيران؟

غارودي: قبل ستة أشهر للمشاركة في مؤتمر في مدينة قم المقدسة.

- هل أغضبت المملكة العربية السعودية مما ادى إلى تغير موقفها منك؟

غارودي: نعم، ولكن ليس كل السعوديين بل الملك فهد فقط لأنه كان ضد العراق ودعا القوات الأمريكية للقدوم إلى المملكة. وقد وصفت تصرفه بالعهر السياسي. وكان ذلك بالرغم من أنني تسلمت جائزة الملك فيصل منه. والواقع أن هناك مواقف مختلفة داخل العائلة المالكة. فعندما زار الأمير طلال باريس طلب رؤيتي، وقال لي بأنهم انتقدوا الهجمات الإعلامية التي شككت بإسلامي في الصحف السعودية. وأخبرني بأن ولي العهد الأمير عبدالله يؤيد هذا الرأي، وهكذا تجد من يدافع عني داخل العائلة المالكة.

- هل كان انتقادك للسعودية بسبب هذه القضية أم بسبب وضع النظام السياسي السعودي؟

غارودي: لا يوجد في السعودية نظام سياسي، فهم يخلطون القبيلة بالدولة، لا توجد هناك دولة.

- وما رأيك بالسودان؟

غارودي: زرت السودان عندما كان الدكتور حسن الترابي في السلطة، وهو اليوم في السجن. يوجد تقدم كبير في السودان، إنهم يعملون من أجل وحدة السودان ولكن للأسف تقوم الولايات المتحدة بدعم الجنرال غرنك لاستمرار الحرب.

- ومارأيك بطالبان؟

غارودي: إنها أمريكا!

الدولة الإسلامية والاسلام السياسي

- هل تؤيد بعض المسلمين الأوربيين مثل (حركة المرابطين الأوربيين) الذين يدعون للعودة إلى الخلافة؟

غارودي: الخلافة ليست لهذا العصر. وهي هامة لتوحيد العالم الإسلامي، فلماذا تستمر معاناة الفلسطينيين؟ بسبب عدم وجود الوحدة بين العرب أو بين المسلمين.

- هل تعني أنه على المسلمين التوحد أولاً ثم تأسيس الدولة الإسلامية؟

غارودي: ليس الوحدة ولكن على الأقل بالتعاون والتنسيق. بعض الحكام العرب ينفذون السياسة الإسرائيلية منذ البداية.

- هل تعتقد أن الديمقراطية مفيدة للمسلمين؟

غارودي: الديمقراطية عالم الغربيين فقط. إعلان حقوق الإنسان كذبة لأنه ينص على مساواة الناس أي يتساوى الملياردير والفقير في عقوبة السرقة.

- إذن إي نظام تعتقد هو الأفضل: الشورى؟

غارودي: الشورى مشكلة. برأيي ما يطلقون عليه الشورى ليس بشورى. القرآن الكريم يقول (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (الشورى: ١٣). فالشورى موجودة في كل الديانات. فلو قرأت الديانات الإبراهيمية ستجد أن الله هو ١- المالك ٢- الآمر ٣- العالم، فهذه هي الشورى وما دون ذلك فهو فقه الذي يمثل التشريع الملائم لكل عصر كما فعل أبو حنيفة واالشافعي في تطبيق الشورى في زمانهم (؟)

- إنك تتحدث عن الاجتهاد وليس الشورى، كما أن فهمك للشورى غريب فهل تعرفها لي كي أعرف ما تعنيه بكل مصطلح.

غارودي: كلا، إنها ليسا شيئاً واحداً. الاجتهاد هو تفسير للشورى (؟) ولكن الشورى هي المشاورة حول المبادئ. هناك سبعين قاعدة موجودة في القرآن والكتاب المقدس (؟)، والفقه هو التكيف مع الزمن. أما الاجتهاد فهو تفسير وتكيف في زمن محدد في بلد معين. فإذا حاولت تطبيق التشريع الفقهي للجزيرة العربية في القرن السابع، في فرنسا، فهذا غباء تام. إن ذلك مخالف لتعاليم النبي (ص) الذي يقول بأن القرآن لكل عصر. برأيي: مستقبل الإسلام يكمن في إيجاد تحديث Modernity إسلامي وليس غربي. الحداثة توجد في الشريعة التي تسعى لتطبيقها في كل الأزمنة.

القرآن الكريم والسنة النبوية

قيل الكثير عن آراء غارودي وعقائده وأنها لا تنسجم مع جمهور المسلمين وفقهائهم. وهذا ما يميز الغربيين الذين يعتنقون الإسلام حيث لا يمكن التخلي عن نظراتهم وآرائهم بل وأساليب تحليلهم وفهمهم للأمور بعد اعتناق الإسلام. كما أن خلفيتهم المسيحية والعلمانية الغربية لا تختفي بعد الإسلام، بل تبقى عاملاً مؤثراً. ولا يعني ذلك أنهم لا يعانون من قصور ذاتي في فهم وإدراك الشريعة والعقيدة، بل يعني أنهم يقدمون تصوراتهم على ما يقول به غالبية المسلمين. لذلك يجري اعتبار بعض آرائهم شاذة وغريبة أو ناقصة أو حتى غير إسلامية. في كتابات غارودي لاحظت العديد من الشطحات الفكرية والعقائدية ومنها موقفه من السنة وبعض الأحكام الإسلامية. ويبقى لكل مسلم حقه في الفهم وأسلوب التعبير عن ذلك الفهم.

- في كتاباتك طالما حذرت المسلمين من عدم تقليد (الماضي) و (الغرب). بعض المسلمين ما زالوا يعيشون في الماضي ولا ينظرون إلى المستقبل، كيف يمكن للمسلمين تطوير الفقه؟

غارودي: ذكرت في كتبي أنه من الضروري إيجاد تحديث إسلامي، إن اعلان حقوق الإنسان يخالف التحديث الإسلامي. كان بودي الكتابة في هذا الموضوع. من الهام خلق وحدة في العالم كما هي في القرآن. القرآن يقول (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (إبراهيم: ٤) ولكنهم لا يطبقون ذلك.

- هل درست القرآن بنفسك أم استعنت بتفسير ما؟

غارودي: درست القرآن عبر الترجمات الفرنسية والإنكليزية والإيطالية. قرأته وقارنت بين تلك الترجمات.

- هل ترى أنه من الضروري للباحث أن يتعلم العربية باعتبارها لغة الوحي؟

غارودي: الكتب الأخرى تعتبر أيضاً وحياً ونقرأها بلغات أخرى. فلذلك ليس من الضروري. أنا لا أعرف العبرية ولكنني قرأت التوراة. كما أنني لا أعرف اللغة الهندية ولكنني قرأت كتبهم مثل الفيستا.

- تدعو للأخذ من كل الأديان ومن ضمنها الهندية المشركة،

غارودي: لا أرى في ذلك مشكلة. هم يقولون أنهم يستخدمون عدة أسماء لله تعالى ولكنه إله واحد. والآلهة الأخرى مجرد وسائط.

- هل لديك فكرة حول السنة النبوية ؟

غارودي: يوجد هنا كتاب صحيح البخاري. ويبدو بالنسبة لي أنه توجد عدة أحاديث تخالف القرآن كلياً.

- هل تعتقد ذلك؟

غارودي: أعتقد أنه غباء. البخاري يناقش مسألة فيما إذ كان على المرأة أن ترخي ضفيرتها أثناء الاغتسال أم لا؟ لا توجد علاقة بين الغسل وشد أو إرخاء الضفيرة (هكذا يعتقد). ويقول البخاري بأن النبي (ص) كان يحب نباتاً ما ويجب أن نحب هذا النبات. ما الأمر فيما لو أحببته أم لا؟

- أنت انتقدت الإمام مالك وابن تيمية لأنهما ربطا بين سلطة الحكومة وبين الدين. وحسب رأيك أنهما شوها الرسالة الاجتماعية للإسلام.

غارودي: كانت هذه خبرة، فالإسلام في اسبانيا حيث كانت هناك خلافة وحضارة مزدهرة. وكان هناك علماء عظام أمثال ابن عربي، أستاذي. عندما ذهب المالكيين إلى القيروان في المغرب، تعرضوا لمحاكم تفتيش تشابه محاكم التفتيش المسيحية السيئة الصيت. لقد وضع في السجن عباقرة أعلام. واليوم يوجد حجر فكري. قبل فترة استلمت كتاب ألفه جمال البنا، لقد كتب تفسيراً يتضمن رؤيته بتفسير القرآن دون الاعتماد على آراء المفسرين القدامى لكن الفقهاء وعلماء الأزهر رفضوه وقرروا حرقه.

- إذن لديك تجربة سلبية مع الفقهاء.

غارودي: نعم، إنهم يتحملون مسؤولية هزيمة الإسلام في اسبانيا. لقد أسست متحفاً في قرطبة لمحاربة هذا التوجه ولأبين للعالم أن الإسلام كان مزدهراً.

المسلمون في الغرب

يُلاحظ أن كتابات غارودي لا تهتم كثيراً بالأقليات الإسلامية المقيمة في الغرب وحتى في بلده فرنسا. وغالباً ما يتفادى المشاكل الرئيسية للعالم الإسلامي كالتخلف والأمية والتنمية والدكتاتورية والاستبداد السياسي. لذلك حاولت التعرف على آرائه حول هذا الموضوع فسألته:

- يوجد في أوربا الغربية حوالي ١٥ مليون مسلم، ما هو تصورك لتحسين أوضاعهم؟ المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والانتماء للأحزاب السياسية والترشيح للبرلمان، والحياة الثقافية والنشاطات الأدبية.

غارودي: يجب عليهم أن لا يعزلوا أنفسهم ويتجنبوا قبول الحضارة الغربية. إن ذلك يمثل فشلاً ذريعاً، لذلك عليهم أن لا يتورطوا في أمراض الغربيين. ولكن عليهم السعي لتكييف المبادئ الرئيسية للشريعة مع الوضع الذي يعيشونه. في آخر كتاب لي الذي سيصدر خلال شهرين أو ثلاثة سعيت إلى التأكيد على أنه من الممكن للإسلام، الذي يقبل أنبياء كل الديانات، بأن يصبح خمير الوحدة ضد نمط الحياة الأمريكي التي تتركز في معادلة البيع والشراء فقط. للأسف هناك من المسلمين لا زال يقلد إمام الماضي أو الغرب.

غارودي وأمريكا واليهود

يلتزم غارودي بموقف صارم ومتشدد تجاه السياسة الأمريكية والمفاهيم المنطلقة من الحياة الأمريكية وفلسفتها، ففي كتاباته مثل (الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط) ينتقد الهيمنة الأمريكية ومدى التخريب السياسي والفكري والاقتصادي الذي تسببه في أنحاء العالم. ويلاحظ أن هجوم غارودي على أمريكا هو استمرار لمواقف الماركسية التي قضى شطراً طويلاً من حياته معتنقاً أفكارها ونظرياتها. فهو يهاجم الرأسمالية والسياسة الأمريكية بأسلوب دعائي شيوعي كانت الأحزاب الشيوعية والاتحاد السوفياتي تمارسه في فترة الحرب الباردة. ولذلك لا يكاد غارودي يرى أية إيجابيات في المجتمع الأمريكي، وهذا الموقف بعيد عن الرؤية الموضوعية والمنهج العلمي في النقد والتقييم، فتراه يركز على الجوانب السلبية من خلال إحصائيات الجريمة والاجهاض والسرقة والإدمان على المخدرات وغيرها من أمراض المجتمعات الغربية. وبقي

بعد إسلامه يمارس نفس النقد وبنفس الحدة من العداء وبنفس الأسلوب مستفيداً من الصورة السلبية والعداء لأمريكا لدى شعوب كثيرة وخاصة في العالم الإسلامي،

- لماذا تهاجم أمريكا دوماً؟

غارودي: لأنها عدوي.

- هل يعتمد نقدك لأمريكا بسبب سعيها للهيمنة السياسية والاقتصادية على العالم؟

غارودي: للأسف إنها هيمنة عسكرية. وهذا هو الخطر الكبير لكل الأمم. ولذلك أنا أحارب العولمة. إنها المرض القوي الذي سيصيب هذا العالم.

- أو ربما تكون العولمة الأداة المستخدمة للهيمنة على العالم.

غارودي: من أجل التخلص من الهيمنة الأمريكية لا يوجد سوى الحرب. ولا أقصد الحرب العسكرية بل الحرب الاقتصادية من خلال الحظر على شراء البضائع الأمريكية. أولاً لأنها القوة الكبرى في العالم، وثانياً إنها بلد الميزان التجاري. لذلك لا يمكنها مقاومة حظر تجاري تقوم به الدول الآسيوية. أعتقد أن الحكام المسلمين المناوئين لهذا الحظر هم خونة. يجب أن لا نستعمل المنتجات الأمريكية. يجب أن نمتنع عن شراء الكوكا كولا. عندما كنت في لبنان مؤخراً رأيت الكوكا كولا في كل مكان، فقلت لهم: كلما اشتريتم زجاجة كوكا كولا كلما أضفتم حلقة إلى سلسلة التبعية بأمريكا. لقد ضربت الكوكا كولا كرمز للهيمنة الأمريكية.

- معروف عنك دعم للفلسطينيين حيث تدعمهم سياسياً وأدبياً.

غارودي: نعم ولذلك تعرضت للمحاكمة والتحقيق.

- ولكنك متهم بالعداء للسامية.

غارودي: لقد اتهمت بنصوص مزيفة. لقد اعتمدت مقولة عالم من فيينا، من مركز الوثائق اليهودية، لا أتذكر اسمه. لقد قال لي: لم توجد مطلقاً أية معسكرات اعتقال في أراضي الرايخ، ولكن وجدت في بولندا. وفي قرار الإدانة الذي وجّه لي تم حذف المقطع الثاني من العبارة. لقد حدث تزييف للنصوص. لقد كان يعرف ذلك وقد أدين بالسجن لتسعة أشهر.

- أنا أقدر جهودك في سرد الأدلة العلمية والتاريخية بالوثائق والأرقام.

سألني غارودي: هل قرأت الكتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، الصادر عام ١٩٩٦)؟

- نعم قرأته ولكن أريد أن أسألك: هل تعتقد أن مناقشة قضية حدثت في أوربا قبل خمسين عاماً تخدم الفلسطينيين هناك؟

غارودي: بالتأكيد.

- لماذا؟

غارودي: لأني قد بينت العدو الرئيسي لهم. إن الولايات المتحدة تقف خلف إسرائيل.

- إن إنكار حدوث المحرقة (الهولوكوست) لا يخدم الفلسطينيين لأنهم قد دخلوا منذ اتفاقية أوسلو في مفاوضات مستمرة وعقدوا العديد من الاتفاقيات مع الإسرائيليين. وكان من قبل قد توصلوا إلى تسوية عام ١٩٩١ في مدريد. وقد حصلوا بموجب ذلك على الضفة الغربية وقطاع غزة. فكيف يخدم إنكار المحرقة في أوربا الفلسطينيين في الشرق الأوسط؟

غارودي: أنا لم أنكر المحرقة، أجاب بانفعال. لقد كانت هناك غرف غاز للقتل الجماعي. أمريكا قتلت ١٦ مليون من الهنود الحمر وكذلك ملايين من العبيد السود.

- ولكنك تعرضت للمحاكمة هنا في فرنسا.

غارودي: كان ذلك غباء لأنني أحترم اليهودية كديانة كما أنني أحترم بقية الديانات. ولكن الصهيونية ليست ديانة، إنها حركة سياسية، استيطانية وقومية. أنا احارب كل مستعمر وقومي. لقد قاتلت الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ولذلك أدانوني. واليوم يحدث نفس الشيء.

- أنت تعلم بوجود لوبي يهودي قوي.

غارودي: إنه اللوبي الصهيوني الذي يمثل ١٠٪ من عدد اليهود في فرنسا.

- ولكن هذا العدد الصغير قد نجح في خلق جو عدائي ضدك. وهذا أدى إلى خلق عداء أكبر ضد المسلمين وخاصة في الغرب.

غارودي: نعم، وقد استلمت رسائل تهديد بالموت، أعطيتها لوزير الداخلية. فما كان منه إلى أن أعطاني رخصة لحمل السلاح، قالها بتهكم.

- وهل ما زلت تؤمن الآن بأن التعامل بقضايا حدثت في أوربا في الحرب العالمية الثانية كغرف الغاز يمكن أن يخدم القضية الفلسطينية؟

غارودي: أنا لم أنكر ذلك، لقد قلت أنها مزيفة فقط. لقد أمضيت ثلاث سنوات في معسكر اعتقال ولكنهم يصرون على أنني أنكر وجود معسكرات الاعتقال. لقد أدنت السياسة لا الدين.

قضايا إسلامية

- ما رأيك بتطبيق الشريعة الإسلامية؟

غارودي: لقد قلت أن الشريعة أمر مسلّم به بما هو موجود في القرآن. وأن الله هو المالك والآمر والعالم، الصفة الأولى -المالِك- تناقض أي شكل من أشكال الرأسمالية. والصفة الثانية -الآمِر- تناقض كل الملكيات والأحزاب المنفردة بالحكم. والثالثة -العالِم- تناقض كل إدعاء بالكمال،

ومن الممكن مناقشة فيما إذا تمكن المسلمون من بناء نظام سياسي على اساس الشريعة وحاولوا تطبيق الفقه - وليس الشريعة- الذي وجد في القرن الهجري الأول في الجزيرة فسيكون خطأ كبيراً.

- ولكن الفقه الذي تسميه فقه الجزيرة العربية مبني على أساس القرآن والسنة.

غارودي: تمثل السنّة (يخلط غارودي بين السنّة والاجتهاد) جميع محاولات الفقهاء في زمانهم. أنا لا يمكنني أن أسأل أبا حنيفة لإبداء رأيه حول الحرب النووية، فهذه مشكلة. يمكنك أن تقول أنا مسلم جيد لأنني أحترم السنة. إنها فعل تاريخي للرجال وليس الله، والشريعة هي أمر الله.

- في كتابك (الإسلام في القرن ٢١) تقول (إن فكرة الإله الرحيم بلا حدود لا تنطبق جيداً على هذه العقوبة المتصلبة وهي قطع اليد). وتذكر أيضاً (ولو بدأنا بالقمع فلن يكون الضحية إلا الفقراء. ولو قطعنا لهم أيديهم فسيكون من المستحيل عودتهم لحياتهم الطبيعية في المجتمع عن طريق العمل)، وأن قطع الأيدي يؤدي إلى زيادة عدد المعوقين.

غارودي: لقد كان ذلك مجرد مثال نموذجي. وأعتقد أنه مجرد رمز لأن القرآن طالما يستخدم الرمزية في عباراته.

- هل ترى أن الأمر بقطع اليد مجرد عبارة مجازية أي ليست حقيقية؟

غارودي: كان عيسى يستخدم الأمثلة الرمزية لأن الله فوق الوجود فلا يتكل لغتك أو عقليتك. لذلك شرح الله أوامره لنا بالرمز والمجاز. في ذلك الزمن عندما كان السعي لإيقاف جرائم السرقة استخدم ذلك الأسلوب. ولكن عندما يأمر أحد الحكام أو الملوك سكرتيره بتحويل مليون دولار من هذا البنك إلى ذاك، فكم يد يجب أن تقطع؟ إنهم يقطعون يد الفقير الذي يسرق رغيف خبز، فهذه وحشية، ولا علاقة لها بالاسلام.

- ولكن هذا نص قرآني.

غارودي: لقد حلّ النبي (ص) مشاكل عصره. يجب البدء بالأمر الإلهي الخالد ولكن يجب أن لا نحمّل الأمر الخالد بتطبيق تاريخي محدد.

- ولكن القرآن أبدي أيضاً.

غارودي: القرآن خالد كما أن الكتاب المقدس خالد.

- ولذلك يجب أن نمتثل ونطبق ما يدعونا إليه القرآن.

غارودي: إنه تعاليم أبدية ولكن التطبيق يتحدد بظروف كل عصر ومنطقة. ألا يقول القرآن بأنه لكل زمان. فيجب تعلمه بعيون تاريخية ونقدية.

- تذكر أحياناً بأنه يجب أن لا نخلط الإسلام بالثقافات المحلية. فهل تعتقد أنه من الممكن تفادي ذلك؟ أي هل يمكن ممارسة الإسلام دون وجود أية عناصر ثقافية؟

غارودي: الإسلام صالح للتطبيق لكل الشعوب في أنحاء العالم.

بعد اللقاء أخذني غارودي إلى مكتبته التي تضم عشرين ألف كتاب، فسألته عن بعض حقول المعرفة كالفلسفة والعقائد وتفسير القرآن وكتب الحديث. فأخرج لي نماذج منها، فشاهدت كتابات في الشعر الصوفي لعمر الخيام والمثنوي وابن عربي، وكتب العقائد المسيحية، وتفسير الطبري وتفسير محمد أسد (رسالة القرآن) وصحيحي البخاري ومسلم. بعد ذلك ودعت غارودي ورافقتني زوجته بابتسامتها إلى باب المنزل الذي تشم منه عبق التاريخ والفن والفلسفة.

الدكتور مراد هوفمان
دبلوماسي اجتذبه الفن الإسلامي

يعد مراد ويلفريد هوفمان واحداً من أشهر المفكرين الأوربيين الذين اعتنقوا الاسلام، فهو من حيث غزارة علمه، وثقافته الواسعة، وخلفيته الأكاديمية، يعتبر من أشهر المثقفين الغربيين، بعد النمساوي محمد أسد والفرنسي روجيه غارودي، الذين تركوا الثقافة الغربية والديانة المسيحية ليجدوا ملجأهم في الإسلام ديناً وعقيدة، نظاماً للحياة وفكراً وفلسفة. التقيته في مسكنه الصيفي في اسطنبول ليكون لنا معه هذا الحوار الذي يتناول مسيرته نحو الاسلام وأفكاره وكتاباته.

بطاقة شخصية

- ولد هوفمان عام ١٩٣١ لأسرة كاثوليكية في مدينة أشفنبرغ في ألمانيا. كان والده أستاذ رياضيات.
- بدأ دراساته الجامعية عام ١٩٥٠ في Union Collegeفي نيويورك حيث درس الفلسفة.
- أنهى دراسته للقانون الألماني بحصوله على الدكتوراه من جامعة ميونيخ عام ١٩٥٧، ثم حصل على درجة الماجستير في القانون الأمريكي من هارفارد عام ١٩٦٠.
- عمل الدكتور هوفمان غي وزارة الخارجية الألمانية من عام ١٩٦١ وحتى عام ١٩٩٤، تخصص في مسائل الدفاع النووي.
- التحق بالسفارة الألمانية في الجزائر عام ١٩٦١ وشاهد فصولاً من الحرب الدامية بين المحتل الفرنسي والمجاهد الجزائري المسلم، فكانت لهذه التجربة أبلغ التأثير في وجدانه ونفسيته.
- احتل هوفمان مناصب دبلوماسية رفيعة، فقد كان مدير استعلامات الناتو في بروكسل (١٩٨٣-١٩٨٧)، سفيراً لألمانيا في الجزائر (١٩٨٧-١٩٩٠) ثم سفير ألمانيا في المغرب (١٩٩٠-١٩٩٤).
- اعتنق الاسلام عام ١٩٨٠ وأدى العمرة عام ١٩٨٢ ثم أدى الحج عام ١٩٩٢،
- كانت متزوجاً من أمريكية، وله منها ابن واحد. ويعيش اليوم مع زوجته التركية في اسطنبول صيفاً، وفي ألمانيا شتاءً.
- له مقالات عديدة منشورة في المجلات الفكرية والاكاديمية حول الاسلام، كما صدرت له عدة كتب هي:
  - (يوميات ألماني مسلم) عام ١٩٨٥، وقد ترجمت إلى العربية والفرنسية والانكليزية.
  - (الاسلام كبديل) الذي نشر بالألمانية عام ١٩٩٢ وأثار ضجة في ألمانيا والعالم، وترجم إلى الانكليزية والعربية.
  - (الإسلام عام ٢٠٠٠) الذي صدر بالعربية والانكليزية عام ١٩٩٥.

- (الطريق إلى مكة) عام ١٩٩٦ وصدرت الترجمة العربية عام ١٩٩٨،
- (الاسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود) عام ٢٠٠٠ والطبعة العربية عام ٢٠٠١،

في حي (تشويقية) الراقي في القسم الأوربي من اسطنبول، يسكن هوفمان في شقتين، السفلية للعائلة، والعلوية تضم غرفة للضيوف ومكتبه ومكتبته. استقبلنا مرحباً ودعانا إلى غرفة الضيوف التي فرشت بالأثاث المغربي وزينت بالتحف النحاسية التركية. وفي ركن منها علقت قطعة سوداء من كسوة الكعبة الشريفة، أهديت لها في احدى زياراته للمملكة السعودية. بدأنا الحوار معه:

فشل الكنيسة الغربية

يعتقد بعض المسلمين الأوربيين أن الكنيسة المسيحية قد فشلت في اداء رسالتها. فالكنيسة الغربية اليوم تتبع مجتمعا ولم تعد تقود المجتمع. والكنيسة الغربية صارت مستعدة للتكيف مع متطلبات المجتمع وحتى بصدد القضايا التي تناقض عقيدتها وتعاليمها كالشذوذ الجنسي وزواج المثليين. لقد فقدت الكنيسة رسالتها الأخلاقية في المجتمع. يقول هؤلاء المسلمين الأوربيين بأننا لا يمكننا الثقة بالكنيسة بعد الآن، وأننا مشوشون من العقائد المسيحية. ولذلك يجب علينا أن نبحث عن خيار ديني آخر. هل توافق على هذه الرؤية؟

هوفمان: نعم بالتأكيد. ودليل على فقدان الكنيسة والمسيحية دورهما في المجتمع الغربي، أسوق لك هذا المثال: في الذكرى السنوية الخامسة والعشرين لانشاء مسجد ميونيخ، تمت دعوة ممثلين عن الكنائس والحكومة. وقد صرح ممثل الكنيسة البروتستانتية وهو أسقف: تعلمون أنني أشعر بالسعادة بينكم لأنني أستطيع التحدث بين المسلمين حول الله دون الاحساس بالخجل. فهذا كلام الكنيسة البروتستانتية، ألي ذلك غريباً؟

لم تتم قراءة المسلمين من قبل رجال الدين الكاثوليك والبروتستانت لأن المساجد مملوءة لكن الكنائس فارغة. بعض الناس يعتقد بأننا نفعل نفس الذي يفعله بعض الكاثوليك المتشددين، مثل الأسقف الفرنسي فيدرو. لقد حدثت تنازلات مسيحية كثيرة ازاء المجتمع، حتى أن كثيرين يعتقدون أن المسيح (ع) لم يعد سوى برنامج اجتماعي، ونحن آخر المسيحيين.

رحلتي إلى الاسلام

- ذكرت في كتاب (الطريق إلى مكة) أن أول لقاء لك بالاسلام كان محاضرة حول الاسلام قدمها الألماني المسلم محمد

هوبوم. فهل تذكر لنا تفاصيل ذلك؟

هوفمان: عندما التحقت في وزارة الخارجية في بون، كان من عادة الوزارة أن تقيم دورة خاصة لدبلوماسييها المتوجهين إلى البلدان الإسلامية حيث يتعرفون من خلالها على ديانة وثقافات هذه

البلدان. وطلبت المشاركة في الدورة فسمح لي بذلك والتقيت بهوبوم. لقد كان يتحدث عن الاسلام بثقة وحماس وقناعة. لقد كان رجلاً رائعاً سرعان ما جذبني كلامه.

في تلك الفترة تعرفت على شيخ مصري، محمد أحمد رسول، لجأ إلى ألمانيا في عهد عبد الناصر واستقر هناك وتزوج بألمانية، وافتتح دار نشر. في ذلك الوقت بلغ ولدي الثامنة عشر من عمره فقلت له: بدلاً من أعطيك هدية ذات قيمة مادية، سأهديك شيئاً آخر، سأكتب لك خبرة والدك العجوز في الحياة. لقد كنت طوال عام كامل مشغولاً بكتابة مقالة من ١٤ صفحة، سميتها (نظرة فلسفية إلى الاسلام)، لقد أعطيت المقالة إلى محمد رسول ليقرأها فأخذها، وفي اليوم التالي سألني: هل أنت تدرك ما تقوله فأنت مسلم! فقلت له: كيف ذلك؟ فقال:، إذا كانت هذه هي قناعتك فأنت مسلم. فقلت له: طالما أنك إمام مسجد، وأنا أؤمن بما كتبته، فأنت على حق. ثم لقنني الشهادتين، وقال لي: وكي أثبت أنني أؤمن بأن ما كتبته هو الاسلام سأنشر، وهذا ما حصل.

- **لقد سميتها نظرة فلسفية إلى الاسلام، فعل كانت مجرد مناقشات عقلية؟**

هوفمان: نعم،

- **أي أنك تريد اثبات كيف يمكن التوصل للإسلام عن طريق فلسفي، وليس عن طريق الوحي، أي اثبات وجود الله بطريق آخر.**

هوفمان: نعم، هي طريق للإثبات بلا وحي، أي يمكننا معرفة الله عبر العقل فقط.

- **هذه هي الحكمة أو الفلسفة.**

هوفمان: نعم، بامكانك استخدام قدراتك العقلية ثم تقول أنه بإمكاننا معرفة الحقيقة. ومن ثم تستنتج أننا سجناء احساسنا، لغاتنا و شهواتنا. عندها تصبح أكثر فأكثر نقداً لقدراتك للمعرفة العقلية، ثم تعي أننا سجناء أفكارنا ولذلك فنحن بحاجة إلى الوحي. وإذا أردنا اكمال الطريق فيجب أن نلجأ للوحي الالهي.

- **هل اعتمدت في (نظرة فلسفية) على الفلسفة الغربية؟**

هوفمان: نعم، وخاصة لودفيك ويتغينيشتاين الذي هو أعتبره أكبر فيلسوف في عصري.

لقد استفدت كثيراً من علم اللسانيات مثلاً: عندما تتحدث عن الله في الغرب، فإن لغتك الفرنسية أو الانكليزية أو الألمانية تعطيك لفظة معينة: Dieu God Got وهذا اسم. ولكن إذا كنت هندياً أمريكياً فانك تتكلم لغة (الهيروكوي). وهي لغة ليس فيها اسماء بحيث تشرح كل شيء بالقول. فبدلاً من القول (المطر ينزل rain falls)، أي مطر؟ تقول بدلاً عنه: (انها تمطر it rains)، وبدلاً من القول (الثلج ينزل snow falls) تقول (إنها تثلج it snows). فالناس هناك لا يقولون (لديه منزل He has a house) بل يمكنهم القول فقط: هو يُمَنْزِل He houses).

مثل هؤلاء الأشخاص ليس باستطاعته ادراك الله بأنه شيء سرمدي بل يفهم الأشياء المتحركة، التي تطور أفعالاً. من ذلك يمكنك أن تفهم كم نحن سجناء للغات التي وضعناها بأنفسنا.

الفن الاسلامي نتاج حضارة راقية

- **قلت أنك بقيت عدة عقود من السنين منجذباً للإسلام، فهل توضح ذلك؟**

هوفمان: يقول بعض الناس بأن الانسان لا (يتحول) نحو الاسلام بل (يعود) إليه، أي يعود إلى بيته الفطري. كان لدي مثل ذلك الشعور. لقد كنت ناقداً فعالاً في فن (الباليه)، وكل عام كنت أشاهد على الأقل خمسين عرضاً راقصاً. لقد عملت في مجلة متخصصة بفن الباليه في نيويورك، ولدي فكرة عن الجمال،

- **تقصد تجربة جمالية.**

هوفمان: نعم، كان باستطاعتي القول أن هذا العمل أو ذاك يمثل تحفة جمالية في الفن القوطي أو الفن البدوي. ولكن ذلك الفن ترك قلبي بارداً، أما عندما التقيت بالفن الإسلامي في تونس، (جامع القيروان)، أو في اسبانيا (مساجد قرطبة وقصور غرناطة) شعرت بحرارة في أعماقي. لقد كنت متحمساً لها، لرؤيتها، شعرت بتدفق إحساسات دافئة لم أشعر بها من قبل أمام تمثال من حجر أو عمود من المرمر. لقد انجذبت للفن والعمارة الإسلامية بشكل عميق. في تلك الفترة باشرت بقراءة القرآن عبر إحدى الترجمات، لقد انجذبت للغة حتى المترجمة.

- **هل كانت ترجمة ألمانية؟**

هوفمان: نعم، لقد جذبتني الترجمة الألمانية.

- **نعود لانجذابك للفن الاسلامي. تقول أن ما شاهدته في مساجد قرطبة وقصور غرناطة هو نتاج حضارة إنسانية متقدمة. كيف يمكن أن توضح العلاقة بين الفن والحضارة الراقية؟ نحن الآن في اسطنبول نشاهد الآثار والعمارة البيزنطية، وفي مصر عمارة تعبر عن الحضارة المصرية، فهل يمكن أن نقول عنها أنها نتاج حضارة راقية مثل الحضارة الاسلامية؟**

هوفمان: من الواضح أن كل حضارة تترجم قيمها في معمارها. الفرق بين الفن المعماري الحالي والمسجد الذي تشاهده هناك (مسجد السليمانية في اسطنبول) كبير جداً، فنحن اليوم لا نبني بنايات مثلها. أبراج الكنيسة ومنائر المسجد تشير إلى السماء، فهل يفعل الفن المعماري الحديث ذلك. يضاف إلى ذلك حجم الجهد والوقت والمال الذي أنفق في المساجد. لقد ساهم الناس بأموالهم لأسباب عقائدية وليس لأغراض تجارية.

انطباعات أول زيارة لبلد اسلامي

- **متى قمت بأول زيارة لبلد مسلم؟**

هوفمان: كان ذلك عام ١٩٦١، عندما أرسلت كدبلوماسي إلى الجزائر خلال حرب التحرير والاستقلال. لقد رأيت الجزائريين يعانون تحت الاحتلال الفرنسي. لقد كان ذلك بالنسبة لي غير سهلاً على الاطلاق: كيف يمكن لهؤلاء الجزائريين أن يكونوا صبورين وورعين إلى هذا الحد وهم يعانون مثل هذا الاضطهاد؟ لقد أدركت أن وراء هذا الخلق العالي نظاماً اخلاقياً رفيع المستوى. وهذا ما دفعني لقراءة القرآن لفهم ما الذي يجعلهم يبدون هكذا.

- **هل كنت تبحث عن المصدر الذي يمنحهم هذا والالهام؟**

هوفمان: أبحث عن مصدر القوة.

- **نعم، القوة الروحية. هل تحققت بمرور الزمن أن هذه القوة مصدرها الدين؟**

هوفمان: نعم.

- **أو ربما تكون السياسية، لأنهم محتلون من قبل الفرنسيين، ولديهم مقاومة سياسية ونضال عسكري. لماذا اعتقدت أن القضية وراءها أمر ديني؟**

هوفمان: إن الذي جعلني أعتقد أن الدين وراء هذه القوة هو أنني، مثلاً، شاهدتهم يصومون رمضان بالرغم من قسوة الحرب والظروف والآلام التي يعانونها. أظهر لي ذلك بأن قوتهم تعتد على أساس ديني.

- **ذكرت في كتابك (الطريق إلى مكة) قصة السائق المسلم الذي تبرع لزوجتك بالدم لينقذ أجنبية من غير دينه وفي ظروف الحرب. هل أثار هذا الموقف الاجتماعي فيك الانجذاب أكثر نحو الاسلام؟**

هوفمان: بالضبط، حيث عشت ظروف الحرب حيث العرب والبربر يقاومون الفرنسيين. في تلك الأجواء يفترض بأي سائق تاكسي جزائري أو سيارة اسعاف أن يعتبر كل اوربي عدو له. ولكن في ذلك المحيط، تجد رجلاً يعرض دمه لتبرع به لسيدة أمريكية، أظهر لي أنه يوجد هناك نوع من الأخوة الانسانية والتسامح. وهذا الأخلاق لا تتفق مع من كان قومياً بل مع متدين.

تعميق المعارف الاسلامية

- **كيف تعمقت في دراسة العلوم الاسلامية؟ وهل درست دراسة إسلامية أكاديمية؟**

هوفمان: لم أدرس في جامعة إسلامية، لكن بعد أن اعتنقت الإسلام، وكان عمري ٤٠ عاماً، كنت في منتصف حياتي المهنية كدبلوماسي. ولم يكن باستطاعتي التخلي عن عملي والانشغال

بالدراسات الإسلامية، ولكني قرأت مئات الكتب: في التاريخ الإسلامي، التصوف، الفلسفة الإسلامية، الحديث وغيرها. لقد طلب مني في بريطانيا القيام بقراءة كتب إسلامية وتقديم عرض موضوعي لها في مجلة فكرية متخصصة. وقمت بقراءة (١٥٠) كتاباً أي ما يعادل ستة آلاف ورقة سنوياً، بالطبع درست القانون الألماني والأمريكي. وعندما توضع في نظامين قانونيين مختلفين فليس من السهل تعلم نظاماً آخر. وعندما قرأت كتباً في القانون الإسلامي أدركت الإسلام أفضل مما تعلمته عبر المعمار.

- **ذكرت في كتابك (الطريق إلى مكة) بأن الاسلام دين الحق لأن القرآن لم يتعرض للتحريف والتزييف. كيف توصلت إلى هذا الاستنتاج؟**

هوفمان: عندما تقارن ما يدعى بالكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، تجد أنهم لا يشكون في أن الكتاب المقدس قد تطور خلال الفي عام. ونحن في الواقع لا نعرف من هم مؤلفو الكتاب المقدس. وهناك كتب مختلفة (الكتاب المقدس اليهودي)، (الكتاب المقدس الكاثوليكي)، (الكتاب المقدس البروتستانتي) و(كتاب الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية). وعندما تقارن بينها تجدها متخلفة في المحتوى، فأيهم هو الكتاب المقدس الحقيقي؟

ولو قارنا ذلك بالقرآن لرأينا أن هناك استمرارية في القرآن منذ نزوله، فهو يقرأ في الصلاة، ويتلى في المساجد. وقد جمع بعد وفاة الرسول بفترة قليلة. ثم جرى نسخه وتوزيعه على البلدان الإسلامية، وهناك تم استنساخه. فلم يتغير شيء منه أبداً. وكان آلاف المسلمين يحفظونه عن ظهر قلب في عهد النبي (ص). ولذلك لا يوجد لدينا وثيقة تعود لذلك العصر أقوى موثوقية من القرآن،

- **هل تحققت بذلك بنفسك كمفكر أي درست النص القرآني والسنة أم تعلمت ذلك بعد اعتناقك الاسلام؟**

هوفمان: بالطبع، أكثر أو أقل في ذلك الوقت. عندما قرأت صحيح البخاري وصحيح مسلم. لقد شعرت بنفسي بأن هذان الصحيحان يوحيان بالاطمئنان بأن الأحاديث الواردة فيهما صحيحة، أكثر من الصحاح الأخرى. وأن كل الأحاديث التي روتها عائشة توحي بذلك. إذن يجب أن تكون صحيحة. أما أحاديث أبو هريرة فهي توحي بالشعور كأنما أحد يغني للضفادع. فهي في الغالب غير مفهومة تماماً، فهو لم يكذب، ولكنه لم يفهم القضية أو الموضوع.

من الواضح أن التأكيد على إسناد الحديث بدلاً من الغوص في المتن أنتج هذه الحالة التي جعلت كتب الصحاح تتضمن أحاديث غير حقيقية، وهذا ليس جوهرياً طالما لدينا وثيقة حقيقية هي القرآن الكريم وكذلك من يدعى بـ(السنة الحية).

لو اعتقدت الأمة بأن شيئاً ما يعتبر صحيحاً لقرون طويلة، فهذا يعني وجود اجماع عليه. وهذا ما يمنح الشيء قيمة كبيرة في حين أنه ربما كان مشكوكاً به في اصله.

- **ولكن المعنى الاصطلاحي للإجماع لا يعني ذلك. لا يوجد اجماع بين الفقهاء والمفسرين في التاريخ الاسلامي كله. فعن أي اجماع تتحدث؟ وفي أي عصر؟ أو في أي قرن؟ فلو اعتبرت جيلاً معيناً أو قل ٣٠ عاماً من أي قرن، فلن تجد فيه اجماعاً على أية قضية معينة، لأنه كان مسلمون في أقصى الغرب، في اسبانيا والمغرب، وفي أقصى الشرق في الهند وماليزيا وأندونيسيا. ولذلك لا يوجد اجماع حقيقي أي اتفاق جميع الفقهاء والمفسرين حول قضية اسلامية معينة. إن الاجماع ليس قضية واقعية بل هي افتراضية أو نظرية.**

هوفمان: سأضرب لك مثالاً: هناك ما يسمى بحديث (اطلبوا العلم ولو كان في الصين)، ولكن كل مسلم ينقله على اعتبار أنه حديث، أو أن كل مسلم يعتقد بأن هذه هي الرسالة الصحيحة. لقد أصبح هذا الحديث رسالة مقبولة بالرغم من كونه غير حقيقي.

- **نعم، ولكن لو كان هناك حديث في صحيح البخاري، ومتن الحديث يعارض القرآن الكريم. كيف يمكن أن نقبل مثل هذا الحديث؟ أليس القرآن هو المعيار في تقييم الحديث؟**

هوفمان: لا يمكن للسنة أن تنسخ القرآن، بل هي تهدف إلى تفسير أو توضيح القرآن. ولكن هناك احتمال دائماً بسوء فهم الحديث.

ترجمة القرآن للألمانية

- **ذكرت أنك قمت بترجمة جديدة للغة الألمانية.**

هوفمان: كانت ترجمة تعود لقرن مضى. فيما بعد قمت بتنقيحها وتطويرها في طبعة جديدة.

- **هل اعتمدت على آرائك الشخصية في تفسير معاني الآيات أم اتبعت آراء مفسرين مسلمين، قدماء ومعاصرين؟**

هوفمان: من الملاحظ أنني لو أكتب كتاباً مثل كتابي الأخير (الاسلام في الألفية الثالثة) فمن الواضح بأنه كتابي ويتضمن آرائي. ولكن هذا العام قمت بنشر كتيب صغير بعنوان (الاسلام) حيث لم أضع أي من آرائي فيه، لأنك تتحمل مسؤولية تعريف الاسلام ووصفه من منظور المسلمين السنة. لقد استغرق الكتيب مني وقتاً أطول مما لو كتبت كتاباً ضخماً، لأنني أريد أن أتأكد بأن كل ما كتبته هنا يمثل رأياً عاماً بين المسلمين.

عندما قمت بتحقيق الطبعة الألمانية القديمة التي قام بها المستشرق الألماني ماكس هيننك عام

١٠٩١، اتبعت ما يلي:

١- قمت باعادة جذور الألفاظ الألمانية إلى اللاتينية.

٢- كتابة بداية كلمة الجلالة (الله) أو أية لفظة تعود إليه بحرف كبير Allah.

٣- قمت بازالة كل التفسيرات الصغيرة للمترجم الألماني ووضعت بدلها تفسيرات مسلمين.

٤- وضعت فهرست جديداً للموضوعات حيث أضفت المفاهيم التي لا تظهر عادة في القرآن الكريم. عندما يوضع الفهرست عادة ما يتضمن الكلمات التي وردت في النص الأصلي، لكن هناك مصطلحات اسلامية لكنها غير واردة في القرآن، خذ مثلاً كلمة (اجهاض) أو (الشذوذ الجنسي) فهي لم ترد حرفياً في النص القرآني.

٥- فيما يتعلق بالنص، فقد كنت مضطراً لتغيير اللغة المستخدمة في الترجمة، لأن اللغة الألمانية قد تطورت كثيراً خلال المائة عام الماضية. هناك عبارات لا يمكن فهمها على الاطلاق، لأنها صارت استثنائية جداً في التداول. عندها يجب أن تفكر في نص يعود لـ ١٤٠٠ عام ومترجم بلغة ألمانية تعود لمائة عام، فتصور الصعوبة.

٦- كانت تلك الترجمة غير مقبولة لدى المسلمين. لقد عدت إلى ٢٤ ترجمة مختلفة للقرآن الكريم باللغات الانكليزية والفرنسية والألمانية والتركية. ولو وجدت على الأقل مفسراً مسلماً واحداً يوافق رأيه رأي المترجم الألماني في تفسير آية أو كلمة، أبقيت ذلك الرأي في الترجمة. وإذا لم أجد ذلك أقوم باعطاء الفكرة العامة المتداولة بين المسلمين حول ذلك المعنى. وإذا لم تكن هناك قناعة عامة بين المفسرين المسلمين كنت أختار ترجمة محمد أسد ما لم يكن هناك سبب جيد يقضي بعد الأخذ برأيه.

- **إن ذلك عمل عظيم، حيث يجري التأكيد على التقنية واللسانيات إضافة إلى المحتوى. لماذا اخترت ترجمة قديمة تعود لمائة عام بداً من أن تباشر بنفسك ترجمة عصرية للقرآن الكريم مثل ما فعل محمد أسد؟ ألا يكون ذلك أيسر عليك للتعبير عن رأيك، وأن تزودنا بتفسير عصري جديد، او ترجمة للقرآن في العصر الحديث؟**

هوفمان: أولاً: لم أجد أية ترجمة ألمانية أخرى للقرآن الكريم أو معاصرة جيدة قام بها مسلمون. وحتى الترجمات التي قام بها أحمد فون دينفر(ألماني مسلم) ومحمد أحمد رسول (مصري مقيم في ألمانيا)، رغم أنها تعجبني. بالنسبة لترجمة محمد رسول، والتي صدرت منها ثمان طبعات، فعندما تقرأها تشعر أن مؤلفها لم يولد ألمانياً. أما ترجمة محمد أسد الانكليزية والتي قام فون دينفر بترجمتها إلى الألمانية فهي ليست ترجمة إلى اللغة الألمانية بل هي ترجمة كلمات ألمانية مصفوفة. لقد قام بترجمة كل كلمة عربية، فيجب عليك تصحيح ترجمة كل كلمة، ولكن هذه ليست لغة ألمانية.

فقد ترجم كلمة (ولكن)، في حين لا توجد في اللغة الألمانية ترجمة حرفية لكلمة (ولكن) بل توجد إما (و) أو (لكن)، إذ لا يمكنك أن تربط بينهما (und Aber)،
كنت أريد ترجمة للقرآن صحيحة ولكن باللغة الألمانية. هناك ترجمة أمين زيدان (سوري مقيم في فرانكفورت) ولكنها مكتوبة بلغة استشراقية قديمة. كما أنه ترجم معاني القرآن دون أن يترجم معاني (١٢٠) مصطلح مثل الزكاة والصوم والوحي، الخ. ويقول في تبريره عدم ترجمته هذه الكلمات بأنه لا يمكن ترجمتها. تصور كيف سيقرأ الألماني العادي مثل هذا الكتاب. أنا أقول: من الممكن ترجمتها، وكما يمكن وضع هوامش تذكر معان أوسع لها.

- **أي مثل ما فعل محمد أسد في ترجمته (رسالة القرآن) فقد وضع معنى الآية كترجمة ثم قام بوضع تفسيرات وشروح اضافية للكلمات في الحاشية.**

هوفمان: لقد طلبت مني زوجة أسد القيام بترجمة ترجمته إلى الألمانية لكنني اعتذرت. لأنني لم أرد ترجمتها كما هي لأنني وجدت فيها أشياء لا أريدها، وسأضرب لك مثلاً: قام بكتال Pickthall (انكليزي مسلم) بترجمة القرآن قدر ما يمكنه من الدقة بنفس العدد من الكلمات العربية تقريباً. ولما كان النص القرآني قوياً على قصره وبلا استخدام صفات. عندها سندرك مهمة بكتال، بالطبع لقد وجد مشقة في ايجاد اسمين متماثلين من لغتين مختلفتين. في تلك الحالة يجب ان تستخدم حاشية للشروحات. ولكنه لم يكن مثل محمد أسد الذي اضافة العديد من الصفات. فعندما تقرأ النص القرآني تجده قصيراً جداً، لكن محمد أسد ترجمه في سطرين. إن ذلك يفقدك الاحساس بقوة الدفق في النص القرآني.
هذا شيء، والشي الآخر فقد قام محمد أسد باخفاء كلمات من النص القرآني مثل كلمة (الشيطان)، ففي الوقت الذي يذكر النص القرآني هذه اللفظة نراها تختفي في ترجمة أسد، ولو كنت مكانه لاستخدمت ما يشابه كلمة شيطان في اللغة الألمانية، ثم أضع هامش أقول فيها بأن هذه الكلمة قد تعني كذا وكذا. كيف يقدر على حذف شيء من النص الأصلي؟
- لقد ترجم أسد معنى (الشيطان) بأنه (النفس)،

ترجمة محمد أسد للقرآن الكريم

كتبت مقالة في مجلة (دراسات اسلامية)، التي تصدر في اسلام آباد، بعنوان (محمد أسد: هدية أوربا للإسلام)، انتقدت فيها تفسيره للقرآن الكريم. وقلت: (يستعين أسد بالصفات والظروف، وهي غير موجودة في النص القرآني). كما أنه يفسر لفظة الرحمن بألفاظ ذات خلفية مسيحية، ويتجاوز البساطة في اللغة القرآنية).

هوفمان: يذكر القرآن مثلاً، الحكيم و العادل، فيجب أن تترجم إلى ما يقابلها في الانكليزية مثل Wise و Just. كما تترجم كلمة العلم بـ the Knowledge وليس Science، فأسد يستخدم عبارات مستخدمة في الكتاب المقدس. فلا يوجد عادل سوى الله سبحانه، ولا يمكن مقارنة عدله مع أي شيء آخر.

- **هل قرأت بعض أفكاره وتفسيراته لبعض المفاهيم الاسلامية مثل الجن والاسراء والمعراج؟ لديه يعطي تفسيرات غريبة. كما انه ينكر وجود بعض الشخصيات القرآنية مثل لقمان والخضر وذي القرنين. لماذا صار يفكر بهذه الطريقة وعمره يتجاوز السبعين عاماً؟**

هوفمان: لقد كان في الثمانين.

- **نعم، لقد أتم ترجمته في هذه السن. فلماذا صار في هذه السن المتأخرة ينكر بعض العقائد الاسلامية؟**

هوفمان: أعتقد يعود ذلك إلى أنه نشأ في شبابه في فيينا التي كانت تعيش أزهى عهود الفرويدية. لقد طبق أسد نظريات علم النفس على الاسلام فيما بعد، ولذلك نظر لمفاهيم الجن والشيطان من منظور سيكولوجي.

- **إذن هو لم يؤمن من أعماقه بالاسلام مثل بقية المسلمين بل عاد إلى عهد شبابه الذي يعود إلى العشرينيات من القرن الماضي، مع تلك الخبرة الطويلة بالاسلام،**

هوفمان: أعتقد أنك متعلم، لكنك لست منسجم تماماً مع ما تعلمته في سن ١٥-١٦ سنة. لقد كانت فترة من الزمن، وكان عصر شباب أسد هو عصر الفرويدية.

- **أبديت اعجابك بكتابه (الاسلام على مفترق الطرق) كما أثنيت على نقده للحضارة الغربية ونبوءاته المستقبلية.**

هوفمان: نعم، بالضبط.

دوافع محمد أسد لاعتناق الاسلام

- **ما زلت ترفض قصة اعتناق أسد للإسلام التي أوردها في كتبه. كما أنك تعتبر مشهد المترو في برلين ونتائجه غير مقبول.**

هوفمان: أنا أعرف ابن زوجته الأولى، والذي نشأ معه في السعودية منذ البداية. فقد كان عمره ثمان سنوات ومكث مع أسد (زوج أمه) قرابة ثمان سنوات، حتى تركه في عمر ١٦ عاماً. لقد عاد إلى ألمانيا لأن خاله طالب به، وهو ما يزال حياً. لقد حدثني بقصص كثيرة عن محمد أسد. وفي النمسا قام أحد الباحثين بكتابة رسالة دكتوراه عن محمد أسد، ووجد بأن بعض القصص

التي أوردها محمد أسد في (الطريق إلى مكة) غير صحيحة مطلقاً. يوجد قليل من الخيال والشعر قد أضيفا فيه.

- **ولكنك أشرت إلى هذا الكتاب في مقالتك الانفة الذكر.**

هوفمان: نعم، لقد صوّر نفسه بأنه كان مغرماً بحب العرب، فالاسلام لم يحتل دوراً. إنه الشرق، اللغة العرب والعرب الذين أعجب بهم كثيراً. فيما بعد اكتشف أسد الاسلام، وتحول حبه للعرب إلى حب الاسلام. لقد كان هذا التحول الكبير الثاني في حياته. ثم اعتقد أن الاسلام سيكون هو البديل المناسب للعالم الغربي، الطريق التي وصفها في (الاسلام على مفترق الطرق). هذا هو محمد أسد الذي لم يكن متحرراً بعد من الوهم، بل كان متفائلاً.

- **انت وصفت أسد بأنه (هدية) أوربا إلى الاسلام، ما هي المساهمات التي قدمها أسد للإسلام؟**

هوفمان: أولاً، أن يقوم يهودي ومن عائلة حاخام بالتحول إلى الاسلام فهذه رسالة إلى العالم اليهودي. لقد كان مفكراً أوربياً قد اعتنق الاسلام،وهذه الرسالة الثانية. لقد مهد الطريق لنا امام أهم مصدرين في الاسلام: القرآن والحديث. لقد ترجم صحيح البخاري. وكان معظم مخطوطة هذه الترجمة قد ضاعت منه. لقد قدم خدمة كبيرة في ترجمة البخاري. كما قدم مساهمة كبيرة في ميدان الفقه وخاصة فيما يتعلق بالحكومة الاسلامية وحقوق الانسان. لقد تناول القضايا الرئيسية في الاسم مما جعل الاسلام مقبولاً من قبل الأمريكان والأوربيين.

- **فيما يتعلق باليهود الذين اعتنقوا الاسلام، يوجد يهود آخرين أيضاً أمثال مريم جميلة الأمريكية الجنسية. وفيما يتعلق بالمفكرين الأوربيين، فقد سبقه لذلك العديد من المفكرين الأوربيين أمثال وليام كويليام في بريطانيا في بداية القرن العشرين. وكلهم قدموا مساهمات للإسلام. ولا ننسى أن محمد مرمدوك بكتال كان أول انكليزي مسلم ترجم القرآن الكريم. فلماذا صار أسد متميزاً بينهم؟**

هوفمان: يجب أن تأخذ الزمن بنظر الاعتبار. عندما أصبح أسد مسلماً كان ذلك في العشرينيات من القرن العشرين. ذلك لم يكن شائعاً على الاطلاق آنذاك. كما أن ظاهرة العمال المسلمين لم تكن موجودة في أوربا بعد. وكان العالم الاسلامي مجرد دول بائسة. كانت البلدان الاسلامية مستعمرة من قبل الغرب، لقد رفع مشعل الاسلام في الظلام الدامس لذلك الوقت. اليوم تبدو القضية سهلة.

- **تعل تعني أن أسد كان رائد عصره؟**

هوفمان: نعم، كان رائداً.

- **لاحظت أن كتابه (الاسلام في مفترق الطرق) قد ذاع صيته في العالم الاسلامي، كما كان له تأثير بين العرب ورجال الفكر الاسلامي. فقد استخدم سيد قطب مصطلح أسد (الصليبية الجديدة) في الخمسينيات، و لكن فيما يتعلق بكتبه الأخرى مثل (مبادئ الحكومة والدولة**

في الاسلام) لم أجد كاتباً يشير إليه أو ينقل عنه، مع العلم أنه يناقش قضية الحكم والدولة، والتي تهم الحركات الاسلامية والاسلام السياسي.

هوفمان: هناك اختلاف كبير في النظرة نحو أسد بين الدوائر الاسلامية الغربية وبين المسلمين في العالم الاسلامي. في مقالتي أشرت إلى واحدة من القضايا،وهي أنه كان متزوجاً من ابنة شيخ قبيلة [الشمري]، واستمر زواجه بها ٢٣ عاماً، ثم طلقها ليتزوج باولا حميدة، الأمريكية من أصل بولندي. بطلاقه من السيدة العربية فقد أسد وضعه في العالم العربي. لا يزال كثير من الناس لا يغفرون له طلاقه من نبيلة سعودية.

- **في مقال كتبه مارتن كريمر وهو اسرائيلي، ذكر أن محمد أسد قام باعادة علاقاته مع اقاربه اليهود المقيمين في اسرائيل أمثال عائلة خاله. فهل يمكن أن يكون ذلك هو السبب الذي أفقده منصبه كسفير للباكستان في الأمم المتحدة؟**

هوفمان: كلا، هذه مجرد رواية. لقد عشق أسد السيدة باولا حميدة ولكن وزير الخارجية الباكستاني أيضاً قد وقع في حبها. كلا الرجلين أراد الزواج بها، لكنها فضلت أسد وتزوجته. الأمر الذي أغضب وزير الخارجية فطرده من منصبه. إنها قصة حب حقيقي. ولما كان رئيس الوزراء الباكستاني آنذاك من طائفة الأحمدية، فهو عادة ضد أسد. فهذه هي خلفية القضية.

- **لأنك كنت على اتصال به، هل لاحظت أنه كان مستاءاً من معاملة الحكومة الباكستانية له؟**

هوفمان: لعل ما جعله يختار مغادرة وزارة الخارجية هو نجاح كتابه (الطريق إلى مكة)، واعتقد أنه بامكانه العيش على أرباحه، وأنه أراد الاستمرار في الطريق الذي طالما رغب السير فيه: الدعوة. ولكن في الواقع لم يعامل أسد معاملة حسنة من قبل وزير الخارجية.

- **ألم تدفع الحكومة الباكستانية له راتباً أو تقاعداً؟**

هوفمان: بسهولة، فسخوا العقد معه.

- **هل كان يعمل ضمن عقد عمل أم موظفاً حكومياً؟**

هوفمان: لقد كان هناك لوقت طويل، ثم تم استدعاؤه في الخدمة الخارجية عندما كانوا يبحثون عن سفير يذهب إلى الأمم المتحدة. وكان ذلك عام ١٩٥٠. وحتى عندما اكتشفوا أنه ليس مواطناً باكستانياً، منحوه الجنسية بسرعة كي يمكنه الحصول على جواز سفر دبلوماسي، ثم أرسلوه بسرعة إلى الأمم المتحدة. بعد ثلاث سنوات كتب (الطريق إلى مكة)، ولذلك لم يجد ما يطالب به لأنه عمل لمدة ثلاث سنوات فقط.

هوفمان: هناك شك كبير بين المسلمين العرب، وذكرته في مقالتي، وهو أن اليهود الذين يشهرون اسلامهم ربما يريدون الكيد للإسلام.

- **لقد ذكرت في مقالتك أن العرب ينظرون بعين الشك لغير العرب الذين يقومون بتفسير النصوص الاسلامية،ولكن، وكما لاحظت أنت، هناك العديد من المفسرين من غير العرب أمثال الزمخشري والفخر الرازي.**

هوفمان: نعم، ولكنهم لم يكونوا من أصل يهودي.

- **ولكن هناك ايضاً العديد من الصحابة والمؤرخين ممن كانوا من خلفية يهودية أمثال بن سلام وعبد الله بن وهب وغيرهم. وقد شاركوا في تفسير القرآن ونقل الحديث النبوي، وهم مقبولون من قبل بقية المسلمين.**

هوفمان: ولكن وكما ذكرت بأن ذلك في الصدر الأول للإسلام، ولكن كان هناك خائن مشهور بين الصحابة وهو من أصل يهودي. لقد كانت هناك شكوك تجاه اليهود الذين اعتنقوا الاسلام.

- **هل تعتقد أنه كان لدى أسد شعور حساس تجاه أصله اليهودي؟**

هوفمان: لقد فقد بعض أفراد عائلته في معسكر (أوشفتز) حيث قتلوا هناك. من جانب آخر صار مسلماً.

- **يقول اسد (لقد رأيت في فلسطين مدى الظلم الذي يمارسه المستوطنون اليهود ضد الفلسطينيين). يبدو في النص تعاطف أسد مع الفلسطينيين ومناوئاً لليهود.**

هوفمان: لقد كان أسد ضد الصهيونية. عندما تزوج قبل اسلامه، لم يتزوج بيهودية بل تزوج بألمانية مسيحية.

- **في كتابك (الطريق إلى مكة) ذكرت أن أسد في أخريات حياته تساءل فيما لو عاد إلى شبابه ربما كان لا يختار الاسلام بسبب الوضع المزري للعالم الاسلامي اليوم.**

هوفمان: لقد قال لي: أشكر الله أنني أصبحت مسلماً قبل أن أذهب إلى العالم الاسلامي لأنني كنت سأصاب بالذعر. لقد اعتنق الاسلام في برلين بعد أن زار فلسطين فقط عام ١٩٢٧. ثم سافر إلى القاهرة. هذا يشابه ما قاله احدهم بأنه يوجد مسلمون كثيرون في العالم الاسلامي ولكن القليل من الاسلام، وفي الغرب يوجد اسلام كثير وقليل من المسلمين.

- **ينسب هذا القول إلى الشيخ محمد عبده.**

هوفمان: ربما كان أسد يعني ذلك. لقد لم يكن نادماً مطلقاً لأنه صار مسلماً،ولكن هو يشكر الله لأنه اعتنق الاسلام قبل أن يرى الأشياء السلبية في العالم الاسلامي.

- **كيف كانت حالته في سنواته الأخيرة؟**

- عندما كنت سفيراً في المغرب، كنت أمر في طريقي باسبانيا كي ألتقي به. فكنت أدق الباب قائلاً: أنا هنا، فيقول: اصعد. في عام ١٩٩١ قال لي: أرجو أن لا تأتي، لأنه كان ضعيف جسمياً بحيث لا يريد أن يراه أحد، ثم توفي عام ١٩٩٢.

انجذاب الأوربيين للإسلام

- هل تعتقد أن الأوربيين ينجذبون إلى الاسلام بسبب عقلانيته وبساطته مقارنة بالمسيحية؟

هوفمان: بالتأكيد، اذا كان الشباب الأوربي يكره شيئاً فهو النظام الكهنوتي المسيحي. فهم لا يريدون أن يكونوا جزءاً من هذا النظام، لأنهم يريدون أن يكونوا متساوين. ففكرة أن تكون أنت مع الله مباشرة بلا أسرار، ولا كنيسة ولا قساوسة، فكرة تناديهم في الأعماق. كما أن العقيدة التي تقول: لا حاجة بك أن تؤمن بأية معجزات، بل كل ما تفعله هو الايمان بأن الله موجود وأن محمداً (ص) هو رسوله، وهي عقيدة بسيطة ورائعة. بالطبع التوحيد هو اثبات لكن الناس الذين تعرضوا لفكرة التوحيد سيرون فوراً بأنها يمكن قبولها، وهذه فائدة، وأنهم أكثر واقعية. كما سيتحققون بأن القرآن الكريم لا يتناقض مطلقاً مع العلوم الطبيعية، في الوقت الذي يشهد الكتاب المقدس أخطاء فظيعة سواء في الحقائق التاريخية أو العلوم الطبيعية. خذ مثلاً قصة آدم وحواء، حيث يقع اللوم على حواء بأنها السبب لطردهم من الجنة، وأن عليها انجاب الأطفال وتحمل آلام الولادة كعقوبة لها على ما فعلت. بينما تجد في القرآن أنهم غادروا الجنة ليس كعقوبة ولا يوجد شجرة المعرفة المحرمة عليهم، كما يذكر الكتاب المقدس. لقد كانت النتائج مختلفة، فالموقف من المرأة والجنس والمعرفة أفضل في القرآن بكثير عما في الكتاب المقدس].

تطبيق الشريعة الاسلامية

- ما رأيك تجاه الدعوة لتطبيق الشريعة، كرجم الزاني وقطع يد السارق؟

هوفمان: قبل أن نقول: كيف نطبقها، يجب أن نتأكد أولاً انها جزء من الشريعة. فهناك من يعتقد أن رجم الزاني ليس من الشريعة. هناك قاعدة واحدة تتحدث عن رجم الزاني وهي موجودة في الكتاب المقدس. أما القرآن فينص على عقوبة جلد الزاني. فالقرآن يخفض العقوبة عما هي في الكتاب المقدس.

- هناك شخص واحد فقط هو الخليفة عمر بن الخطاب يدعي وجود آية تسمى (آية الرجم)، فراجعت القرآن فلم أجد فيه آية الرجم. من جانب آخر القرآن يقول أن عقوبة العبد هي نصف عقوبة الحر، فكم هو نصف الموت؟

- قد تخفض إلى الجلد.

هوفمان: كلا، إذا كانت العقوبة هي الرجم فيجب أن تكون نصف الرجم، ولا توجد عقوبة تساوي نصف الموت.

هناك مناقشة أخرى وهي أنه لا توجد آية تتعلق برجم الزاني، بل هناك حديث حول ذلك. من

الممكن أن حدوث حادثة أو اثنين في عهد النبي (ص) مورست فيها عقوبة الرجم، تعود إلى أن المرجومين كانا من اليهود،وأن الرسول (ص) طبق عليهما القانون اليهودي، أو كانا مسلمين طبق عليهما القانون اليهودي لأنه لم تنزل عقوبة الزنى بعد. ولكل هذه الأسباب، لا أعتقد أن عقوبة الرجم جزء من الشريعة. وهناك الكثير من الناس يعتقدون بذلك مثل الدكتور طه جابر العلواني وفتحي عثمان وراشد الغنوشي ومحمد أسد.

- ولكن بعض الفقهاء يعتقدون أنه لو وفرت الدولة الاسلامية الرفاه للمجتمع المسلم فلا حاجة لقطع اليد. أما الذي يسرق متعمداً في ذلك المجتمع فيجب ان تنفذ فيه العقوبة.

هوفمان: يمكن ذلك مع قطع اليد، ولكن لا يمكن ذلك في الربا. كل الاقتصاد الغربي مبني على الاستغلال والمضاربة. فلا معنى لتأسيس منطقة صغيرة بلا ربا لأن الربا في مجتمعاتنا يحقق أغراضاً عديدة. أنا أعمل حالياً في البنك الوطني في البوسنة، ونسعى من أجل نمو الاقتصاد البوسني. فحتى في دبي وأبو ظبي تجد أن النظام المصرفي الاسلامي لا يشكل سوى ١٥٪ فقط من كل حجم التعاملات المصرفية. أنا أقول لا يوجد مجتمع إسلامي بالكامل، أي لا يوجد فيه فقير على الاطلاق، أو لا يوجد فيه غني على الاطلاق، وعلى هذا لا حاجة لقطع اليد. فالخليفة عمر أوقف تطبيق الحدود عندما حدثت مجاعة. يمكننا القول بأن الاسلام لن يلغي الفقر.

في الاقتصاد الاسلامي

- أنت تدافع عن الفوائد الربوية.

هوفمان: أنا لا أدافع عنها.

- في كتابك (الطريق إلى مكة) تدعو إلى جعل الفائدة أمراً شرعياً. وقلت أننا لا يمكننا تغيير النظام النقدي الدولي والنظام المصرفي العالمي.

هوفمان: لا أعرف كيف ترجم ذلك إلى العربية، ولكنني أقول ما يلي: إذا أردنا تأسيس اقتصاد إسلامي تام فلا يكفي إلغاء الربا. ففي بلد كتركيا مثلاً يزداد التضخم المالي بمعدل ١٠٠٪ سنوياً وأحياناً ١٢٠٪. فلو وضعت أموالك في البنك دون فائدة فأنت تمنح البنك هدية. إن النظام الإسلامي لم يتنبأ بالتضخم لأنه مبني على اساس التعامل بالذهب والفضة.

- هناك مجموعة من المسلمين الأوربيين (جماعة المرابطون) يدعون إلى العودة للتعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي فهل تعتقد إمكانية تحقيق مثل هذا المقترح؟

هوفمان: كلا، فهذا غير واقعي، إلا اللهم في المجتمعات الصغيرة، أي بضع أناس فقط. أما المضاربة فهي حيلة، لأنك إذا أردت أن تشتري سيارة مثلاً، وليس باستطاعتك دفع المبلغ نقداً،

ستذهب إلى البنك وتقول له: أنا أريد شراء هذه السيارة فلماذا لا تشتريها لي، ثم أشتريها منك بثمن مختلف. ويجيبك البنك: وستكلفك فائدة عليها. إن (السعرهوفمان: الربح) أمر مباح في الشريعة. فلماذا ادفع أكثر للبنك أكثر مما أدفع لبائع السيارة؟ إنه بيع من خلال عقدين، أليس ذلك بحيلة؟

- **هذا تفسير اقتصادي، فإذا كان الفقهاء يقدمون تفسيراً فقهياً ويعتبرون هذا البيع معاملة، فلماذا نرفضها؟**

هوفمان: لأنني أنظر إلى المقاصد التي يتوخاها القرآن. إن جميع المعاملات الفقهية يجب أن تخضع لمقاصد الشريعة.

قضية الحجاب

- **هناك نقاشات واسعة حول حجاب المرأة المسلمة، فما هو رأيك بالحجاب، تشريعاً وممارسة؟**

هوفمان: لقد صارت قضية الحجاب أهم من كثير من الأمور، حتى وصل الأمر أن يكفر المسلم أخته المسلمة لأنها لا ترتدي الحجاب. في هذا الأمر أنا أعتقد برأي محمد أسد حيث يقول: إن الله تعالى لم يقل: غطوا رؤوسكن، ولكن غطوا صدوركن.

من المعقول أن تأتي دعوة لتغطية الصدر، لأن الناس في المنطقة العربية اعتادوا على تغطية الرؤوس بسبب الريح والغبار، كما يفعل الناس اليوم في اسبانيا والبرتغال واليونان، في العادة كانت المرأة تضع خماراً، ولكنها لا تغطي الصدر. ولذلك جاء الحجاب كي يمنع ظهور المرأة علناً بشكل مثير، فمنع حتى هز الحلي في القدمين. والشعر ليس جزءاً من الحلي.

في الغرب، اعتاد الناس على أن تظهر المرأة شعرها منذ آلاف السنين. ولا يعتبر الرجل في الغرب شعر المرأة مثيراً جنسياً. إن الفرق هو: عندما يكون ظهور شعر المرأة في المجتمع مثيراً فيجب عليها تغطيته. أما إذا لم يكن كذلك فلا حاجة لتغطيته حسب مقاصد الشريعة في الآية.

- **أنت تعني أن قضية الحجاب هي قضية بيئة، أي تعتمد على الخبرات الجنسية لكل مجتمع، وليس حكماً عاماً.**

أنا أعتقد أن الاسلام هو رسالة لكل الناس، ولكل زمان ومكان. وهذا يعني أن يكون الاسلام قابلاً للتطبيق لكل الشعوب وفي كل البلدان، وليس للعرب فقط أو المناطق الصحراوية. إن التشريعات الاسلامية جاءت لكل البشر. لذلك لا يمكن أن تبنى على أساس مناخ معين و لحماية الناس من الريح أو الرمل الصحراوي.

هوفمان: بالتأكيد، نعود للسؤال: هل أمر القرآن المرأة بوضع شيء على رأسها؟ فهذا هو موضوع النزاع. يقول القرآن ألبسوا ملابس.

- **القرآن يقول (وليضربن بخُمُرهن على جيوبهن) (النور: ٣١)، و(الخُمُر) هو جمع (خِمار) أي أنهن كن يغطين رؤوسهن وشعرهن بغطاء أو خمار، والأمر التشريعي جاء بتغطية الصدور (الجيوب، وهو جمع جيب).**

هوفمان: نعم، هذا ما اعتادوا عليه من تغطية رؤوسهن. المرأة لديها أعضاء جنسية أولية وأخرى ثانوية، وهذه الأعضاء الأصلية والثانوية يجب تغطيتها. ولذلك يقول القرآن ألبسن ملابس وغطين صدوركن، الأمر يقول بتغطية الصدر ولكن لم يذكر كيف. وكانت النساء آنذاك يلبسن الخمار على رؤوسهن، فالفكرة هنا ليس بتغطية الرأس بل بتغطية الصدر. فهذا هو الأمر في الملابس والذي يطبق في أنحاء العالم. إن النقاش يدور حول هل يوجد أمر بتغطية الشعر مع تغطية الصدر، أم كان ذلك مصادفة في المجتمع العربي؟ أنا وهابي (قالها بضحكة) وعندما تكون زوجتي معي في السعودية فمن الطبيعي أن تغطي حتى وجهها بالتمام.

- **هناك اجتهادات حول الموضوع، وبعض المتشددين كالوهابيين يصرون على وجوب تغطية الوجه أيضاً. لعل ذلك يعود إلى عادة لدى بعض المجتمعات الاسلامية.**

هوفمان: نعم، أعلم ذلك. عندما التقيت بشيخ الأزهر الراحل الشيخ جاد الحق، قلت له: أنا مضطرب، في الجزائر تغطي النساء وجوههن عدا عين واحدة، وعندما يلتقين برجل في الشارع يدرن ظهورهن إلى الحائط. وهنا في مصر، أرى البعض يرتدي النقاب، فهل هذا اللباس إسلامي؟ فقال: لا، وأضاف: ولكن ليس بلاإسلامي. فقلت له: إذا ما قلت بأن هذا الشيء ليس إسلامي وأيضاً ليس بلاإسلامي، فقد قمنا بوضع عرف جديد في الفقه. فالقانون العرفي لا أساس في الفقه.

- **ولكن الفقه الاسلامي يأخذ أحياناً بالعرف ودوره في بعض القضايا.**

هوفمان: نعم، ولكن يجب أن لا يتناقض مع القواعد الاسلامية.

- **نعم، بشرط أن لا يخالف الشريعة.**

هوفمان: ولكن ما ذكرناه يخالف القرآن الذي حرر المرأة. وليس من خلال اجبارهن على تغطية وجوههن.

- **ألا تعتقد أن وجهة نظرك هذه تمثل رؤية غربية: المرأة المحجبة ليست حرة!**

هوفمان: كلا، في زمن الرسول (ص)، عندما كانت نساؤه تؤدي العمرة، لم يكن يغطين وجوههن.

- **بالتأكيد، لأن تغطية المرأة وجهها في الحج ممنوع، ولكن كن يغطين رؤوسهن.**

هوفمان: إذن كان يجب عليهن ابداء وجوههن أمام ملايين المسلمين. فإذا كان ذلك مباحاً في الحج والعمرة، فيجب ان يكون مباحاً بشكل عام.

- **نعم.**

هوفمان: عندما تكون هناك أقلية فيجب حمايتها دائماً، والنساء مثل الأقلية: بحاجة إلى حماية.. حماية من الرجال الذين يسعون لاستخدام حقوقهم. ولذلك أقول: إن جعلهن يغطين وجوههن يناقض الحرية التي منحها الاسلام لهن.

- **نعم ولكن ترى المرأة المسلمة في العديد من المجتمعات الاسلامية تغطي وجهها وهي قادرة على التحرك في الشارع بكل حرية، فلا تحدث لها مشاكل لأنها غير معروفة من قبل الآخرين.**

هوفمان: دعهن يقررن ذلك بأنفسهن.

- **إذا كنت تعتقد بذلك أي أن تغطية الوجه دليل قمع المرأة، فدعني أضرب لك مثلاً: في قبائل الطوارق في الجزائر، يقوم الرجال بتغطية وجههم عدا العينين. فهل تعتقد أنهم يتعرضون للقمع؟**

هوفمان: كلا، ولكنهم لا يحمون الأقلية لأنهم أي الرجال أكثرية. ولكن إذا كانوا يفعلون هذا، لأي سبب كان، فلا بأس به،ولكن لا يمكنك أن تجبر شخصاً ضعيفاً على التنازل عن جزء من حريته، لأن النساء اللاتي يغطين وجوههن غير قادرات على فعل اشياء كثيرة، مثلاً قيادة السيارات.

- **هل تعتقد أنه من اللازم على المرأة المسلمة في اوربا أن تغطي شعرها؟**

هوفمان: أنا لا أقول يجب، ولكن إذا ما فعلن ذلك، أجده جيداً.

القدر والقدرية

- **تناقش في كتبك فكرة القدر، ولاحظت باعجاب أن المسلمين الأصوليين الذين يؤمنون بالقدر لا يتوقفون عند القدر ويسلّمون بما هو موجود، ولكن يريدون تغيير الواقع والمجتمع من خلال السعي لاستلام السلطة والدولة.**

هوفمان: ما اقوله هو: إن قضية القضاء والقدر لا يمكن ادراكها بشكل عقلاني. لا يوجد فيلسوف يستطيع شرح كيف يمكن موائمة فكرة أن الله يعلم كل شيء، وبين صفة الرحمن التي يتميز بها، لأنه لو كان يعلم كل شيء، ويعلم أنك ستفعل كذا وكذا، وهو رحمن أيضاً، فلماذا لا يمنعك من

ارتكاب المعصية والخطأ. لقد حاول أبو حامد الغزالي والأشعري وغيرهم شرح القضاء والقدر عقلانياً لكنهم لم يستطيعوا.

ترى ماذا يقول القرآن في هذه القضية؟ توجد هناك (٤٠٠) آية تتحدث عن القدر، ولكن توجد (٤٠٠) آية تتحدث عن الحرية. ولذلك لاحظت في العالم الاسلامي، أن الناس يطبقون مفهوم القضاء والقدر على كل ما يحدث. فلو كسرت رجلي، أقول: إنه القضاء والقدر، ولكن أفعل ما بوسعي كي لا أكسرها.

إن القدر ينطبق على ما قد حدث بالفعل: لقد حدث، وهذه ارادة الله. ولكن بقدر ما يتعلق الأمر بالمستقبل، فنحن نسعى ما استطعنا لتغييره، فيجب أن نعيش في هذا التوازن.

مستقبل الاسلام

- **في كتابيك (الاسلام عام ٢٠٠٠) و (الاسلام كبديل) تناقش قضية مستقبل الاسلام. برأيك كيف يمكن للاسلام العودة للمشاركة في الحضارة الانسانية؟ هل يكون عبر الصحوة الاسلامية، الأصولية الاسلامية، أم إعادة قراءة الفكر الاسلامي من قبل المفكرين المسلمين والفقهاء؟**

هوفمان: أعتقد أن أهم شيء هو تغيير التعليم في العالم الاسلامي. من المعيب أن ديانة تبدأ بكلمة (اقرأ) لديها أكبر نسبة أمية في العالم. في المغرب نصف الشعب أمي، في مصر والباكستان أكثر من نصف. والأكثر من ذلك أن الأم التي لا تعرف القراءة سوف لن تطور برامج كومبيوتر. طفلها بحاجة إلى الغذاء الصحي في السنتين الأوليتين كي يمكنه أن يصبح عالماً فيما بعد. إن مصير الحياة الفكرية مرتبط بالزمن، يبدأ عندما يكون عمر الطفل ثلاث سنوات. والأكثر تراجيديا هي نسبة النساء الأميات لأن كل رجل هو طفل لأم، أي امرأة.

في العالم الاسلامي غدا الشك أكثر أو أقل يسيطر وحل محل التعليم بواسطة الحفظ عن ظهر قلب. ما تتعلمه في قلبك، تفترض أنه صحيحاً وموثوقاً به وغير قابل للمساءلة. ولا يزال هناك من يقول أن هذا شيء غير مقبول أو غير قابل للتطبيق رغم قول الناس بالتقليد. يقولون أن باب الاجتهاد مفتوح ولكنهم لا يجتازون ذلك الباب.

بالاضافة إلى ذلك هناك تأكيد كبير على العلوم الاجتماعية بجانب العلوم الطبيعية. نحن لدينا كتابان إلهيان يستحقان القراءة: الأول هو القرآن الكريم، والآخر هو الطبيعة. لقد شددنا كثيراً على التفسير والسيرة والحديث، ولكن تأكيدنا على البيولوجي والكيمياء والرياضيات لم يكن كافياً. وهذه مأساة لأننا كنا رأس هذه العلوم حتى القرن الثاني عشر. ولذلك يجب أن يتغير شيء

ما بصورة جذرية من أجل الوصول إلى حالة يحصل فيها المسلم على جائزة نوبل في العلوم. لدينا الآن باكستانياً هو عبد السلام، وهو من الطائفة الأحمدية.

- فاز أيضاً المصري أحمد زويل بجائزة نوبل عام ٢٠٠٠ في الفيزياء.

- **ذكرت أن التقدم الحضاري الاسلامي استمر حتى القرن الثاني عشر، وكانت لدينا الدولة العثمانية من القرن الثاني عشر وحتى القرن العشرين. فلماذا لم نجد أية مساهمة علمية من الأتراك، رغم أن الدولة كانت مستقرة وغنية وقوية؟**

هوفمان: مازال الأتراك حتى اليوم جيدين في الجندية والادارة،ولكنهم لم ينتجوا فلاسفة، بل معماري واحد هو سنان باشا. ومن عصره وطوال خمسة قرون ما زالوا يستنسخون هندسته. الأتراك ليسوا أناساً مفكرين.

وهناك قضية أخرى تتعلق بنهضة الاسلام وهي أن العالم الاسلامي يعاني من الرقابة. فلا يمكنك التقدم عندما يقرر وزير الارشاد ماذا على الناس أن يقرأوا أو ما لا يقرأون. في كل مرة أزور الرياض، أذهب إلى دار نشر تتولى إعادة طباعة كتبي، وهي دار نشر كبيرة، يسألونني: اختر أي كتاب يعجبك، فأقول لهم: أريد كتباً عن ابن عربي وجلال الدين الرومي. فيقولون: للأسف، ليست لدينا.

- **أنت تعلم أن هؤلاء صوفيون، والوهابيون لا يحبون الصوفية.**

هوفمان: أنا لست صوفياً ولا أحب ابن عربي، ولكن فقط أريد تسجيل نقطة. إذا كنت حقيقة مقتنعاً بأنك على حق، فيمكنك التسامح مع الآخرين الذين يحملون آراء تخالف رأيك.

الاسلام والعولمة

- **هل تعتقد أن الاسلام سيتعرض إلى صدام أو صراع؟**

هوفمان: كلا، ما يحدث هو صدامات بين المجتمعات الاسلامية. هناك صراع بين المعارضة الاسلامية والدولة، كما في المغرب والجزائر وتونس ومصر والعراق وغيرها. هناك يوجد صدامات، لكن لا يوجد صدام بين الحضارات، لأن الحضارات تتبادل المواقع. العولمة كانت موجودة طوال التاريخ: اليونان «عولموا» روما، والرومان «عولموا» أوربا، والمسلمون قاموا بعولمة معظم العالم المعروف. إذن العولمة ليست شيئاً جديداً.

إن الحضارات كانت دائماً تتفاعل مع بعضها، ولم تكن مسيرة التفاعل في يوم من الايام تسير باتجاه واحد فقط، لأنه في الجانب التكنولوجي هناك طرف متفوق. والتكنولوجيا مثل الماء تسير من المستوى الأعلى إلى الأسفل. ولكن في نفس الوقت هناك حركات معاكسة: ألمانيا الحالية تشهد ورود مفاهيم ثقافية غير اوربية مثل الكباب التركي. في فرنسا يمكنك تناول الطعام المغربي (الطهجين)، فهذه عولمة. الاسلام اليوم متاح على الانترنت، فهذه عولمة.

اسلامية المعرفة

- **هل يتفاعل المثقفون المسلمون مع الحضارة الغربية ويقومون بتطوير الفكر الاسلامي في الغرب وليس في العالم الاسلامي؟**

هوفمان: كلا، أعني أن المفكرين الاسلاميين المعروفين الذين هاجروا إلى الغرب يمكنهم ذلك أمثال الدكتور طه جابر العلواني، والذي ينشر (مجلة العلوم الاجتماعية الاسلامية) وبنى (مدرسة العلوم الاسلامية الاجتماعية)، وهو رئيس (المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية)، والمفكر فتحي عثمان، وهو أزهري يقيم في لندن ولوس أنجلس، وينشر كتباً لم يكن من الممكن نشرها في العالم الاسلامي،

- **أنت ترى أننا لو أزحنا بعض العوائق التي تحول دون تطور الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية من خلال تطوير تقنية التعليم وايجاد نظام سياسي ديمقراطي مستقر، فهل تتوقع ذلك؟**

هوفمان: ستكون أكثر سهولة. سأضرب لك مثالاً، في السعودية تريد عائلة آل سعود أن تكون أكثر تحرراً من عائلة آل الشيخ التي ترجع بنسبها إلى محمد بن عبد الوهاب، ومنها غالبية المفتين والفقهاء. ماذا يحدث؟ إن كتابي (الاسلام عام ٢٠٠٠) ممنوع التداول في السعودية، ولن يباع في الخفاء. إن كل عضو في مجلس الشورى السعودي لديه نسخة منه. لقد كان بامكان الحكومة التدخل، ولكن من الواضح أن هناك من يقول ما لا يستطيع أي سعودي قوله. ولذلك استوردوا نظراتي من أجل مناقشات داخلية بين العائلتين الوهابية والسعودية.

- **ذكرت اعجابك بطه جابر العلواني فهل تعرف أنه يدعو إلى منهج فكري جديد هو اسلامية المعرفة؟ هل ناقشت أفكارك معه أم لديك وجهة نظر أخرى بهذه القضية؟ أم تعتقد أن هناك هناك سوء تفسير؟**

هوفمان: أنا متأثر بما رأيته مع والدي. كان والدي أستاذا للرياضيات والفيزياء في ألمانيا. قلت له ذات يوم: هل يوجد شيء يسمى رياضيات يهودية؟ بالطبع قال: لا، ولكن النازيين حاولوا اثبات وجود رياضيات يهودية. إن اسلامية المعرفة مبنية على فرضية ترى وجود نوعين من المعرفة، لكن في الحقيقة توجد معرفة واحدة فقط والتي إما تكون صحيحة أو غير صحيحة. إنها تجعل الأساتذة المسلمين يفسرون المعلومات Data، ولكن المعلومات ليست بإسلامية أو غير إسلامية. إن الأسلمة يجب أن تبدأ مع المعلمين، فلو قال أسلمة المعلمين والأساتذة، أقول: نعم، ولكن ليس أسلمة العلوم، لأن ذلك يعطي الفكرة التي ترى وجود رياضيات اسلامية أو فيزياء اسلامية.

الأمر ليس هكذا. اسلامية المعرفة تعني مناقشة النظريات والفرضيات الغربية قبل تطبيقها، لأن معظم هذه النظريات تمثل نتاج الغرب. فهي مبنية على معلومات غربية مأخوذة من مجتمع غربي، مثل علم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا. لقد توصل بعض الباحثين الغربيين أمثال (لويس رامبو) إلى الاستنتاج التالي: إن نظرياتنا الغربية ليس قابلة للتطبيق في كل أنحاء العالم لأنها مبنية على معطيات غربية ومعلومات غربية، مأخوذة من أناس ذوي أصول أوربية وميراث ثقافي أوربي. ولذلك تكون طبيعة الحياة العائلية وأنماط الذاتية والقيم الفردية تختلف عن أولئك الذين ينتمون إلى أعراق أو أصول قومية أو وطنية أخرى.

سأضرب لك مثالاً آخر، بعض علماء النفس والاجتماع المهتمين بتحليل العلاقات العائلية، يقومون بأبحاثهم ودراساتهم على عائلات غربية، ويميل معظم علماء النفس والاجتماع الغربيين إلى اعطاء نظرياتهم صبغة عالمية، ويريدون تطبيقها على أناس ذوي ثقافات أخرى، من آسيا أو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية. وبسبب الخلفية الدينية والثقافية فإن العلاقات بين أفراد العائلة الغربية تختلف كلياً عن العلاقات الأسرية داخل العائلة المسلمة أو العائلة البوذية. لذلك لا يمكن تطبيق هذه الفرضيات الغربية على العائلة العربية أو الصينية أو الأفريقية.

يجب علينا نحن المسلمين أن نفحص هذه النظريات بدقة ومن منظور اسلامي للتأكد فيما إذا كانت تنسجم مع المبادئ والعقائد الاسلامية أم لا. عندها يمكن قبولها أو رفضها، أو ربما تكون بحاجة إلى تنقيح أو تعديل كي تنسجم مع التعاليم الاسلامية. لا أحد يدعو إلى رياضيات إسلامية أو فيزياء اسلامية. أنا أعتقد أنه يوجد سوء فهم أو سوء تفسير لمعنى اسلامية المعرفة.

هوفمان: نعم، يجب أن نبذل جهوداً أكبر في العلوم الاجتماعية، هذه حقيقة. نحن متخلفون في هذا الجانب،وهناك علماء مسلمون يعارضون الهيمنة الغربية على العلوم. فيجب أن يكون لدينا عباقرة متفقون لتحقيق هذا الهدف. أنا أعتقد أن كل ما نحتاجه هو أن يكون لدينا عالم اجتماع مسلم،وعالم انثروبولوجيا مسلم،وعالم نفس مسلم. عندها ستكون لديك نفس المعلومات لكن ستقوم بتحليلها بشكل مختلف، والأمر ينطبق ايضاً على العلوم الطبيعية.

- **بعض المسلمين الأوربيين مثل محمد أسد، يقول: المسلم المتعلم في الغرب يأتي إلى المعلومات المستمدة من المجتمع الاسلامي ليطبق عليها ما تعلمه من نظريات غربية. عندها ستعطينا نتائج خاطئة، لأنها طبقت في بيئة أخرى، وفي منظمة علاقات أخرى، وفي ديانة أخرى. فهذه هي المشكلة: هل نطبق النظريات الغربية كما هي دون الأخذ بنظر الاعتبار البيئة والخلفية الثقافية للشعوب، أم نطور نظريات قابلة للتطبيق في المجتمعات الاسلامية؟**

هوفمان: كما قلت، سواء كانت المعلومات صحيحة أم لا، فهذه ليست قضية إسلامية أو لاإسلامية نظرية ما. على هذا الأساس يمكنك نقد نظرية داروين. لقد بنى داروين فرضياته دون أن يثبتها مطلقاً لأن الحلقة المفقودة ما تزال مفقودة، ولم نجد مطلقاً أي شيء يتطور خارج الآخر. وهذا بالضبط ما يمكن فهمه بن الله يمكن أن يكون قد خلق الخلق وفق قانون التطور، أي يوجد برنامج للتطور البشري. عندها يقال: يمكننا نقد نظرية داروين بناء على الأسس التي اعتمدها دون الحاجة أن نكون مسلمين لهذا الغرض.

- في امريكا، يوجد نقد قوي لنظرية داروين، كما ان بعض الولايات الأمريكية قد أوقفت تدريسها في مدارسها.

الاسلام السياسي والديمقراطية

- هل تدعو إلى نظام إسلامي ديمقراطي؟

هوفمان: نعم، أولاً أنا مقتنع بأن مجتمع المدينة المنورة كان أول امبراطورية غير ملكية في العالم. إن مبادئ مثل المساواة بين جميع المسلمين، قاعدة الشورى، مبدأ ضرورة تطبيق الحق ومبدأ مراقبة الحكومة، كلها تخلق نظاماً (شوراقراطياً) أو ديمقراطية إسلامية. يجب أن لا نتوقف كثيراً عند اللفظة، وهي غير مقبولة، لأن الحاكمية لله وحده.

الغربيون يعنون بالديمقراطية سيطرة الحكومة والقانون والحكم، واستبدال الحكومات عبر الانتخابات. ولا يوجد في الاسلام ما يعارض هذه المبادئ. الشيخ القرضاوي والشيخ فتحي عثمان يقولان: إن الذي يدعي أن هناك تعارضاً بين الاسلام والديمقراطية، فهو لم يفهم لا الديمقراطية ولا الاسلام.

- يلاحظ أم مجتمع المدينة قبل أربعة عشر قرناً كان مجتمعاً بسيطاً، بدوياً وقبائل بدائية، وحاجاته بسيطة.

هوفمان: ولكنه مجتمع كان يعرف التمثيل لأنه لم يكن كل فرد ممثلاً (بفتح الثاء) في الاجتماعات ولكن عائلات معينة كانت تمثل (بفتح الثاء). كان مجتمعاً ارستقراطياً.

- ولكن في المدينة نفسها لم تكن هناك انتخابات حتى بين الصحابة. فكيف يمكننا تطوير نظام اسلامي سياسي كي يعطينا نظاماً ديمقراطياً؟ ألا يمكن التخلي عن النظرية التقليدية في الحكومة الاسلامية أي الخلافة؟

هوفمان: أعتقد أن الاسلام لم يحدد شكلاً معيناً للحكومة. فإذا كان الناس سعداء بوجود (أمير) أو (ملك) فما الضرر في ذلك؟ وإذا كان الملك يتصرف وفق الشريعة الاسلامية، فهذا أمر جيد

وصحيح. وإذا كانت شعوبهم بهذه الدرجة من الأمية والتقليدية فلن ينجح النظام الديمقراطي فيها. أنا لا أقول أنه يجب على العالم الاسلامي أن يكون ديمقراطياً، ولكن أقول: يجب أن يجري قبول الديمقراطية كخيار.

وأنا على قناعة بأن الاستبداد الذي يعاني منه معظم العالم الاسلامي اليوم هو سبب تأخر الرفاه. والمجتمعات الاسلامية تدفع ثمن الدكتاتورية التي تحكمها. لقد رأيت الجزائر والمغرب. فلو كان لديك نظاماً مثلها، ستجد البلد لا يسير باتجاه النمو والتطور لأن القرارات تتخذ ليس على أساس الجدارة بل على أساس الروابط العائلية. القرارات لا تتخذ لصالح أفضل الحلول بل لصالح المحافظة على الحكم. كل تلك القرارات الاقتصادية الهامة هي التي تحدد مستوى التنمية.

الدول الاسلامية المعاصرة

- **هناك بضع دول تتبنى الاسلام كنظام ومنهج. ما رأيك بالتجربة الايرانية؟**

هوفمان: إيران دولة ذات تعددية فكرية وسياسية، وتسمح بالمعارضة، وهي أفضل من أي بلد إسلامي آخر. ورغم أنني لم أزر إيران، لكنني أتابع ما يحدث فيها. لقد تعودت بعد انتهاء محاضرة ألقيها أن يطرح علي السؤال التالي: إذا كان الاسلام هكذا جميل فيرجى أن تذكر لنا بلداً اسلامياً واحداً يطبق الاسلام؟ هنا أجد صعوبة. وكنت طالما أذكر ماليزيا لأنني كنت فيها ورأيت كيف استطاعت ثلاثة أعراق هي الصينية والهندية والملاوية أن تتعايش مع بعضها رغم اختلافاتها: طعامهم مختلف، ملابسهم مختلفة، لغاتهم مختلفة، ولكنهم يعيشون إلى جانب بعض دون مشاكل. هناك ثلاثة أديان، ومستوى التعليم مرتفع جداً، ومستوى مشاركتهم في اداء الحج عال جداً، ولكن بعد الذي حصل لأنور إبراهيم وهو مسلم أصولي تعرض لمحاكمة قمعية تشابه محاكم أوربا في القرون الوسطى. لم يعد باستطاعتي أن أشير إلى التجربة الماليزية كنموذج لتطبيق الإسلام.

- **ما رأيك بالسودان؟**

- لقد زرت السودان، وتأثرت كثيراً بكتابات الدكتور حسن الترابي. لقد ناقش قضايا حساسة مثل (المرأة في الاسلام) قبل ربع قرن. وكتب كتاباً رائعاً عن (حقوق الإنسان في الاسلام)، عندما زرته أصبت بالاحباط لأن هذا الرجل لم يعد يستمع لأحد. لم يعد سياسياً ناشطاً.

أنا أعتقد أن السودان لا يضطهد المسيحيين، بل هناك مشاكل عنصرية، ونزاعات حول الأرض،

وصراعات قبلية. للسودان سفير مسيحي في ألمانيا، ونصف طاقم السفارة من المسيحيين. لقد تأخرت يوماً للوصول إلى السفارة الألمانية في الخرطوم لأن المرور قد توقف بسبب استعراض مسيحي في الشوارع.

- **وماذا تقول عن السعودية التي نظام الحكم ملكي يتكون من تحالف بين مجموعة من القبائل (على رأسها آل سعود) والمؤسسة الدينية (التي يتزعمها آل الشيخ من أسلاف محمد عبد الوهاب)؟ فهل تعتبرها أنموذجاً للدولة الاسلامية لأنها ذات صبغة أصولية، أم أنها نظام استبدادي يستغل الاسلام للحصول على الشرعية في أعين المسلمين سواء داخل المملكة أم خارجها؟**

هوفمان: هم يعتقدون أنهم يحبون السعودية أكثر من غيرهم، وهذا ما لا أحبه. أنا أحب فيهم أنهم طهروا البلد من الخرافات و المعاصي. عندما تقرأ كتابات الغربيين الذين زاروا مكة في القرن التاسع عشر، ستجدهم يتحدثون عن استخدام المخدرات في الحرم، والبغاء في الحرم، والسطو منتشر في كل مكان. أما الآن فيذهب مليونين ونصف المليون حاج بدون مشاكل او صعوبات. توسيع المسجدين جميل جداً.

التعليم يتقدم. عندما تدخل أي مسجد تجد كل فرد يمسك قرآناً ويقرأ فيه وحتى الأطفال. ولكن وما لا يعجبني في السعودية هو تهميش المرأة إلى درجة تحرم من حقوقها الاسلامية. لقد انخفض عدد النساء اللاتي يغطين وجههن الآن، وذلك بسبب حرب الخليج. فقد تقاطرت عشرات الآلاف من النساء الكويتيات إلى جدة وبقية المدن. وهنا أخذت السعوديان يسألن المفتين: ما هذا؟ أي لماذا لا يلبسن الكويتيات الحجاب مثلنا. لقد قبلوا ذلك معتبرين إياه غير إسلامي.

كما لا أحب الطريقة التي يتعامل بها السعوديون مع العمال الأجانب وحتى مع المسلمين منهم. فهم يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية، بالاضافة إلى أنهم يشغلون غير المسلمين في حين يوجد مسلمون فقراء كثيرون في العالم. فلماذا يستخدمون الفليبينيين؟ ولماذا يحتاجون للهندوس؟ طالما يوجد مسلمون يمكن توظيفهم.

في السعودية تمارس الحياة السياسية خلف الكواليس. هناك فارق كبير بين الحجازيين والنجديين. الحجازي يعتقد أن النجديين برابرة. في داخل العائلة المالكة كل شيء يعتمد على من تكون أمك. إذا كنت تنحدر من (الخط الفيصلي) فأنت شخص مختلف حتى لو كنت من العائلة المالكة. هناك حركة كبيرة تحت السطح، فالسعودية ليست مستقرة كما يبدو للناظر من الخارج.

الدعوة إلى الخلافة

- هناك بعض المسلمين الأوربيين -مثل حركة المرابطين الصوفية العالمية- يدعون إلى اقامة الخلافة الاسلامية في تركيا، ما رأيك؟

هوفمان: هل تقصد حزب التحرير؟

- كلا، أقصد (المرابطون: حركة المسلمين الأوربيين) التي أسسها عبد القادر الصوفي، وهو رجل اسكتلندي كان يدعى ايان دالاس الذي اعتنق الاسلام عام ١٩٦٧. لقد نشر كتاباً بعنوان (العودة إلى الخلافة) الذي يدعو فيه إلى تأسيس خلافة اسلامية في تركيا، وهذا جانب من الموضوع. فهو لا يدعو إلى تأسيس الخلافة في البلدان الاسلامية الأخرى كالسعودية بل يصر على السلالة العثمانية. ماذا ترى في هكذا دعوة؟ هل هو مشروع عملي في الوقت الحاضر؟ أم مرفوض حتى نظرياً؟

هوفمان: لا معنى للتركيز على مفهوم الخلافة قبل أن يصبح العالم أكثر توجهاً نحو الاسلام. لقد تعلمنا منذ العصور الوسطى عندما كان ابن تيمية يرى أن الاسلام يمكن أن يكون موجوداً بلا خليفة، ولكن لا يكون موجوداً بلا شريعة. فالتركيز يكون أكثر قليلاً على الشريعة منه على الخليفة. سواء كان ذلك جيداً او سيئاً فنحن اليوم نعيش في الدول القومية. أعني لم يعد المغربي يشعر مثل الجزائري. ستكون من غير المعقول جداً الاعتقاد بأن العالم الاسلامي بكل أجزائه الحالية يمكن أن يتفق على شخص معين ليقوده. يمكن أن يتفقوا على لجنة. بسبب مضي فترة طويلة على الدولة القومية فنحن اليوم منقسمون بناء على الهوية الوطنية والقومية.

- هل تعتقد أنه من المحتمل أن يقيموا نظاماً يشابه الاتحاد الأوربي، أي يبدأون بالتعاون الاقتصادي، ثم تأسيس برلمان عام حتى الوصول إلى الوحدة. لقد نجح الأوربيون في ذلك رغم أنهم ينتمون إلى عدة قوميات ويتكلمون بلغات مختلفة، ويؤمنون بمذاهب ومعتقدات مختلفة.

هوفمان: إن الاتحاد الأوربي صار ممكناً فقط لأن الدول الأعضاء هي دول ديمقراطية. فالحكومات التي توقع هذه الاتفاقيات يعلمون أنه في الغد قد لا تكون هناك حكومة، بينما في العالم الاسلامي، القادة متمسكون بالسلطة، انظر إلى أمثال الحس الثاني والقذافي وغيرهم. فمن أجل أن تندمج دولهم مع الدول الأخرى عليهم أن يتنازلوا عن السلطة، أي لن يكونوا ملوكاً في المستقبل. خذ مثلاً الشيخ زايد حاكم أبو ظبي الذي يكسب مليون دولار يومياً، فهل تعتقد أنه مستعد لتأسيس دولة (الأمة) الاسلامية مع العراق وسوريا؟

- كلا، أبداً.

هوفمان: الديمقراطية أساسية لنا لأنه في الديمقراطية لا أحد يفقد أي شيء عندما يدخل اتحاداً مع آخرين. الديمقراطية غريبة في تاريخ المسلمين لأن الشيء العادي في كل التاريخ الاسلامي هو الحكومات الملكية والدكتاتورية، وكلها ليست اسلامية.

محمد أسد ومشروع الدولة الاسلامية

أنت معجب بنظرية محمد أسد التي أوردها في كتابه (مبادئ الدولة والحكومة في الاسلام)، حيث ذكرت ذلك في عدة موارد في كتبك.هل تؤمن بنظريته؟ أعتقد أن نظريته هي الرؤية الكاملة الوحيدة لدولة اسلامية من قبل مسلم أوربي.

هوفمان: نعم، أنا أعتقد أنه من أهم الكتب التي عالجت قضية الحكومة الاسلامية. يجب أن ينظر إليها على أنها ضد الخلفية التي كان فيها، في افغانستان.

- **تقصد باكستان وليس أفغانستان، فالباكستان تأسست عام ١٩٤٧،**

هوفمان: نعم الباكستان. لقد سبق كتابه هذا، أنه قام بإلقاء سلسلة من المحاضرات عبر الاذاعة. تم جمع هذه المحاضرات ونشرها تحت عنوان (هذا قانوننا ومقالات أخرى)،وهو آخر كتاب صدر له بعد وفاته. لقد كان أسد قلقاً جداً عندما رأى أن الباكستان تسير في الاتجاه الخطأ، وتتحول إلى مجرد دولة، كما هي الآن، ذات مظاهر اسلامية لكنها في الحقيقة ليست دولة اسلامية. لقد تأسست الباكستان على أساس أنها دولة اسلامية، لكنها ليست كذلك لأن مؤسسها محمد علي جناح لم يكن مسلماً حقيقياً.

- **لقد تعلم جناح في الغرب حيث درس القانون في بريطانيا.**

هوفمان: لقد كان بريطانياً أكثر مما كان مسلماً.

- **هل تعتقد أن أسد أراد المزاوجة بين الديمقراطية الغربية والاسلام، أي أنه أراد بناء دولة ذات مضمون ديمقراطي واطار اسلامي. وهذا واضح في كتابه (أسس الدولة والحكومة في الاسلام)؟**

هوفمان: لقد تحدثت مع أسد. لقد كان محبطاً من تطور الأوضاع في العالم الاسلامي منذ أن اعتنق الاسلام عام ١٩٢٦، لأن رؤيته كانت تتوقع أن الاتحاد السوفييتي سينهار، كما أن أمريكا ستنهار، ويصبح الاسلام مقبولاً كخيار جديد. فلم يشاهد تلك الرؤية تتحقق، ولكن ربما أصابه اليأس بسبب ما حدث في الباكستان خاصة. أنا فهمته، ولكنه كان يعتقد أن الطريق نحو بلد اسلامي حقيقي يمكن أن يكون عبر استقرار الديمقراطية، لأن قليل من الناس يريدون

الاسلام، وكانوا من العسكريين. كما أن السياسيين (الباكستانيين) قد تلقوا تعليماً وتدريباً بريطانيين، وهم يمنعون وصول الاسلام. لقد اعتقد أنه لو كانت هناك ديمقراطية في الباكستان، فالناس سيفرضون الاسلام.

- **ولكنه أسد اقترح دستوراً تضمن أفكاراً تقليدية مثلاً، اعتبر غير المسلمين مواطنين من الدرجة الثانية. ربما يعود هذا الموقف إلى خبرات شخصية. إن أسد ينتمي في الأصل إلى خلفية غير اسلامية، يهودية. ومن خلال هذا الموقف المتشدد تجاه غير المسلمين، يريد أسد تفادي أي اتهام يتعلق بأصله اليهودي. فهو يبدو تقليدياً عندما يدعو إلى تمييز غير المسلمين في الدولة الاسلامية. هل تعتقد أنه كان يسعى للتنصل من أصله اليهودي.ويبدو مسلماً مخلصاً من خلال موقف اصولي متشدد تجاه غير المسلمين؟**

هوفمان: مثلنا جميعاً، كان يتغير من وقت إلى آخر. وهناك أشياء أخرى وردت في كتابه الأول الذي كتبه بالألمانية ولم يترجم أبداً، ويدعى (الشرق غير الرومانسي Unromantic Orient).

المسلمون والحضارة الغربية

- **هل تؤيد دعوة المفكر المسلم محمد أسد بعدم تقليد الحضارة الغربية، ويجب أن تحافظوا على إسلامكم؟**

هوفمان: نعم، هذا صحيح. أنا ناقد رئيسي للحضارة الأوربية كما هي. أعتقد أنها في أزمة عميقة مغطاة بالازدهار الاقتصادي. ولكن عندما ترى ما يحدث للعائلة، الادمان على المخدرات، اختزال المجتمع، تلاشي القيم، ستتأكد أن هذه الحضارة ستتدمر.

- **إذن أنت تعتقد أن الحضارة الغربية فشلت في جلب السعادة للمجتمع؟**

هوفمان: ولذلك ينمو الاسلام، لأن هناك أناس كثيرون يدركون أن الإسلام يمثل القيم الأمريكية القديمة... قيم الثورة الأمريكية وقيم الدستور الأمريكي. ولذلك يقول المسلمون لهم: نحن لن نجلب لكم شيئاً جديداً، بل شيئاً قديماً.

الغرب وعداء الاسلام

- باعتبارك مفكر مسلم، تعرضت للهجوم من قبل وسائل الاعلام الغربية سواء في المانيا أو في أوربا. لقد اتهمت بمختلف الاتهامات. هل تعتقد أن ادانة الاسلام صارت جزءاً من العقلية الأوربية؟ كيف يمكنك تفسير ظاهرة وجود الاسلام بين الأوربيين في هذا الزمن؟

هوفمان: دعني أفرق بين أمريكا وأوربا. انا متفائل جداً تجاه مستقبل الاسلام في أمريكا للأسباب التالية (جرى الحوار قبل أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ بحوالي أربعين يوماً):

١- لم يكن لدى الأمريكيين أي شعور بالخوف من الاسلام لأن الدولة العثمانية لم تسعى لفتح نيويورك، بينما الألمان يعتبرون الأتراك تهديداً لعدة قرون، ولأنهم، أي الأتراك، قد حاولوا فتح فيينا على الأقل. لأن الاسلام بالنسبة لنا نحن الأوربيين هو دين الأتراك، والأتراك أعداؤنا، حتى أن القرآن كان يسمى بكتاب الأتراك المقدس.

٢- المسلمون الذين هاجروا إلى أمريكا جاءوا من مختلف بلدان العالم الاسلامي، فلا توجد أقلية مهيمنة كما في أوربا حيث تجد الأتراك في ألمانيا وهولندا، والقادمين من شمال أفريقيا في فرنسا، والباكستانيين والهنود في بريطانيا. الشعور العنصري في أمريكا لا يترافق مع العداء للإسلام، في ألمانيا هناك شعور ضد الأتراك لأنه يوجد كثير منهم في هذا البلد بالاضافة إلى كونهم مسلمين، فهم يأخذون عملك. أما في امريكا فالمسلون ينتمون لجميع بلدان العالم الاسلامي، ولم يأتوا كعمال غير مهرة كما هو الحال في اوربا. لقد جاءوا طلاباً ثم بقوا. والنتيجة لا توجد في امريكا ديانة لها أتباع ذوي مستوى أكاديمي عالي مثل المسلمين. فمن بين كل خمسة أطباء في أمريكا، هناك طبيب مسلم. يوجد في سانتا كلارا في كاليفورنيا حوالي (٧٠٠) عالم كومبيوتر، كلهم مسلمون. أما في أوربا فالحال تختلف كثيراً.

٣- لقد تم تأسيس أمريكا على مبدأ التعددية الدينية. فهناك الكثير من الأديان لا يمكن عدها. أما في أوربا فهي ذات ديانة واحدة. في اسبانيا لا تجد غير الكاثوليك. في السويد يوجد بروتستانت فقط. في اليونان يوجد أرثوذكس يونانيين فقط. لذلك صارت لديهم صدم عندما أصبح الاسلام الديانة الثانية في أوربا، لكن في أمريكا لا توجد صدمة. يضاف إلى ذلك هناك أعداد غفيرة من المسلمين الأمريكيين كالسود الأمريكيين أو الأفرو-أمريكان. من الخطأ الفظيع سياسياً أن تقول للمسلم الأمريكي الأسود: لماذا لا ترجع إلى غانا التي جئت منها؟ أو التي جاء منها اجدادك؟ فهذا مستحيل، في حين يمكنك أن تقول ذلك للتركي: لماذا لا تعود إلى بلدك؟

لهذه الأسباب يحظى الاسلام في امريكا على حظ أوفر عدا أنه في أمريكا هناك منظمة اعلامية عنيفة مهيمنة. ما يحدث في فلسطين، بالطبع يؤثر على موقف الاعلام من المسلمين.

لقد اعتاد الأوربيون أن يعتبروا الاسلام شيئاً فولكلوريا، ولكنهم تحققوا بأن المسلمين لم يأتوا للاستقرار فقط بل انهم يطالبون بحقوقهم، يريدون أن يشاركوا في الحكومة، إذن الموضوع مختلف. وقد رأينا ردود أفعال عنيفة من قبل الأصوليين المسيحيين. لقد استلمت تهديدات هاتفية ورسائل تهديد بالفاكس من بعض هؤلاء الناس في ألمانيا. كما قاموا بمهاجمة بعض المساجد.

فيما يتعلق بسؤالك، صحيح أن غالبية الغربيين -ألمان وفرنسيين وانكليز وأمريكان- الذين يعتنقون الاسلام، وعلى الرغم من الأحكام المسبقة الكثيرة ضد النساء المسلمات، فإن عدد النساء أكثر من الرجال الذين يهتدون إلى الاسلام.

- **ولكننا ما زلنا نشهد اعتناق الرجال للإسلام.**

هوفمان: بالطبع.

- **من أجل تفسير ظاهرة اعتناق الغربيين للإسلام، أعتقد أن النظام الغربي لا يزود الناس بأية معرف روحية. فالمجتمع صار علمانياً بالكامل، والدين وبضمنه الأخلاق والجوانب الروحية، لم يعد لها أي دور في المجتمع، وهؤلاء الناس لديهم حاجات روحية، ويبحثون عن ديانة جديدة أو فلسفة جديدة تشبع هذه الحاجات. لقد انخرط كثير من الغربيين في الديانة البوذية أو هاري كرشنا أو الصوفية. بالمناسبة ليس من الضروري أن نربط الصوفية بالاسلام، إذ يوجد حركات وطرق صوفية غير اسلامية. هذا ما يفسر أن قسماً كبيراً من المسلمين الأوربيين جاءوا للإسلام عن طريق الطرق الصوفية. فهذا بعد واحد من حاجات الأوربيين،**

هوفمان: باستطاعة المرء القول أنه في أي وقت هناك نفس الحجم من التدين في المجتمع. الكنائس في أوربا قد تجاوزها الاصلاح. الكاثوليكية في طريقها نحو الانهيار،وستلحق بها البروتستانتية. ولكن في نفس الوقت هناك أناس ينضمون للبوذية أو الطوائف الجديدة. فكلما طردت الدين من الباب عاد إليك من النافذة. بالطبع هناك مظاهر لهذه الحاجات الروحية مثلاً ازدهار التنجيم، أو أحزاب الخضر. أعتقد أن هذه فرصتنا، إذ لا يمكن أن نأمل في اعتناق ملحد ولكن يمكن أن نتأمل توجيه الناس، الذين يؤمنون بشيء مثل الله، نحو الاسلام. هناك كثير من الناس يشاهدون للبضائع المعروضة حولهم، ويتحدثون مع جميع أنواع الأفكار والمعتقدات، ثم يفكرون قبل أن ينتهوا إلى واحد منها، قد يأتون إلى الاسلام في آخر محطة،

من الشائن مثلاً أن يرفض المستشار الألماني أثناء أدائه اليمين الدستوري وضع يده على الكتاب المقدس، لأنه ملحد. مثل هذا الشخص عندما يتحدث للشعب الألماني في عيد الميلاد، فهو لا يكذب، لأنه لا يؤمن بالمسيح.

اصلاح العالم الاسلامي

- **في كتابك (الاسلام عام ٢٠٠٠) اقترحت خطة لانقاذ العالم الاسلامي من التأخر الحضاري، تناولت التعليم و التكنولوجيا والمرأة وحقوق الانسان والدولة والاقتصاد والاتصالات. ولكن ذكرت العناوين فقط دول عرض تفاصيل هذه الخطة. أريد أن أسمع لخطة مفكر أوربي مسلم.**

هوفمان: لو كتبت تفاصيل الخطة لصارت كتاباً ضخماً، وقد تكون قابلة للتطبيق في دولة أو اثنتين فقط. الأنظمة التعليمية مختلفة في الدول الاسلامية. فنظام التعليم في الهند مثلاً يختلف عن أندونيسيا. كذلك لا يمكن أن تكون الحلول واحدة ومتشابهة. فهي أمر يشبه الدعوة للاسلام، عليك أن تمارس الدعوة لكل منطقة محلية وليس مركزياً، أي لكل بيئة ظروفها وشروطها وطبيعة شعبها.

سأعطيك مثالاً، عندما نحصل على كتاب مطبوع في الهند، نرميه عادة في سلة المهملات، لأن الورق رديء والطباعة أسوء، والانكليزية رديئة، ومليئة بالأخطاء الاملائية. ولكن لو جاءك كتاب من دولة غربية، فستجده على العكس. وليس هاماً محتوى الكتاب بقدر ما يهمنا المقارنة في جودة الطباعة والتغليف، هكذا يجب أن نغلف رسالتنا حسب الجمهور الذي نخاطبه. وذلك يعني أن تعرف تأثير العمل الاعلامي في كل مجتمع من أجل أن تسير دعوتك بشكل أفضل. ولذلك لا يمكننا اعطاء توصيات محددة لتطبيقها في كل العالم الاسلامي.

اعتناق الغربيين للاسلام

- **هناك رأي سائد لتفسير ظاهرة اعتناق الغربيين للاسلام يرى أن النظام الغربي لا يمنح أفراده أية معاني روحية، لأن المجتمع صار علمانياً بالكامل، ولم يعد للدين والقضايا الروحية والأخلاقية أي دور في هذا المجتمع. وهؤلاء الناس لديهم حاجات روحية ويبحثون عن ديانة جديدة أو فلسفة حياة جديدة تشبع هذه الحاجات لديهم. وهناك الكثير من الأوربيين يعتنقون البوذية أو الهندوسية أو هاري كرشنا والصوفية. ولا حاجة للقول أن الصوفية ليست بالضرورة صوفية إسلامية، فهناك صوفيون غير مسلمين. ذلك ما يفسر دخول كثير من الأوربيين الاسلام عبر بوابة التصوف الاسلامي. وهذا بعد واحد من حاجات الأوربيين، كيف تعلل ظاهرة اعتناق الاسلام من قبل الغربيين رغم الدعاية المضادة للاسلام في الاعلام الغربي؟**

هوفمان: يمكن القول بأنه في كل زمان يوجد نسبة معينة من التدين في المجتمع. لقد فقدت الكنائس في أوربا دورها، الكاثوليكية في طريقها للتهاوي، والبروتستانتية في طريقها للزوال كمؤسسة. ولكن في نفس الوقت تجد أناساً يعتنقون البوذية أو (جماعات العصر الحديث) وغيرها. وهذه حقيقة، فإذا طردت الدين من الباب تسرب إليك من الشباك. وهي قضية تعبر عن وجود حاجة ماسة للدين في النفس البشرية. ولسنا نأمل أن نحول ملحداً للإسلام ولكن نأمل أن نقود الناس للإيمان بشيء كالله والاسلام. يوجد أناس قليلون يتطلعون فيما حولهم من أنواع الحركات

ثم يقررون وضع نهاية لهذه التأملات، ثم يأتون للإسلام كآخر محطة في مسيرتهم الفكرية.

- **هل تعتقد أن مناقشات المسلمين الأوربيين وخاصة المفكرين منهم، يمكن أن تضيف شيئاً ما، مثلاً نظرة جديدة أو نقد جديد للفكر الاسلامي؟ وهل يمكن أن يخدم هذا التوجه الإسلام وأن يكون لهم دور مؤثر في المستقبل؟**

هوفمان: أعتقد ذلك، خذ مثلاً حقيقة أنه لا يوجد ملحد في العالم العربي يصرح علناً بأنه ملحد. خلال عشر سنوات التقيت بواحد هو (بوجدرة)، وهو كاتب جزائري يعلن بأنه ملحد. في اوربا القضية معكوسة: الناس هنا يخجلون من تصريحهم بأنهم يؤمنون بالله لأنه من المقبول أن تكون علمانياً بمعنى ملحد. ولذلك علينا التدرب على التعامل مع أناس غير مؤمنين.

لقد تعلمت في المدرسة بأن عمانوئيل كانت، الفيلسوف الألماني الشهير في القرن الثامن عشر، أثبت أنه لا يوجد برهان على وجود الله، لا برهان تاريخي ولا برهان وجودي ولا عرضي.في الحقيقة لا أحداً من هذه البراهين يحسم القضية. من أجل تقييم الأوربيين الذين تعلموا ذلك في المدرسة لا يمكننا القول: هذا هو كتاب الله، لأنهم سيقولون كذا وكذا. يمكنك أن تؤثر على شخص بكتاب الله إذا كان على الأقل يؤمن بالله. هذا يعني أنك بحاجة إلى تبدأ معه من الصفر. يجب أن تناقشه بطريقة مختلفة. الآن تعلمنا كيف نتعامل مع العلمانيين والملحدين، وهذه هي فائدتنا كمسلمين أوربيين.

- **لأنكم كمسلمين أوربيين تتحدثون لغاتهم، تعرفون عقليتهم وثقافتهم. كما أنكم تستخدمون مناهجهم وأدواتهم في النقاش والحوار. فأنتم تستطيعون مخاطبة الأوربيين بشكل أفضل من بقية المسلمين. من خلال خبرتك، هل سبق وأن دعوت أوربياً للإسلام فأسلم؟**

هوفمان: لقد حدث ذلك عدة مرات ولكنني أعرف من كتب لي بأنه اعتنق الاسلام بعد أن قرأ كتبي.

الاسلام الأوربي

- **انتشر الاسلام في آسيا وأفريقيا، ونجح في التفاعل مع الثقافات المحلية لتلك الشعوب حتى نتج ما يعرف بالاسلام الأفريقي والاسلام الآسيوي. وهي مصطلحات يقصد بها طريقة فهم وممارسة الاسلام في ثقافة معينة. هذا المسارات تمثل تفاعل العقائد الاسلامية مع الثقافات المحلية السائدة قبل اعتناق الاسلام. على ضوء ذلك هل تتوقع أن يتفاعل الاسلام مع الثقافة الأوربية وينتج (إسلاماً أوربياً)، أي على رأي بسام طيبي (باحث سوري مقيم في ألمانيا)، إسلام يجمع بين العقيدة الاسلامية والثقافة الأوربية وحضارتها وقوانينها؟**

هوفمان: أنا أكره بسام طيبي، وطالما كتبت ضده لأنه يتحدث عن الاسلام الأوربي. هو يعني به في الواقع: كثير من أوربا وقليل من الاسلام. ما تقوله صحيح، فالاسلام لا يدخل ويبقى في مجتمع ما دون أن يتكيف مع المزاج المحلي. فبمقدورك أن تقول مباشرة: هذا مسلم أندونيسي وذاك مسلم هندي، الخ. فملابسهم مختلفة، وطعامهم مختلف، وبالطبع لغاتهم التي هي الأداة التي يفهمون ويفسرون بها العالم. عندما تنشأ مع اللغة الأم، فذلك يعني أن ترى العالم بطريقة معينة. إن نظرتك هي إسلامية ولكن بطريقة معينة. فاللغة هي الوعاء الثقافي الذي يحدد نظرتك للعالم.

وفي النهاية سيكون هناك شيء ما يمكن تسميته بالاسلام الأوربي. وبمرور الزمن سيفقد الاسلام الأوربي طابعه الاثني الحالي حيث يهيمن على المشهد الطابع العربي والباكستاني والشمال افريقي والتركي. وما زال حجم المسلمين الأوربيين قليلاً قياساً للأقليات الإسلامية المذكورة.

- **هل تعتقد أن الاسلام الأوربي سيتطور؟**

هوفمان: أحياناً، قد يطور المسلمون الأوربيون شيئاً يشابه المذاهب الإسلامية أي (مذهباً أوربياً). مذهب يتعامل مع قضايا معينة موجودة لدينا ولا توجد لدى المسلمين الشرقيين.

- **هل يمثل هذا التيار ما يمكن تسميته باجتهاد أوربي أو رؤية جدية للإسلام؟ لقد التقيت بالعديد من المسلمين الأوربيين. بعضهم ما زال يتبادل بطاقات التهنئة بأعياد الميلاد (كريسماس) معتبرين إياه عيد ميلاد النبي عيسى (ع). فهم بذلك يحافظون على عادة مسيحية سابقة ولكنهم يسبغون عليها صبغة إسلامية. بهذا السلوك أو تلك الأفكار، لاحظت ظاهرة أوربية معينة: سلوك جديد وتقاليد جديدة ونظرة إسلامية جديدة مبنية على الخلفية الثقافية الأوربية. هذه الرؤية الاسلامية الأوربية قد تطور فكراً إسلامياً جديداً وتفسيراً جديداً للنصوص.**

هوفمان: على سبيل المثال عيد المولد النبوي فهو تقليد مسيحي، ولا تجده إلا عند الأتراك أو العالم التركي. أما في السعودية فلا أحد يذكر المولد النبوي.

- **نعم فقط في السعودية، في حين يحتفل المسلمون بالمولد النبوي الشريف في العراق ومصر والمغرب وإيران وأندونيسيا وماليزيا وغيرها.**

هوفمان: في أفريقيا يحتفلون بالمولد النبوي بالشمعدان لأنهم تعلموا ذلك من الفرنسيين حين يحتفلون بأعياد الميلاد، والأطفال أرادوا احتفالاً مشابهاً. ولذلك أضافوا عادة مسيحية في احتفال المولد النبوي، ويعطون الأطفال هدايا على الطريقة المسيحية. [هوفمان لا يدرك أن عادة استخدام الشموع موجودة في طقوس وشعائر كل الديانات، التوحيدية أو المشركة].

- **نعرف أنه يعيش حوالي خمسة عشر مليون مسلم في أوربا الغربية. الجيل الثاني والثالث من الشباب المسلم يولد وينشأ في بيئة أوربية ويتعلم الثقافة الأوربية. وهو جيل يريد أيضاً أن يحافظ على دينه وعقيدته الاسلامية. هذا الوضع يؤدي إلى خلق هوية جديدة لدى هؤلاء المسلمين. وحسب رأي المفكر طارق رمضان فهو يسميهم (المسلمون الأوربيون). وهو يستخدم هذا المصطلح وكتب كتاباً بعنوان (أن تكون مسلماً أوربياً) عام ١٩٩٩، ماذا ترى في هذه الأجيال وكيف يمكنها المحافظة على إسلامها إلى جانب الهوية الأوربية؟**

هوفمان: هذا ما يحدث في الواقع.

- **نعم، لقد أشرت إلى هذا الأمر عند حديثك عن الحالة في امريكا، ولكننا نناقش الآن الحالة في أوربا.**

هوفمان: لدينا جيل عربي ثاني وثالث في المانيا، وهم يتكلمون اللغتين العربية والألمانية بطلاقة، وبلا لهجة. فهم يتحدثون الألمانية ويلبسون ملابس اوربية. إذ لا يرتدون جلابة (دشداشة) طويلة. يمكنك اكتشاف المسلم في السوبرماركت فقط بمراقبة الناس. ستميز أن بعضهم يحدق لقراءة الحروف الصغيرة المكتوبة على العلبة، كي يعرف فيما إذا كانت محتوياتها تتضمن مواد محرمة.

الأقليات المسلمة في أوربا

مصطلح الأقليات المسلمة يعني المجموعات المسلمة التي تعيش في مجتمع غير مسلم. في أوربا الغربية اليوم هناك أقلية كبيرة تعد حوالي (١٥) مليون نسمة. إسلامياً، تعتبر هذه الوضعية مقبولة حيث يجوز شرعاً للمسلم الاقامة في مجتمع غير مسلم. وأكثر من ذلك، أصدر بعض العلماء المسلمين فتاوى تيسر المعيشة في الغرب، مثلاً: جواز اكتساب الجنسية الغربية، جواز الانتماء للأحزاب السياسية الغربية، جواز العمل في المؤسسات الحكومية والشرطة والجيش الغربي، جواز المشاركة في الانتخابات سواء في الترشيح أو التصويت، وجوب احترام القوانين الغربية. طبعاً كلها بشروط، لكن الأصل هو الجواز.

يمثل ذلك تطوراً في الفقه الاسلامي تجاه اقامة المسلمين في بيئات غير اسلامية. وبنفس الوقت يشهد التشريع الأوربي تكييفاً ملحوظاً لتلبية احتياجات الأقليات المسلمة. فقد صدرت العديد من القوانين والمقررات التي تتعلق بالمدارس الاسلامية، المساجد، المقابر، أماكن ذبح الحيوانات، الحجاب، وغيرها. هل تعتقد أن هذه التكيف المتبادل بين الفقه الاسلامي والتشريعات الغربية يمكن أن يرسم مستقبلاً متفائلاً للأقليات المسلمة في الغرب؟

هوفمان: هذا شيء لم يكن متوقعاً من قبل، المالكية لا يسمحون ببقاء المسلمين بعيداً عن دينهم، ولكن الحنفية يقبلون باقامة المسلمين في الغرب، ما زلت أعتقد بأن (السِّيَر) -القانون الاسلامي التقليدي الخاص بالأقليات- تمنح الأقليات حقوقاً أكثر من التي يتمتع بها المسلمون في الغرب؛ لأنه في السير يستطيع غير المسلمين في العالم الاسلامي تطبيق قوانينهم الخاصة مثلاً في الزواج والارث.

يضمن الغرب حماية الأقليات من خلال وثيقة الاتحاد الأوربي، كما تضمنها الاتفاقية الدولية التي وضعتها الأمم المتحدة عام ١٩٦٦، ولكنهم لا يذهبون أبعد من ذلك. فهذه الوثائق والاتفاقيات الدولية لا تتضمن منح الأقليات حق تطبيق نظامها القانوني،وبضمنها قوانين الأحوال الشخصية. في المانيا، وحتى عام ١٩١٩ كان هناك نظام قانوني خاص بالنبلاء، حيث يختلف قانون الارث عن القانون الألماني العام: من أجل حماية الابن الأكبر فهو الوحيد الذي يرث. كما أن ملكية النبلاء لا تتقسم. منذ ذلك الوقت، لم يعد يوجد قانون خاص لجماعة معينة من الناس. إن التشريع الاسلامي المتعلق بالأقليات (غير المسلمة) لا يزال أفضل بكثير من القانون الغربي الخاص بالأقليات.

من جانب آخر، أعتقد أن التشريع الاسلامي للأقليات يمثل الحد الأدنى الذي يجب ان يحصل عليه المسلمون في الغرب. مثلاً، يمكن أن نسمح للأقليات بالحصول على جنسيتنا مثلما يستطيع القبط اكتساب الجنسية المصرية. إذا كان عندنا دولة قومية فالمواطنة من حق الجميع. ولكننا لا نتراجع إلى الوراء قانونياً فقط ولكن توجد صعوبات واقعية في الغرب، مثلاً في ألمانيا يسمح القانون لليهود بذبح ذبائحهم وفق شريعتهم، ولكن لا يسمح للمسلمين بذلك. [حتى ديسمبر ٢٠٠١ حيث أصدرت المحكمة الدستورية قراراً بالسماح بالذبح الاسلامي- عبد الرزاق]. وما زال المسلمون محرومين من وجود دروس في الدين الاسلامي في المدرسة. لا يوجد عندنا سوى مدارسنا الخاصة التي تقوم بذلك،وهي باهضة التكاليف. إن تأسيس المقابر الاسلامية ليس سهلاً، كما لا يسمح بالدفن دون تابوت. و ليس لدينا مقابر اسلامية كثيرة حيث توجه قبورها إلى مكة.

- **أعتقد أن هذه مشاكل تتعلق بالسلطات المحلية، لأننا في هولندا لا توجد لدينا مثل هذه المشاكل التي ذكرتها. فهناك العديد من المسالخ الاسلامية والمقابر الاسلامية، اضافة إلى حوالي ٣٥ مدرسة اسلامية رسمية أي تتحمل الدولة نفقاتها. وصدرت مؤخراً تعليمات بتوفير الطعام الحلال للمسلمين في السجون والمستشفيات والجيش.**

هوفمان: الهولنديون متحررون جداً، فهم يسمحون بالمخدرات أيضاً.

- **فيما يتعلق بالقوانين الخاصة التي تطرقت إليها، هناك حالة استثنائية واحدة تتعلق بأقلية اسلامية ذات نظام قانوني خاص، وهي في اليونان. فبموجب اتفاقية لوزان ١٩٢٤ بين اليونان وتركيا، تتمتع الأقلية التركية المسلمة في اليونان بحرية التعليم الديني والنظام القانوني بشكل منفصل عن القانون اليوناني. وفي اسبانيا وافقت الحكمة عام ١٩٩١ على منح المسلمين حقوقاً دينية وتعليمية خاصة بهم. ويمكن أن تتطور هذه الحالة نحو الأفضل حتى تصل إلى مستوى الاعتراف الرسمي بالاسلام، كما في بلجيكا والنمسا.**

هوفمان: الاختلاف ليس قانونياً فقط بل واقعياً. في ألمانيا، إذا أردت أن تبني مسجداً، فستحتاج ربما إلى عشر سنوات، وأنت تقاتل في المحاكم حتى تحصل على رخصة بناء المسجد. وهناك الكثير والكثير من العوائق.

- **لقد قرأت بحثاً ذكر أن معدل مدة بناء مسجد في أوربا الغربية حوالي عشرين سنة، تبدأ من تقديم طلب رخصة من السلطة المحلية في الحصول على أرض وحتى الانتهاء من بناء المسجد. في السويد مثلاً يحتاج المسجد ٢٥ عاماً، وفي بريطانيا نفس المشكلة.**

في أوربا الغربية نجح بعض المسلمين في ميادين الاقتصاد والسياسة. هناك نواب مسلمون في بعض البرلمانات الأوربية. ففي هولندا يوجد سبعة نواب مسلمين، وكما يوجد في بلجيكا وبريطانيا. أعني بالمسلم هو الذي ينتمي رسمياً إلى الاسلام أو ولد من أبوين مسلمين. وليس بالضرورة أنه يلتزم بالأحكام الاسلامية ممارسة وثقافة وسلوكاً ومواقف.

هوفمان: يوجد أيضاً بعض الأتراك نواب في البرلمان الألماني ولكنهم علمانيون.

- **في بريطانيا يوجد بعض المسلمين في مجلس اللوردات مثل اللورد نظير أوف درهام، والبروفسور شاهين، والبارونة أيبولا الدين. في مجلس العموم البريطاني يوجد نائبان مسلمان فقط، أحدهما في غلاسكو والاخر في برادفورد. هل تعتقد أن المشاركة السياسية للمسلمين في الحياة السياسية الغربية يمكن أن تساهم في خلق أجواء اندماج المسلمين في المجتمعات الغربية؟**

هوفمان: نعم، أعتقد أنها تقلص من مخاوف المسلمين وتزيد من أهليتهم وكفاءتهم. المشكلة أنه ليس لدينا حزب سياسي واحد يقف تماماً مع قيم المسلمين. في أمريكا، ترك المجلس الفقهي الحرية للمسلمين في اختيار المرشحين للتصويت عليهم؛ يتحدثون معهم للبحث أيهم أفضل وقرباً من القيم الاسلامية. ولكنهم لا يميزون ولا يقدرون على التمييز أي حزب هو الأفضل. الأحزاب الاسلامية هي آخر شيء يمكن أن نفعله لأنها تأخذ أصوات المرشحين إلى لا شيء. فكل صوت لحزب الاسلامي هو آخر صوت.

لقد ناقشت هذه القضية مع زعيم الحزب الاسلامي في بريطانيا، السيد ديفيد بيدكوك. تبدو متفائلاً في قضية المشاركة السياسية، ولكن أعتقد أنها بحاجة إلى وقت.

- **في الغرب يوجد كثير من المسلمين يبدون ميلاً نحو لعب دور الضحية. فهم دائماً يشتكون من التمييز العنصري والكراهية ضد المسلمين. هل تعتقد أنه من الأفضل أن يأخذ المسلمون زمام المبادرة، مثلاً، اقامة حوار متواصل مع المؤسسات والثقافة والسياسة والمجتمعات الغربية؟**

هوفمان: على المستوى المحلي لا يمكن تفاديه. يجب أن يكون هناك حوار. المشكلة أن الذين يريدون الحوار هي الكنائس، والتي ليس لها تأثير في المجتمع الغربي. إن الذين نحتاج للحوار معهم لا يبدون اهتماماً بالحوار، وهم الأكثرية العلمانية.

- **ولكن لأسباب انتخابية قد يكونون مستعدين للحوار. في ألمانيا يوجد أربعة ملايين مسلم، وفي بريطانيا نفس الشيء،وفي فرنسا يوجد خمسة ملايين مسلم. هذه الجماهير يمكن أن يكون لها تأثير في الانتخابات العامة. وكما رأينا فإن بعض السياسيين الغربيين (مثلاً في هولندا) يقومون بزيارات إلى المساجد وأماكن تجمع المسلمين من أجل شرح برامجهم الانتخابية ودعوة المسلمين للتصويت لصالح أحزابهم.**

هوفمان: يأتون فقط عندما يكون للمسلمين مواطنة أي حاصلين على الجنسية الغربية التي تمكنهم من المشاركة في التصويت. غالبية الأتراك في ألمانيا لا يحملون جنسية ألمانية، ولذلك فهم غير مهتمين بالانتخابات.

- **كم هو عدد الأتراك الحاصلين على الجنسية الألمانية؟**

هوفمان: حوالي ثلاثمائة ألف تركي.

- **كانت هذه الوضعية في السابق،ولكن قبل سنتين صدر تشريع جديد جعل الحصول على الجنسية أيسر من قبل.**

هوفمان: كثير من الأتراك لا يريدونها، فهم أناس محافظون.

مواطنة أوربية إسلامية

- إذا أراد المسلمون أن يثبتوا للعالم بأنهم مواطنون جيدون في الدول الأوربية، فبامكانهم القيام بذلك عملياً وليس بالقول والادعاء. بامكان المسلمين المشاركة في النقاشات العامة واقتراح حلول للمشاكل التي يعاني منها المجتمع الغربي كالمخدرات والجريمة والبطالة واللاأمن وغيرها. فيجب علينا كمسلمين المشاركة في كل القضايا التي تهم المجتمع الذي نعيش فيه. أنا

أقيم في هولندا وأرى بوضوح بأننا لو شاركنا المجتمع همومه فإن الهولنديين أو الألمان أو الانكليز أو الفرنسيين وبقية الغربيين سيرون هذه المشاركة ويقبلونها، ثم سيقتنعون بأننا، أي المسلمين، مواطنون صالحون لأننا نشاركهم في مواجهة مشاكلهم.

واعطيك مثالاً: في هولندا، بدأ مشروع بسيط لكنه أعطى نتائج رائعة انعكست ايجابياً في الاعلام سواء داخل هولندا أو بين الدول الأوربية الأخرى. قامت مجموعة من الآباء المغاربة بتشكيل دوريات تتألف من رجلين تجوب في محطة القطار المركزية في روتردام، مهمتها فتح حوار مع الشباب المغربي الذي يتسكع في المحطة والأماكن القريبة منها، ويستفسرون منهم عن أسباب وقوفهم، ويقدمون النصيحة إليهم بضرورة البحث عن عمل أو الالتحاق بدراسة أو مهنة شريفة. هؤلاء الشباب يقفون عادة على شكل مجموعات صغيرة، متورطون في بيع المخدرات وأعمال غير قانونية أخرى. إن تجمعهم يخلق حالة من عدم الشعور بالأمن والاطمئنان للمسافرين الهولنديين الذي يترددون على محطة القطار. بعد بضعة أسابيع نجح المشروع واختفت مجموعات الشباب المغربي المتسكع، وصار الجو أكثر هدوءاً وأمن وأسعد ذلك الناس والشرطة والحكومة الذين عبروا عن امتنانهم لجهود الآباء المغاربة. بعد بضعة أشهر نال هؤلاء الآباء جائزة أوربية قيمتها خمسة آلاف دولار باعتباره أفضل مشروع اجتماعي.

هوفمان: نعم، قد يكون المسلمون ذوي فائدة للمجتمع الغربي. في ألمانيا نجد أن الجيش الألماني مرتاح جداً من المسلمين الألمان الذي يخدمون فيه. فغالبيتهم من الأتراك وهم لا يتناولون الخمر، فيحافظون على وعيهم وانضباطهم طوال الوقت، وهذا مفيد في الجيش.

- **بامكان المسلمين المشاركة في الأعمال التطوعية الكثيرة والمنتشرة في الغرب.**

هوفمان: نعم في الاعمال الاجتماعية بشكل عام. يجب أن نثبت بأننا أيضاً نقدم المساعدة لغير المسلمين. كما يجب أن ننتقد ما يحدث في العالم الاسلامي، إذا كان ذلك الشيء سيئاً. عندما يحدث شيئاً سيئاً مثل الهجوم الارهابي على السياح في مصر، لماذا لا نقول بوضوح للعالم: إنه أمر سيئ وهو غير إسلامي.

حوار حول التشيع

تطرقنا أثناء الحوار إلى قضية الشيعة حيث شعرت أن لديه فكرة مبسطة تلقاها من بعض المشايخ وتعلمها من الكتابات المعادية لفكر أهل البيت (ع). وكنت أتوقع منه الرأي الرصين باعتباره مفكراً وذي مستوى أكاديمي عالي أن يبني قناعاته على المنهج العلمي المستند على الموضوعية والحيادية واعتماد المصادر الصحيحة قبل الاستنتاج أو الحكم على أية قضية، لكن فوجئت

بتعميم ساذج وأحكام مسبقة تجاه التشيع، مع أنه يفترض به كونه لم يولد في بيئة مسلمة ولم يتلقن أفكاره من أبويه، بل درس الاسلام عن علم وقناعة ثم اعتنقه، وأن يكون بعيداً عن الانحياز الطائفي. فقد رأيته يكرر بعض المغالطات التاريخية والاتهامات العقائدية دون أن يكلف نفسه للتعرف على وجهة النظر الأخرى، أو يراجع مصادر عديدة كما هي عادته. فقد راجع أكثر من خمسة عشر تفسيراً حول آية القوامة على النساء وآية الحجاب.

خلفيات القضية

في كتابه (الاسلام هو البديل) وفي فصل (جمهورية أم ملكية؟: شيعة أم سنة) يطرح أسئلة تاريخية مثل: ماذا كان قد حصل للإسلام لو تسنى لعلي بن أبي طالب، وهو المرشح للخلافة، أن يكون حاضراً عند اختيار أبو بكر خليفة للمسلمين (في السقيفة)، بدل أن يتفرغ ويأخذ على عاتقه القيام بدفن الرسول (ص)؟ وماذا سيحصل لو كان لعلي أن يخلف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بدل عثمان بن عفان؟ هل كان أحد يذكره حين يتحدث عن قضية اغتيال الخليفة الثالث، حيث كان لهذه القضية ظل كثيف رافق عهد الخلافة؟ أو هل كان عندها لعلي أن يكون من غير عمد مؤسساً للحزب الذي نشأ عنه في وقت متأخر فرقة إسلامية هي فرقة الشيعة؟

يتحدث عن مناقب الإمام علي (ع) الذي (كان بلا شك أقرب الناس إلى شخصية الانسان الكامل). ثم يستنتج أنه (لو كان لعلي ان يكون أول خليفة للمسلمين، لكان له كثير من الأسباب الجلية التي تثبت شرعية خلافته بما فيها الأقدمية في الاسلام والفضل والمناقب) لكن هوفمان يستدرك بقوله (ومع ذلك نرى أن انتخابه ذاك لكان وضعاً لأسس المبدأ «الملكي» في الاسلام). يعبر هوفمان سياسياً عن اعجابه بالاسلام السني و (على قدرته على احياء المبدأ الديمقراطي الشمولي وتثبيته)، ولم يوضح معالم الديمقراطية سوى في قضية اختيار الخليفة. وهي قضية عليها مناقشات واعتراضات كثيرة، تاريخية وفقهية وسياسية، لأن كل خليفة قد اختير بطريقة غير ديمقراطية. فالخليفة الأول انتخب عبر السقيفة التي لم يحضرها سوى مجموعة من الأنصار وثلاثة من المهاجرين فقط. والخليفة الثاني تم اختياره بطريقة التزكية السياسية أي ولاية العهد، دون أخذ رأي المسلمين. والخليفة الثالث تم ترشيحه من خلال لجنة تضم ستة أشخاص فقط عينهم الخليفة عمر قبل وفاته، ومنع بذلك مشاركة بقية المسلمين وفيهم الصحابة الكبار في تعيين الخليفة. لكن هوفمان بقي يردد الأقوال المعروفة التي تبرر كل تصرف وسلوك للصحابة بأنهم على صواب وحق، ولم يتعب نفسه في قراءة التاريخ الاسلامي سياسياً بتمعن ومن وجهات نظر مختلفة، ثم يقرر بعدها فيما إذا كان النظام الراشدي ديمقراطياً، وفق المعايير التي يتبناها.

وعلى فهمه الخاطئ لنظرية الامامة يبني هوفمان رأيه الذي يقول أن الرسول (ص) ألغى العامل العائلي والانتساب القبلي بالنسبة لعرب الصحراء، ليستبدله بمبدأ (الأمة) الثوري، الأمة ذات الرباط الأيديولوجي والأخوة في العقيدة. وقد يكون مفهوم الأمة على هذا الأساس صحيحاً لكن قضية الإمامة موضوع آخر. فلو راجع هوفمان احتجاجات المهاجرين، الذين تولوا الخلافة، على الأنصار بأنهم انما يطالبون بها لقربهم من الرسول (ص) وأن عشيرة الرسول (ص) أي قريش أولى بهذا الأمر من غيرهم. فهم اذن احتجوا بالقرابة وليس بالكفاءة أو بانتخاب الناس لهم. من المؤسف أن يتنازل هذا المفكر عن أبسط القواعد العلمية في تقييم الأمور. ومن المفارقات أن علي (ع) هو الخليفة الوحيد الذي يمكن تطبيق مفهوم الانتخاب الديمقراطي على بيعته، فقد انتخب من قبل جميع الصحابة في بيعة علنية في المسجد وأمام الجميع. ولم يمارس (ع) سلطته حتى جاءته البيعة من بقية الأقاليم الإسلامية، من مصر واليمن والعراق وخراسان وغيرها.

ورغم استنتاجه بأن (حق الخلافة انحصر في المكيين، وبالخصوص بقريش ومن بينهم بالذات بالعائلات شبه الأرستقراطية منهم مثل بني أمية (عثمان)، لكن لم ينتقدها أو يشكك في المفاهيم التي اعتمدتها في استلامها للسلطة. ولكنه من أجل التشكيك بالخط العلوي يعزو إلى الشيعة أنهم (يعترضون على الرأي القائل بمساواة جميع المسلمين بالنسبة لأمر الخلافة. وأنهم يرجحون الكفة لصالح عائلة الرسول (ص) عن سائر قريش، وهذا يعني واقعاً أن تكون الخلافة لعلي بن أبي طالب ولأبنائه من بعده. وقد أدت هذه الرؤية إلى تعميق الخلاف بين علي وعثمان حتى لو برأنا عثمان من تهمة سياسة المحسوبية ومحاباة الأقارب). من جانب آخر لم ينتقد هوفمان الاسلام السني الذي شرّع للملكية منذ عهد معاوية وحتى سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤، فابتعد عن مناقشة واقع تاريخي وسياسي وفقهي امتد اربعة عشر قرناً، و بقي يناقش نظرية الامامة عند الشيعة، وهي لم تتحقق وفق المفهوم الشيعي.

إن هوفمان يعتقد أن تمسك الشيعة بأحقية علي بن أبي طالب بالخلافة إنما يعود بسبب قرابته من الرسول (ص) وهذا خطأ فادح يرتكبه هوفمان ومن يرى رأيه، لأنه لو كان النسب الهاشمي وحده هو السبب في اعتبار علي (ع) الأولى بالخلافة أي كونه بن عم الرسول (ص)، لكان يمكن ترشيح أخيه عقيل بن أبي طالب أيضاً. كما أن هناك أبناء عمومة آخرين للرسول (ص) مثل عبدالله بن عباس (رض)، أما لو كان باعتباره صهر الرسول (ص) فقد صاهره عثمان بن عفان، كما أن الرسول (ص) قد صاهر أبا بكر وعمر حين تزوج ابنتيهما عائشة وحفصة. إن الاعتبار الأول في أولوية علي (ع) بالخلافة هو النص القرآني وأحاديث الرسول (ص) الكثيرة التي تؤكد هذا المعنى إضافة إلى تنصيبه الصريح في غدير خم بعد عودة الرسول (ص) من حجة الوداع. (هناك مصادر كثيرة حول هذا الموضوع فلتراجع).

فهنا يبدو هوفمان يأخذ بظواهر الأمور ونتائج الأحداث دون أن يتعمق في أسس الخلافة وشروطها عند الشيعة، واحتجاجاتهم من القرآن الكريم والسنة النبوية. فهو يعتقد أن نظام الامامة الشيعية نظام وراثي لأن الأئمة ينحدرون من أب واحد، دون مراجعة النصوص النبوية في الامامة. كما أن هوفمان لم يلتفت إلى أن الأنبياء كلهم ينحدرون من عوائل معينة، ثم ينتسبون كلهم إلى إبراهيم (ع). فهل تعتبر النبوة نظاماً وراثياً لأن يوسف ابن يعقوب، ويعقوب ابن اسحاق، واسحاق ابن ابراهيم، ويحيى بن زكريا، وسليمان وداود، واسماعيل بن ابراهيم، وهم أنبياء أبناء أنبياء؟ وهناك أنبياء أخوة مثل موسى وهارون، اسحاق واسماعيل (ع). فالقرآن يؤكد على القرابة النسبية بين الأنبياء، يقول تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (آل عمران: ٣٣-٣٤)، و (ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتها النبوة والكتاب، فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) (الحديد: ٢٦). فكما أن الله سبحانه وتعالى يختار الأنبياء وفق معايير ومواصفات خاصة، كذلك يختار الأئمة (ع) وفق معايير إلهية. وهذا ما يعرف بالاصطفاء الالهي.

ويخلط هوفمان الأمور حين يتحدث عن الفرق الشيعية كالدرزية والبكتاشية والألهية والعلوية. ويتحدث عن عقائد منسوبة لبعض الفرق ثم يضعها تحت عنوان (الشيعة) ليدرج تحته كل رأي شاذ وعقيدة باطلة. فهو يقول أن الشيعة (قد أضفوا على أئمتهم العصمة المطلقة أخلاقياً وعقائدياً، وهم يكونون بذلك قد رفعوهم منزلة الرسول (ص) نفسه). هكذا بلا مصدر أو رأي عالم شيعي معتبر. ثم يطلع علينا بفرية أخرى هي أن الشيعة يعتبرون علياً (صديق الله) مما يجعل من الصعوبة بمكان عدم رؤية تفضيله على الرسول (ص) عندهم). وأن اعتقادهم بغيبة الامام المهدي (ع) يجعلهم يعتقدون بالدولة (الكنسية اللاهوتية) على أنها النظام السياسي الوحيد ذو الصفة الشرعية. ويتهم هوفمان الشيعة بأن إيمانهم بزواج المتعة (يعارض القانون العائلي في القرآن نصاً وروحاً). ولم يكلف نفسه في قراءة كتاب شيعي واحد عن هذا الأمر قبل أن يبني رأيه الذي اعتمده على أعداء أهل البيت (ع)،

ويخرج علينا هوفمان بأكذوبة جديدة هي أن (لفقهاء الشيعة أن يقرروا الأخذ بظاهر القرآن أو الأخذ بباطنه. وهذا ما قد يشجع على انتشار الفهم النخبوي المتخم بالسرية والصوفية للقرآن، ويساعد على نشوء طبقة رجال دين تذكرنا بإكليروس المزدكية وقسمات مانوية). فهو يريد ربط التشيع بالحالة الايرانية سواء قبل الاسلام من خلال التذكير بمزدك وماني أو من خلال التاريخ الحديث عندما ينقل بعض مواد الدستور الايراني. وهذا ما سينصب عليه حوارنا،

التشيع وإيران

ما زال الكثيرون يعتقدون أن أصل التشيع قد بدأ في إيران، وأن الشيعة الأوائل كانوا من الفرس، متناسين بذلك حقائق تاريخية في أن التشيع بدأ عربياً، ومازال كثير من الشيعة من العرب كما في العراق والبحرين والسعودية ولبنان واليمن وعمان وجنوب إيران. سألت هوفمان:

– لقد تطرقت أثناء حديثك لبعض القضايا المتعلقة بالشيعة. وأعتقد أنه ليس لك اطلاع مناسب حول الشيعة، وأن معلوماتك قد أخذتها من منظور سني. وهذا ما أبعدك عن الموضوعية والحيادية في التقييم والبحث. أنت تعلم أنه منذ قرون وحتى الآن مازال هناك صراع طائفي بين السنة والشيعة، يقوى أحياناً ويخبو أحياناً. ويتعرض الشيعة لهجمات واسعة من قبل الوهابية على الخصوص. وهناك تأليفات كثيرة تتضمن شتى الاتهامات والمغالطات. أعتقد أنك لك تقرأ كثيراً في مصادر شيعية، بل قرأت عن الشيعة من مصادر سنية. أسألك مثلاً هل تعرف السيد محمد باقر الصدر؟ وهل اطلعت على آرائه في الفلسفة والاقتصاد؟

هوفمان (يتهرب من السؤال): لقد قرأت كتاباً واحداً عن علي (ع) من تأليف العلامة محمد حسين الطباطبائي. أنا لا أتقبل أن يرفع علي إلى مرتبة الوحي، وحتى في الأذان عند القول: علي ولي الله. أعتقد أن نظرية الامامة تعيد الاسلام إلى شكل من أشكال النظام الملكي، لأن الحاكم إذا جاء عبر علاقة الدم، فعلاقة الدم هي فكرة ملكية.

أنا لا أعتقد بأشياء كالغيبة لأن ذلك مثل المعجزات. وأنا أعتقد أن شيئاً ما مفقود في التشيع. أعني: كيف يمكن أن نلطم على موت شخص كالامام الحسين (ع) قبل ١٤٠٠ عام؟ ما حدث للحسين كان مريعاً جداً، فقد كان رجلاً صالحاً، وأن ما حدث له لا يمكن تبريره. لقد حدثت في العالم مآسي كثيرة ولم يحزن عليها المسلمون العاديون سوى ثلاثة أيام، ثم تستمر الحياة.

هناك فرق بين السنة والشيعة: الشيعة تمثل حركة اجتماعية ثورية والسنة تمثل حركة مؤسساتية. ما أحبه في الشيعة هو نقدهم للأنظمة السياسية. أما السنة فيرون أن الاسلام يرى أنه لا يمكن أن يكون المسلم مسلماً إذا لم يطع الأمير.

– ولكن الحركة الثورية عادة ما تكون معارضة سياسية. لقد نمت ظاهرة التوجه الثوري بين الشيعة بسبب القمع الذي تعرضوا له من قبل السلطات الحاكمة على مر العصور. كل الدول الاسلامية اضطهدت الشيعة، من الأموية والعباسية إلى العثمانية. إذن الاتجاه الثوري هو نتيجة قمع تاريخي طويل مورس ضد الشيعة.

هوفمان: في البداية كان سياسياً ثم تحول إلى ديني وتفسيري. كتب المستشرق الأمريكي

(هارجسون) كتاباً من ثلاثة أجزاء حول تاريخ الاسلام. كتب يقول أن: الشيعة انتقام الايرانيين من حكم العرب، لأن إيران لها تاريخي رائع وانجازات فكرية عظيمة. وأن كل الديانات في العالم وجدت في إيران، كالمزدكية والزرادشتية والغنوصية وعبادة النار، وغيرها. وبمصطلحات الادارة والثقافة والفكر والأدب، كان الإيرانيون متفوقين على العرب.

- هذه الرؤية تخالف الحقائق التاريخية تماماً. وأنا أتعجب كيف تقبلها دون التحقق منها. هل تعلم بأن إيران تحولت إلى المذهب الشيعي في القرن السادس عشر فقط، وليس في عصر الخلفاء الراشدين أو الدولة الأموية أو العباسية!! أي أنها قبل خمسة قرون كانت على المذهب السني، وأن غالبية فقهاء وعلماء أهل السنة من الإيرانيين.

هوفمان: أنا أعلم ذلك، ولكن الفرس تعرضوا للاهانة لأن العرب فتحوا بلادهم.

- هذا التفسير لا علاقة له بالحقائق التاريخية.

هوفمان: على أية حال، كل شخص يعتنق الاسلام يحافظ على بعض الأفكار السابقة في ذهنه.

- وهذا ينطبق على المسلمين الأوربيين وعلى المسلمين السنة الآخرين من العرب والترك أيضاً. وأنت تعلم أن أصحاب الصحاح كانوا من الفرس كالبخاري والترمذي وابن ماجة والنسائي وغيرهم. فعلى اعتبار أن التشيع انتقام الفرس من العرب، سيكون التسنن انتقام الفرس من العرب أيضاً لأن الفرس كانوا كلهم سنة أيضاً ولمدة ألف عام.

هوفمان: التشيع ليس انتقاماً. المستشرق الأمريكي أراد الاشارة إلى أن فكرة (النظام اللاهوتي) أي المؤسسة الشيعية قد تطورت في إيران، وهي ما نراه اليوم.

- وهذا خطأ آخر. أريد مناقشة علمية. ما أشرت إليه يتناقض والحقائق التاريخية تماماً. إن نشوء الشيعة كتيار سياسي واضح كان في الكوفة في العراق، حيث كانت تسكنها قبائل عربية جاءت أغلبها من اليمن. لقد تطور ونما التشيع في مناطق عربية من الدولة الاسلامية كالكوفة والبصرة وبغداد وحلب في سوريا (دولة الحمدانيين)، وفي مصر (الدولة الفاطمية).. إذن كانت كلها خارج نطاق فارس. وكما ذكرت آنفاً حتى القرن السادس عشر كانت إيران سنية المذهب. وأنت تعرف أن تطور المذاهب الاسلامية استكمل في القرون الهجرية الثلاثة الأولى. إذن التشيع نشأ وتطور بين العرب وفي بيئة عربية وليس بين الفرس ولا في إيران. لا يمكن اعتبار شخصيات كبيرة من الصحابة بأنهم غير عرب كالامام علي (ع) وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر ومالك الأشتر وغيرهم. لقد قرأت كثيراً من هذه الآراء ولكنها لا تصمد أمام النقد التاريخي. كما لا يمكن اثباتها تاريخياً.

المؤسسة الدينية الشيعية

هوفمان: ولكن المؤسسة الشيعية تختلف لأن في أنحاء العالم الاسلامي يسمى رجل دين بالشيخ، اما في إيران فيسمى آية الله.

- الاسلام السني له مؤسساته أيضاً. في الدولة العثمانية كان هناك منصب شيخ الاسلام. وكانت هناك مؤسسة دينية تضم آلاف المشايخ على مختلف الدرجات والطبقات، ويخدمون في الدولة العثمانية. وكان هناك قضاة في الجيش العثماني، وكان هناك مستشارون حكوميون، وخطباء وأساتذة. وفي مصر هناك مؤسسة دينية هي الجامع الأزهر التي تضم الآلاف من رجال الدين والطلاب والمشايخ. ونفس الشيء حدث في العهد الصفوي الذي حكم إيران وأدخلها في التشيع، فقد تطورت المؤسسة الدينية وتوسعت في انشاء الحوزات العلمية ونظمت إدارتها ومواردها وعلاقاتها سواء بالسلطة أو الأمة. وأصبحت تضم آلاف الطلاب والأساتذة، وصارت فيها مراتب وألقاب لتمييز العلماء والفقهاء. فلماذا لا تعترض على لقب (شيخ الاسلام) مثلما تعترض على لقب (آية الله)، فكلاهما لقب علمي ومجازي.

هوفمان: ولكن هناك اختلاف بين المشايخ الشيعة، فبعضهم يرتدي عمامة سوداء والبعض الآخر يرتدي عمامة بيضاء. إن اللون الأسود والأبيض يرمز إلى عقيدة النور والظلام الفارسية القديمة، عقيدة ماني.

- لا أعتقد أن قضية الملابس تهمك إلى هذه الدرجة. هي عادة اعتاد الشيعة عليها لتمييز السادة من ذرية الرسول (ص) الذين يحظون باحترام خاص. ولا تأثير لها لا في العلم ولا في اللقب ولا في تولي المناصب العلمية في الحوزات أو السياسية في السلطة والدولة.

هوفمان: ولكنك يمكنك أن تشاهد قليلاً من الأكليروس، وقليلاً من المانوية، وقليلاً من الغنوصية في الاسلام الشيعي أكثر من الاسلام السني. وكذلك الفكرة التي تقول أنك إذا كنت من نسل النبي محمد (ص) فأنت لديك حظاً أوفر لفهم الاسلام والقرآن وقراءة ما بين السطور، أي القراءة الباطنية.

- بعض المستشرقين الغربيين يرددون هذه المقولات الخاطئة، أمثال الفرنسي هنري كوربان الذي يلصق بالشيعة توجهات باطنية وغنوصية وغيرها، ولكن هل اثبتها؟ أم أخذ يردد أقوال بعض الفلاسفة المتكلمين والشعراء الإيرانيين أمثال حافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي وكلاهما من أهل السنة وليسا من الشيعة، فقد عاشا في إيران قبل أن تتحول إلى التشيع، كما أن الشاعر الإيراني الشهير سعدي الشيرازي من مريدي الصوفي السني الشهير عبد القادر الكيلاني.

لقد عاش الشيعة حالة الأقلية المذهبية في محيط سني سواء من حيث السكان السنة أو السلطة

السنية. فلذلك سعى الشيعة إلى تنظيم مؤسساتهم الدينية بأنفسهم حتى باتت المؤسسة الشيعية ذات تأثيرات اجتماعية-دينية وكذلك سياسية-اقتصادية في الجماعة الشيعية. لقد افتقد الشيعة الحماية السياسية والاجتماعية فتعرضوا للاضطهاد السياسي والحرمان الاقتصادي والاجتماعي، لذلك كان عليهم أن ينظموا شؤونهم للتغلب على تلك الظروف القاسية. إن تنظيم وتقوية المؤسسة الشيعية تعود لأسباب سياسية وتاريخية، وهي تمثل رد فعل منظم على التهميش والاقصاء والعزل السياسي والاجتماعي.

هوفمان: لقد كنت بين الشيعة في البحرين فقط. وهم يعتقدون بأن صلاة الشيعي خلف الامام السني باطلة.

- هناك اختلاف في الاجتهاد، وهناك فتاوى متنوعة بصدد هذه القضية. فالامام الراحل الخميني قد أصدر فتوى يوجب فيها على الحجاج الشيعة الصلاة خلف السنة وبل وحتى الوهابية الذين يعادون الشيعة كثيراً. واليوم كل شيعي يؤدي مناسك الحج يصلي خلف الأئمة السنة.

ومع ذلك مازال بعض السنّة يهاجم المعتقدات الشيعية، فهم يوزعون الكتب والكتيبات التي توجه الاتهامات الخاطئة للشيعة. وبعض أئمة الجمعة والجماعة السنة يهاجمون الشيعة في خطبهم ومحاضراتهم، سواء في العالم الاسلامي أو في الغرب. ويقود الوهابيون السعوديون هذه الحملات ويولونها ويدعمون من يهاجم الشيعة. في هولندا تلتقي بالمغاربة وهم على المذهب المالكي، يصرحون بأن الشيعة كفار. فهم متأثرون بالحملات الوهابية المستمرة ضد الشيعة.

حول السيدة عائشة وأبو هريرة

هوفمان: السنّة يأخذون حوالي ألف حديث عن عائشة. فإذا فقدناها، فقدنا قدراً كبيراً من المعرفة حول الوضع المنزلي للرسول (ص)، وأنا لا أعارض قبول حديث يرد عن عمر أو أبو بكر.

- كلا، القضية ليست هكذا، فالشيعة يقبلون حديث عمر ولكنهم يؤكدون على مدى صحة الحديث سواء في المتن أو السند. وأنت تعلم أن هناك أناس كثيرين قاموا بوضع آلاف الأحاديث ونسبوها إلى الرسول (ص). ولذلك أسس علماء السنة كتب الرجال وتراجم سلسلة رواة الأحاديث، ثم ميزوا بين الموثوق به والكاذب والوضاع. فهذا يشير إلى حقيقة أن الكذب على الرسول (ص) ووضع الحديث أمر واقعي.

لقد أمضى أبو هريرة مع الرسول (ص) سنتين فقط، فكيف تمكن من رواية آلاف الأحاديث؟ وكثير من هذه الأحاديث لم يسمع بها أحد غيره، فالخليفة عمر لم يرو أكثر من ثلاثمائة حديث. أما أبو بكر الذي هو أكبر الصحابة سناً ورافق الرسول (ص) من بداية الوحي في مكة وحتى وفاته، لم يرو سوى أحاديث قليلة. وكان النبي قد أبعده عن المدينة لكثرة مضايقته للناس والالحاح

بالسؤال وطلب الحاجة. وأما الخليفة عمر فقد منع أبو هريرة من رواية الحديث، وفي أحاديث أخرى يروي أبو هريرة أنه أخفى بعض الأحاديث خوفاً من معاوية.

هوفمان: عندما زرت السعودية، وسألت الفقهاء مرة ومرتين: كيف صارت أحاديث عائشة تختلف عن أحاديث أبو هريرة؟ ألم يأخذا من نفس المصدر؟ إن لم يكونا قد شاهدا الرسول (ص)؟ فكانت الاجابة في كل مرة أكثر احباطاً لقد قالوا: أنت لا تتحدث مع المرأة بنفس الطريقة التي تتحدث بها مع الرجل. كان الرسول (ص) يحدّث عائشة وكانت ربما أكثر فهماً وعقلاً من أبي هريرة. أليس ذلك محزناً؟

- لقد رأيت بعض الأحاديث المروية عن السيدة عائشة تتعلق بحادثة الاسراء والمعراج حيث تقول: ما فارقنا جسد الرسول (ص).

هوفمان: ولكنها لم تكن متزوجة من الرسول (ص) آنذاك.

- إذن أنت فهمت ما أعني: كيف يمكنها التحدث كشاهد عيان عن شيء لم تشهده؟

هوفمان: هي لم تقل: أن جسد الرسول لم يفارقني، ولكنها قالت أن جسد الرسول لم يفارق فراشه.

- لقد قالت بذلك باعتباره شاهد عيان على الحادث.

هوفمان: ربما سمعت منه ذلك، ولكنها بالتأكيد لم تكن شاهد عيان، بل نقلت الرواية كما سمعتها.

- ها قد بدأنا بالتبرير غير العلمي.

ديفيد موسى بيدكوك
من الاقتصاد إلى زعامة حزب اسلامي

بطاقة شخصية:

- ولد ديفيد بيكوك عام ١٩٤٢ في شيفلد ببريطانيا.
- كاتب ومستشار اقتصادي ومدير للمعهد الاقتصاد العقلاني.
- اعتنق الاسلام عام ١٩٧٥
- أسس مع آخرين الحزب الاسلامي عام ١٩٨٩ بعد أن ترك ديانته المسيحية الكاثوليكية.
- يحاضر في بريطانيا وخاصة في قضايا الاقتصاد الاسلامي.

نشأة الحزب الاسلامي في بريطانيا

يعتبر الحزب الاسلامي في بريطانيا ظاهرة سياسية جديدة في الحياة السياسية الغربية. تأسس عام ١٩٨٩ في ظل قضية كتاب الآيات الشيطانية لسلمان رشدي. في ذلك الوقت أيقن كثير من المسلمين بأنهم ضعفاء جداً في الدفاع عن حقوقهم ووضعهم في المجتمعات الغربية. لقد أدركوا أنهم أهملوا الحاجة إلى مخاطبة الجمهور الغربي بصدد الحلول الاسلامية، كما التفتوا إلى الغياب غير المبرر من الساحة السياسية والاتصال بالجمهور، والحصول على اعتراف من المجتمعات الغربية بهم. لقد أيقنوا بأن عليهم تنظيم أنفسهم من أجل لعب دور أكبر في المجتمع الغربي وعدم البقاء في حالة الانزواء السياسي. هذا الوعي أدى إلى عدة منظمات اسلامية على مستوى قومي مثل البرلمان الاسلامي، المجلس الاسلامي في بريطانيا والحزب الاسلامي في بريطانيا.

تأسس الحزب من قبل خمسة أعضاء، ثلاثة منهم مسلمون بالأصل وهم د. محمد نسيم (١٩٢٤) هندي الأصل، د. هاني نصر (١٩٤٩) مصري، وكليم محمد (١٩٣١-١٩٩٧) من بربادوس. والآخران من الغربيين الذين اعتنقوا الاسلام وهما صاحب مستقيم بلر (١٩٥٩) وهو ألماني يقيم في بريطانيا منذ عام ١٩٨٢. اعتنق الاسلام عام ١٩٨٠ وهو منظر الحزب وفقيهه. والآخر هو ديفيد موسى بيدكوك (١٩٤٢) وهو انكليزي اعتنق الاسلام عام ١٩٧٥. وهو حالياً زعيم الحزب.

اعتناق الاسلام

- هل تحدثنا كيف اعتنقت الاسلام؟

بيدكوك: لقد أصبت بخيبة أمل من النظام الذي نسميه الديمقراطية الغربية، لأنه نظام غربي ولكن ليس بديمقراطي. لدينا محاكم قوانين ولكن ليس لدينا محاكم عدل. وعندما نضع نظامنا في أي اختبار سنجده نظاماً فاسداً، وهماً من التمويه والعدالة والديمقراطية.

خيبة الأمل هذه من هذا النظام كانت هي الدافع للتحول أكثر من البحث عن الاسلام، لأن الاسلام لم يكن موجوداً على جدول أعمالي. ولا أحد يفكر بالخروج من خلفية مسيحية غربية نحو الاسلام لأن الدعاية ضده قوية. ولذلك بينما كنت أقود سيارتي يوماً ما، فكرت: إلهي! يوجد طريق آخر أفضل من هذه.

بعد أسابيع كنت بالصدفة في جدة بالمملكة العربية السعودية، مع صديق لي لقضاء بعض الأعمال. وكان قد صادف وصولنا أول يوم في شهر رمضان عام ١٩٧٥. لقد لاحظت كيف أن الناس يمارسون الصوم والصلاة، فقلت لصديقي: هل هؤلاء كفار؟ ليساعدنا الله!

لقد كانت تلك البداية لنرى ما قيل لنا حول الاسلام، فاكتشفنا بأنه مزيف وغير صحيح. ولكن المشكلة أن المسلمين لا يعملون بأنفسهم أي شيء لصالح الاسلام، لأن (الدين المعاملة) [قالها بالعربية]، وكلما كانت هناك "معاملة" كانت هناك جاذبية للإسلام. إن المأساة الحقيقية تتمثل بأنه لا يمكن أن يجد في أي مكان دولة اسلامية تعمل وفق الاسلام. وتبقى تفتش وترى ولكنك تبقى في حلقة مفرغة.

وفي مصادفة أخرى، التقيت بأمريكي أسود مسلم فحدثته عن الفكرة التي تخامرني بأن الاسلام ربما يمثل الاجابات. وخلال بضعة أشهر صرت مؤمناً بتلك الفكرة تماماً. فلم أكن قد قرأت القرآن بعد أو أي كتاب عن الاسلام. لقد استمعت وراقبت بنفسي. لقد بدا ذلك واضحاً جداً، وهذا هو ما كنت أبحث عنه، ولكنني لم أكن أعرف ماذا أسميه، لأن المسلمين وحسب طريقة ممارستهم للإسلام فهي لا تمثل طريقة الرسول (ص). إن الصعوبة تكمن في أننا إذا أردنا الدعوة إلى الله، يجب علينا أن نتصرف مثل الرسول، ولكن أين هذا؟

- فأنت بدأت مسيرتك من خلال النقد؟

بيدكوك: كلا، لدي نقد على نظامي، على النظام الغربي.

- في البداية شاهدت ممارسة بعض الشعائر الاسلامية كصيام رمضان، وصلاة الجماعة. فهل مثلت هذه الطقوس اجابات لأسئلتك في ذلك الوقت؟

بيدكوك: بالنسبة للفكرة التي كنا نحملها والقائلة بأن هؤلاء الناس يمارسون الوثنية، فلو لم

يكونوا على حق تجاه ما قيل لهم، فالفكرة كانت بأن تفانيهم والتزامهم كان دليلاً على أنه وحي، كنت مهتماً برؤية أمريكان اعتنقوا الاسلام، ويعبدون ويفعلون نفس الأشياء. لقد كان اهتماماً ولكن بالطبع فالصيام في تلك الدرجة من حرارة الجو أمر غير عادي. لقد أثارت ملاحظتي لتلك الأشياء اهتمامي والتفكير: هؤلاء الناس ليسول متوحشين أو برابرة، كما يصفهم الاعلام الغربي، وكما كان يقال لنا في الكاثوليكية التي كنت آمن بها ونشأت عليها. إنها "المعاملة" التي جذبتني، إنه السلوك الذي هزني. كان ذلك انطباعي الأول. ولكنني لم اعتنق الاسلام لأن اختي وابن عمي اعتنقوا اليهودية. فالأولى كانت متشددة والثاني عاد إلى الكاثوليكية مرة أخرى. لقد قضيت أغلب حياتي في الموسيقى وأعمال الموضة أو أعمال المصارف التي يهيمن عليها اليهود. لقد عملت معهم طوال حياتي. لقد كنت ألتقي بعرب ومسلمين، وناس من روسيا أو أمريكا، ولكن رؤية أمريكي اعتنق الاسلام، عدا الملاكم محمد علي كلاي، والذي كان مشهوراً جداً، يعني أن ذلك مبني على شيء لم أكن أتوقعه. لقد كنت متعجباً و فضولياً. ولكن ليس بسبب سلوك مسلمين يعيشون في (برنت) أو (شيفلد)، والذين لدينا منهم الآلاف. لقد وجدت نفسي يوماً في حالة التقيت فيها بأمريكي، وربما كان ذلك شيء هام جداً. لقد أردت معرفة كيف يعيشون كمسلم في أمريكا،ولذلك ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ثم توصلت إلى استنتاج بأن التغيير في هؤلاء الناس كان حقيقياً. لقد انتقلوا من حياة المخدرات والجريمة إلى حياة الهدوء الأخلاق. فما السر في ذلك؟ أية قوة تكمن وراء هذا التغيير؟ ولذلك صرت مهتماً جداً بالبحث عن ذلك.

لم يكن لدي شك بأن من الهام جداً أن أصل إلى قناعة حقيقية، ولذلك بدأت بدراسة الكتاب المقدس والقرآن أكثر مما كنت أفعل في السابق. وبدأت بالتأكد من كل ما شيء، أين يتحدث القرآن عن الصيام وعن الصلاة، وغيرها. في الكاثوليكية وفي المسيحية عموماً، كل عام تتغير كثير من الأشياء عما كانت عليه قبل عشر أو عشرين عاماً، فتصبح أموراً اختيارية. يجب أن لا يتغير الشيء إذا كان حقيقة. والفاتيكان يقبل بهذه التغييرات، فصرنا نختار ما يعجبنا من القواعد والشعائر، وهذا ليس جيداً.

- هل كنت تؤمن بأن الاسلام هو أفضل الخيارات للغربيين؟

بيدكوك: أعتقد أنه أفضل خيار لكل الناس على الاطلاق. الاسلام الحقيقي مبني على الفطرة، والناس تحب الفطرة، فهم لا يحبون الشعائر أو ممارسات تمنع المعنى المشترك، فهم لا يردون سرداً فقط. لقد خرجت من الكاثوليكية ولا أريد العودة الى شيء آخر يريد منك تكرار الأشياء مثل الببغاء.

- ومتى شهدت الشهادتين؟

بيدكوك: في ١١/ ١١/ ١٩٧٥ في نيوجرسي، نيويورك.

- يعتبر الحزب الاسلامي البريطاني أول حزب اسلامي يتأسس خارج العالم الاسلامي. إن هذه ظاهرة جديدة، فهو حزب اسلامي وأوربي في نفس الوقت. أرجو أن تحدثني عن الخلفية الدينية لحزبك؟

بيدكوك: لقد تأسس على ذلك الأساس. أعضاءه مسلمون من أصل مسيحي ويهودي، يعملون معاً، ولذلك لدينا خلفيات دينية متعددة.

الربا: أساس المشاكل

- دعنا نتحدث في السياسة، ما هي المساهمة التي قدمها الحزب الاسلامي للجالية المسلمة في بريطانيا؟ بطريقة أخرى: ماذا قدمتم للجالية من انجازات؟ أم أن عملكم يقتصر على البريطانيين المسلمين؟

بيدكوك: إن فكرة أي حزب الاسلامي كانت تعني السعي لتغيير أوضاع الناس، كل الناس وليس فقط أوضاع المسلمين. كما تعني كيفية تحقيق الأشياء الهامة وحل المشاكل الموجودة. لدينا الكثير من المساجد والمعلمين وملايين البشر يتكلمون اللغة العربية. إذن فالقضية هي تحديد الأولويات، أي المهم والأهم.

إن أولويات الناس في بلد تختلف عنه في بلد آخر. هذا الأمر ينطبق على الدعوة إلى الاسلام أيضاً. أعتقد أن أساس المشاكل التي نعاني منها هو الربا وفوائد المعاملات المصرفية. ما لم تتم مهاجمة هذه الأشياء، فالانشغال بالقضايا الأخرى يعني تضييع الوقت. يقول الامام علي (ع): لو كان الفقر رجلاً لقتلته.

من الواضح أن المشاكل التي تعاني منها المجتمعات، سواء في أوربا أو أمريكا الشمالية أو الجنوبية أو استراليا، في أي مكان تذهب إليه ستجد مشكلة كبيرة تسمى الديون. الأولوية أن نقول: حسناً، نريد أن نبني و نريد أن نفعل كل هذه الأشياء، لكن المشكلة تبقى وهي: من أين تأتي هذه الأموال؟ إن القروض والفوائد المتراكمة عليها تشكل مشكلة ضخمة للبلدان النامية. لقد غدت هذه الفوائد العدو الأول للشعوب. إنها تمثل «جالوت» العصر. هذا الجالوت ينتشر في كل مكان ويمنعنا من عمل شيء أو تحقيق أي تقدم. يمكننا فهم كيفية حل مشكلة بعض الناس المدمنين على الكحول، أو يسيء معاملة الأطفال، أو يمارس العنف، وغير ذلك.

ثم التفت بيدكوك إلى رفيقه السيد (كين) وهو من الحزب الديمقراطي الليبرالي والذي كان حاضراً في اللقاء، وهما يتعاونان معاً في مناقشة المشاكل العامة والتوصل إلى حلول لها، قائلاً:

هذا هو السيد كين وهو مع أحزاب سياسية أخرى يناقشون هذه القضايا. وهم يرون أننا نبحر في سفينة (التيتانيك)، وأننا نغرق معها ولكننا نقول: فليذهبوا هنا أو هناك لكن هذه المشكلة باقية هنا ولا تريد أن تذهب. فقضية اعادة تنظيمها فوق التيتانيك هي مشكلة الأحزاب الأخرى وليست مشكلتنا. هذه لعبة.. هذا وهم. كل الأشياء بعيدة عن الواقع لأنها لا تخاطب الجالوت ولا الربا. وعندما سينتهي كل شيء، علينا أن نعلم ما يجب أن نفعله لمنع الانهيار الاقتصادي. نحن بحاجة إلى صنع سلاح. عندما تصنع السلاح الواقي تحتاج إلى خلق هؤلاء الناس على استخدام هذا السلاح أمثال صدام حسين وهتلر وستالين، وهذه هي المشكلة. هذه المشكلة هي أهم حالة اليوم. فهي تشبه حالة سيارة، فيها اطار عاطل، ونحن نقوم بدهنها وتلميعها، ونضع الوقود فيها، ولكننا لا نعرف إلى أين ستقودنا.

عندما كنا في برادفورد، كنت أنا وكين نناقش هذه القضية. فهو يريد أن يرى حزبه وهو يدرج هذه القضية في جدول أعماله. كما يشاركنا الرأي (بريان بوريد) من حزب العمال البريطاني، وأحزاب أخرى. فهم يتفقون معنا ومع موقفنا تجاه قضية الربا والفوائد، لكنهم لا يجرؤن على البوح بذلك لأن ذلك يتطلب منك أن تستعد للشهادة، وتصبح شهيداً. فهذه قضية قاتلة، قضية استشهاد، ثم عليك أن تلعب اللعبة، يمكننا أن نلعبها ولكننا غير مهتمين بهذه اللعبة. القضية هي الاعتراف بأن ما حدث في البوسنة يمكن أن يحدث هنا. والنقطة هي في آلية العمل الذي يقوم به جالوت، وقارون المعاصر لموسى (ع). فيمكنه القول: المسيحيون أعداؤنا، ثم يقول: المسلمون أعداؤنا. ثم يدعون لقتال هذا العدو. فهذه هي الأولوية الحقيقية لاصلاح الاطار، أي أصلحه ثم انطلق حيثما تشاء. ستجد وثائق ومواد كثيرة، ولكن يعتقد الكثيرون أن مفاتيح المشكلة موجودة في وستمنستر (الحكومة البريطانية). هؤلاء الموظفون الكبار عزّل عن السلاح، ويسكنون في دوائر، وهم بلا قوة. القوة موجودة في السيتي City (حي البنوك والمصارف في لندن). هذا عدو متبادل، لا يهم أين ومن، السودان أو نيوجرسي، عدونا موجود هنا في ستي أوف لندن City of London، علينا أن نتعامل معها ونشخصها للعالم، فهنا يوجد الجالوت. وما لم يحدث ذلك، كل الكلام والبحوث في الاسلام وبناء المساجد يبقى بلا معنى. هناك العديد من المساجد بنيت بأموال فيها ربا، ولذلك لا توجد فيها بركة.

- إذن أنت تريد تدمير سيتي أوف لندن؟

بيدكوك: كلا، بل تدمير النظام. إن السيتي هي العدو من حيث أنها تفعل ذلك. ستجد في صحيفة الحزب الاسلامي (كومون سينس Common Sense) مادة كثيرة حول منهجنا لتحقيق ذلك. نحن الآن في حياور مع (بنك انكلترا Bank of England) والفكرة تتمثل في تغيير النظام المصرفي الحالي أو تأسيس نظام آخر.

- هل تعتقد أنه من الممكن تحقيق هذه الفكرة؟ ألا تعتقد أنها فكرة مثالية (طوباوية)؟

بيدكوك: صحيح انها مثالية، ولكنها مثالية ممكنة. الاسلام مثالي أيضاً. هناك موسيقى مشهورة اسمها (مثالية محدودة) وضعها جلبرت يوذرلاند، تخاطب أيضاً قضية القروض المالية في اسقاط العروش، وتدور حول السيتي أوف لندن. فالمشكلة ليست مثالية، إنها فقط قضية القول بأننا نعرف اصلاح الاطار العاطل. يجب أن نفهم ما يمنع تحقق الحل،ونحن نعرف ما يمنعه. السيد كين لديه مكتبة مليئة بالكتب التي تتناول قضية الربا، منذ عام ١٢٠٠ وعام ١٦٠٠، الجميع يعرف حل المشكلة.. الامام أبو حامد الغزالي كان يعرف حل المشكلة.

ليس من المثالية الاعتقاد بأنك يمكنك حل المشكلة. فالجميع يعرف حل المشكلة. فإذا قلت أريد حلها، سيقولون: اعطنا مالاً، وسننهي هذا العمل، ولكنه يقول: لا، فالفكرة التي لا يمكن تحقيقها، كانت قد تحققت في الماضي. قبل ٣٠٠ عاماً لم تكن الحكومة البريطانية تتعامل بالربا. هم يقولون: نحن نخلق النقود بأنفسنا، وننفقها، ونخرجها من التداول من خلال الضرائب. ونقول بطريق آخر: نحن نرغب في اخراج النقود من التداول، ثم اعادة انفاقها مرة أخرى. أنها تشبه القول: لدينا بقرة، ثم نضعها في ماكنة كي نحصل على الكباب والصوصج. وما يقولونه هم: ما سنفعله هو أننا كي نأخذ الكباب والصوصج علينا أن نستخرج منه بقرة. فهذه هي المثالية.. هذا جنون.

أساليب تحقيق الأهداف

- أصبح هدفكم واضحاً، فما هو المنهج الذي تستخدمونه للوصول إلى هذا الهدف؟

بيدكوك: صديقي السيد كين مثال جيد، فهو مساعد رئيس (المجلس المسيحي للعدالة النقدية)، والذي تأسس عام ١٩٥٠. لدينا كل شهر اجتماع في مجلس اللوردات، يحضره ممثلون عن مختلف التيارات والأيديولوجيات، من الماركسيين والاشتراكيين المتشددين إلى الأجنحة اليمينية. وكل هؤلاء الأعضاء يؤمنون بأن الربا هو أساس مشاكلنا المتبادلة. لو قرأت مقدمة ابن خلدون، لا تجد ذكراً للربا. لقد عاشت اسبانيا ٦٠٠ عام من السلام الاجتماعي. فما هو سر السلام؟ اذا وجدت البركة، وجد السلام، والعكس صحيح. يسمي اليهود ذلك العصر بالعصر الذهبي. فما هو السر؟ انه الامتناع عن الربا من أجل السلام. وحتى لو صليت عشر مرات في اليوم، وصمت ٢٤ ساعة في اليوم، فلا توجد بركة، لأنك متورط بالنظام، والله يعاقبك على مشاركتك به.

- ولكن كان هناك تحالف عسكري وسياسي وديني في الأندلس.

بيدكوك: ولكن النقطة، هي عصر امتد ٦٠٠ عاماً من السلام، عاش كل فرد فيه بأمن ورفاه، رغم اختلافاتهم، سواء كنت سنياً أو شيعياً، كاثوليكياً أو من مذهب آخر. الجميع يعيشون لأنه

لا يوجد ضغط عليهم. ولو تنظر إلى الوضع في البوسنة، فقد كان هناك سلام امتد لفترة ٤٠٠ عام، حتى جاء ميلوسوفتش وبدأت الحروب. وكان سبب الحرب القروض التي قدمها البنك الألماني، والفوائد التي تتبعها. وهذا هو سبب المشكلة، وبامكاني اثبات ذلك لك.

وهنا تدخل السيد كين فقال: يجب أن لا ينسى المسلمون أن الربا حرام. نحن المسيحيون نسينا ذلك، واليهود يعرفونه.

شؤون الحزب الداخلية

- هل يوجد لديكم نظام داخلي للحزب؟

بيدكوك: نعم يوجد لدينا، ولكنني لم أجلبه معي.

- هل يشترط الحزب أن يكون أعضاؤه من المسلمين؟

بيدكوك: كلا، يوجد لدينا أعضاء غير مسلمين من الأعضاء المشاركين، مثل الكسندر بانر، هو رجل نشط جداً. فهو قبل بالانتماء إلى حزب اسلامي باعتباره غير مسلم، لأنك لو قرأت الدستور الايراني، وهو دستور رائع، ولكن هل تم العمل به كلياً؟ كلا، انظر لمسألة التوزيع التي تحدث عنها آية الله السيد محمد باقر الصدر، فهل تم العمل بها؟ يمكن أن يكون لدينا دستور جميل ولكن عند التطبيق نفتقد الكثير. ولذلك لا توجد بركة. كان للربا دور كبير في الحرب الأهلية الانكليزية. فكل الحرب كان يسيطر عليها هذا الجالوت المالي الرهيب. بدأت الحرب الأهلية من أمستردام من قبل المصرفيين الهولنديين. لقد كانت من أجل خلق جزيرة هنا، قلعة لا يمكن اختراقها. إذن كل الحروب، وكما يقول الفرنسيون: هي حروب الفوائد، الربا.

- هل توجد شروط لعضوية الحزب؟

بيدكوك: كلا، نرحب بكل شخص، رجلاً كان أو امرأة. لا توجد نساء انكليزيات كثيرات ينتمين للأحزاب السياسية، بينما توجد ملايين النساء في السودان ومصر يشاركن في العمل السياسي. لو كنا في هذه البلدان لحققنا فوزاً.

- هل تضع نفسك مع الأصوليين؟

بيدكوك: نعم، بالطبع، فنحن نؤمن بأن ما يأمرنا به الله هو شيء أصولي.

- ماذا عن صنع القرار داخل الحزب.

بيدكوك: جميع الذين لديهم اهتمام يشاركون بصنع القرار مثلاً الدكتور نسيم، مسؤول الحزب في برمنجهام، وكذلك الدكتور هاني نسر، نائب الرئيس.

- إذن لديكم لجنة تقود الحزب؟

بيدكوك: نعم، لجنة تتألف من سبعة أشخاص، حيث يقف إلى جانبي كل من الدكتور هاني

نسر والدكتور نسيم. وعند مناقشة بعض القضايا الهامة كالقضايا الاقتصادية نستدعي السيد كين لحضور مناقشاتنا لأن لديه معلومات هائلة، فنحن نثق بأحكامهم، ومن ثم نقوم بصياغة سياسة الحزب وتوجهاته.

العمل وفق الاسلام

- أنت تصنف حزبك على أنه حزب اسلامي، كيف تتأكد من أن أفكار وتصورات وبرامج الحزب تنسجم مع الشريعة الاسلامية؟

بيدكوك: نحن نبحث في جميع الأشياء، ونأخذ الآراء من جميع المدارس الفكرية في الاسلام، معتمدين بذلك على ما ورد في آخر خطبة للرسول (ص): «ألا ليبلّغ الشاهد منكم الغائب، فلعل بعض من يبلّغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه».

فيجب أن تعتمد على الفطرة، وكذلك أن ترى السوابق التاريخية، وما هي الأحكام التي اتخذت بصدد النقاشات الماضية. فنحن كاثوليكيون جداً بمعنى قراءة ودراسة النصوص. واذا كان هناك حل فيجب أن نطبقه على عصرنا الحالي. نحن لا نقيّد أنفسنا ونقول: نحن نتبع الامام الشافعي. يجب أن تبحث في القضايا المعاصرة ثم تسترشد بالأحكام السابقة لايجاد حلول معاصرة لها. بالطبع يبقى القرآن المرشد الأول لنا، ويجب أن يكون الأول.

- لقد تأسست هذه المذاهب قبل أكثر من ألف عام، واليوم نعيش مشاكل جديدة لم تكن موجودة آنذاك. وحسب ما تقوله فانك تمارس الاجتهاد، فهل أنت مجتهد؟ أم أنت مقلّد؟ كما يبدو أن لجنة الحزب تمارس الاجتهاد، فهل لديكم مؤهلات في العلوم الاسلامية والقرآن والتفسير واللغة العربية وغيرها من مؤهلات الاجتهاد؟ أنتم بحاجة إلى هذه المؤهلات كي تستطيعوا ممارسة الاجتهاد، بينما خلفيتكم العلمية لا تتعدى الدراسة الغربية،ومعرفة اسلامية عامة وسياسة واقتصاد. وهذا ليس كافياً، ففي لغة الاسلام هناك شيء يسمى الفتوى، أي أن آرائكم تمثل فتاوى، مثلاً دعوتكم للمشاركة السياسية في نظام علماني. هذه ظاهرة جديدة، لكنها بحاجة إلى رأي شرعي أي فتوى. وهذه الفتوى يجب أن تصدر من مرجعية فقهية. لقد منحتم لأنفسكم سلطة شرعية، فكيف تثبتونها قبل أن تتمتعوا بهذه السلطة؟ هناك جامعات دينية متخصصة مثل الأزهر في مصر أو الحوزات العلمية في قم (ايران) والنجف الأشرف (العراق). فلو كنتم قد تخرجتم من هكذا جامعات، يمكنكم عندها ممارسة الاجتهاد. كيف يمكنك الادعاء بأن هذه الفكرة اسلامية أو هذا المقترح اسلامي دون قاعدة شرعية؟

بيدكوك: الجواب على ذلك هو أننا نقرأ فتاوى علماء الأزهر وقم وغيرها. نحن نرى أن

المشكلة هي في التطبيق التي لم يحلوها. لم يتوصلوا إلى حل كيف يعمل الاقتصاد، مثلاً بلا ربا. وتكون وظيفتنا في كيفية ايجاد آلية لتنفيذ الأشياء التي يعرفها الجميع. لقد ذكرت الأكليروس Clergy (رجال الدين) وحسب فهمي من الناس بأنه لا يوجد أكليروس في الاسلام. لدينا طبقة كبيرة جداً من رجال الدين حتى أصبحوا جزءاً من النظام الديني. ويبدو أن قسماً كبيراً من رجال الدين يعانون فشلاً هائلاً في تطبيق ما يقوله الله تعالى في القرآن الكريم، والذي هو واضح جداً.

- أنا لم أعني رجال الدين بالمعنى الغربي بل اقصد علماء المسلمين من الذين يمارسون الاجتهاد وتفسير القرآن والحديث، أنت تعتبر نفسك عالماً أم يجب عليك أن تبحث عن الفتاوى من آخرين؟ فقاطعني قائلاً:

بيدكوك: نحن لا نبحث عن الفتاوى، كل شيء واضح في القرآن. فهو يأمرنا بأن نفعل كذا ولا نفعل كذا. ثم يأتي من يقول يمكنك أن تقبل بذلك مهما يكون، أو يقول لي شيئاً من قبيل أن الله تعالى يقول لا تفعل هذا، وأنا أعرف أنه يوجد حل، فيجب أن أرفض ذلك. اذا كنت أعرف أن (٢+٢= ٤) ويأتي من يقول يجب أن تكون النتيجة (٥) لأننا سنستفيد من ذلك، فلن أقبل ذلك، كائناً من كان ذلك الشخص. المشكلة تكمن في ادارة ايجاد الحكم الصحيح للقضية.

أنت تقول لو تعود إلى تصور الامام الغزالي للنقود، عندها لا يمكنك أن تحسّن هذا التصور اليوم، بعد ألف عام. لا يزال يبدو كاملاً عليالاطلاق، لكن من يطبقه اليوم؟ المشكلة ليست في الفتوى، ولا في اصدار الحكم، بل في التطبيق الذي لم ينفذ لحد الآن.

إن عملنا هو القول بأنه كان على موسى دخول الحلبة مع هذه المجموعة من السحرة، لقد قيل: لا يمكنه ذلك، لكننا رأينا كيف ذهب إليهم وواجههم. يجب عليك أن تدخل الحلبة. الطبيب يذهب حيث يوجد أناس مرضى، فهو لا يذهب إلى الأناس الأصحاء. الفكرة تتمركز في الذهاب إلى الناس وتنوير أفكارهم. إن الله لا يبدل حالة ناس قبل أن ينذرهم، ونحن نقوم بالانذار.

- ولكننا متفقون بأنه يوجد شيء اسمه التخصص؟

بيدكوك: نعم، هناك تخصص، ولكنني أقول بأننا قرأنا كل شيء، ولكن أين الفعل؟ أين التطبيق؟ انهم يقولون: انه مستحيل. كل شخص يتوجه صوب الاقتصاد الاسلامي، صوب شيء لا يمكن تحقيقه، لأن هذا الرجل يقول وكل شخص يقول بأن صندوق النقد الدولي هو المسؤول. ونحن نقول هذا جنون. لو قلت للإمام الخميني أو البابا: يجب أن نقبل اتفاقية البلقان، وقلت: لا، هذا مستحيل، ان الاستماع إلى العلماء الذين لم يفهموا هذا الوضع، لأن لا أحد منهم له يد فيه. نعم

لديهم أيادي جميلة، فهل يوجد منهم من يرقع نعاله بيده مثل الامام علي؟ لا أحد. إن الأمر يتعلق بالتطبيق العملي، وأن نعرف أنه ما لم نتحدى هذا الجالوت، فكل شيء يبقى تضييعاً للوقت. هذه تفاهة أكاديمية لأن الناس يقاسون الموت بسبب هذا الخمول.

- هل لديك اتصالات مع علماء مسلمين؟

بيدكوك: نعم، مثل آية الله الشيخ محسن الآراكي (إمام المركز الاسلامي في انكلترا، لندن)، الشيخ زهران اكرام رحيم الله. نعرف غالبية العلماء الجيدين. وهم مثل غالبية السياسيين البريطانيين يقولون: لا لصندوق النقد الدولي.

نحن نقول: لو كانت الحالة هكذا، فيجب أن نفعل شيئاً يعبئ الناس. نسافر ونتحدث مع الناس، نقابلك، نتحدث ونقول: الحل لن يوجد إلا في تطبيق الفتاوى والحكام التي صدرت من قبل الامام الغزالي. أي واحد من أولئك العلماء مارسوا وأصدروا الفتاوى. فنحن لسنا بحاجة إلى أحكام وفتاوى جديدة، بل نحن بحاجة إلى تطبيقات هذه الأحكام. ولو استطعت أن تدعم الأطروحة الاسلامية بآراء غير اسلامية سواء من ريكاردو أو ماركس أو كينيس، فكلها تعزز الفكرة بأن المسلمين لا يذهبون ويحققون ذلك فقط بل عليهم تطبيق ما يدافعون عنه.

الحزب الاسلامي والانتخابات البريطانية

- هل بامكانك أن تعطينا فكرة واضحة عن مشاركة حزبكم في الانتخابات البريطانية، ابتداءً من عام ١٩٩١؟

بيدكوك: كانت انتخابات فرعية في برادفورد، ضمن الانتخابات العامة في لندن وبرادفورد، والانتخابات المحلية في شيفلد وبلاكبيرن. شاركنا في هذا المناطق ولكن تحتاج للمال للمشاركة. وهناك مشكلة أخرى قد تستغرق ٥٠ عاماً،وربما مائة عام، حتى يمكنك خلق انطباع ايجابي عن المسلمين. كان عملنا بالدرجة الأولى هو دخول اللعبة لأن الانتخابات في السياسة هي لعبة. ويجب أن تمتلك مصادر كبيرة كي تدخل الحلبة السياسية.. تحتاج إلى الاعلام.. تحتاج أن تذهب شخصياً كي تعطي معلومات وايضاحات عن برنامجك وحزبك. يجب أن نتعلم كيف ندعو الآخرين، والموقف الأوربي قد يحتاج إلى خمسين سنة، لذلك لا يمكن أن نقوم بكل ذلك في سنة واحدة. إن مسؤوليتنا هي أن نبدأ بوخزة صغيرة. ولو فعلنا ذلك، فهذا هو المهم، ولكننا بحاجة إلى صبر. كيف بنى البريطانيون امبراطوريتهم؟ بالتخطيط الدؤوب. قد يستغرق منا مائتي عام..وقد لا نرى ثماره لكن أولادنا وأحفادنا سيقطفون هذه الثمار.

- ماذا كانت نتائج مشاركتكم في انتخابات ١٩٩١؟

بيدكوك: شاركنا في الانتخابات الأولى التي كانت انتخابات برلمانية فرعية. وفي الانتخابات العامة عام ١٩٩٣ كان لدينا خمس مرشحين في لندن وبرمنغهام وبرادفورد.

- هل كانوا من لجنة الحزب أم من الأعضاء الآخرين؟

بيدكوك: كانوا من أعضاء الحزب.

- هل رشحت نفسك فيها؟

بيدكوك: نعم، ترشحت في شمال برادفورد. وفي الانتخابات الثانية ترشحت في جنوب برادفورد. لقد كانت تمثل خطوات أولى في دخول الحلبة السياسية. لقد أكسبتنا خبرة في كيفية الدعاية الانتخابية، في برادفورد، حصلنا على (١١٠٠) صوتاً، (٨٠٠) صوتاً منها من غير المسلمين. [لم يوضح بيدكوك كيف يميز بين أصوات المسلمين وغير المسلمين في صناديق الاقتراع]. لقد كان من الواضح أن الناس يحبون الاسلام ولكنهم لا يريدون أن يصبحوا مسلمين.

- هل كانت حملتكم لكسب أصوات المسلمين أم أصوات البريطانيين؟

بيدكوك: لقد كسبنا أصوات غير المسلمين أكثر مما حصلنا عليه من أصوات المسلمين.

- لماذا؟

بيدكوك: لأن الناس تحب الاسلام. فعندما تشرح لهم الاسلام، وعندما تقترح لهم الحل الاسلامي لمشاكلهم، وكيف يتخلصون من القروض العقارية Mortgage، أو كيف يتعاملون مع هذه القضايا، سيعجبون بالاسلام.

- لماذا لم يصوّت المسلمون لحزبكم؟

بيدكوك: لقد قال لهم مستشارو المساجد بأن لا يصوتوا لنا، لأن معظم المساجد على علاقة بحزب العمال. انهم مثل زبد البحر (قالها بالعربية)، لقد باعوا أنفسهم، فهم ملزمون بدعمهم.

- يقول فيليب لويس في كتابه (بريطانيا الاسلامية Islamic Britain) أنه في انتخابات ١٩٩٢ لم يحصل بيدكوك سوى على ٤٧١ صوتاً في برادفورد، فماذا ترد عليه؟

بيدكوك: كان ذلك في انتخابات فرعية في شمال برادفورد. إن فيليب لويس يعمل مستشاراً لأسقف برادفورد. وهو رجل غير شريف، ولديه دوافع سياسية. لقد حصلنا على أصوات أكثر، ١١٠٠ صوت في شمال برادفورد.

- يذكر لويس بأنه كان هناك (١٦,٠٠٠) صوت، وفي شمال برادفورد (٧٠٠٠) صوت، لكن مرشحي الحزب الاسلامي لم يحصلوا سوى على ٣٠٤ أصوات فقط.

بيدكوك: الرقم الحقيقي هو (١١٠٠) صوت. ولو كانت المساجد قد دعت المسلمين إلى

التصويت لصالحنا، لكنا قد حققنا فوزاً، ولكن القضية أنهم يصوتون للحظة. المشكلة أن الناس يحبون الاسلام، لكنهم لا يريدون أن يصبحوا مسلمين، وهذا نفاق. إن العدد الحقيقي للأصوات أن نسبة كبيرة من الأصوات جاءت من غير المسلمين. من المهم جداً أن ترى المسلمين جالسين في بيوتهم ولا يفعلون شيئاً لتغيير أوضاعهم. لماذا جاءوا من الهند أومن مكان آخر؟ ربما لأنهم يعتقدون أن هذه هي الجنة [قالها بالعربية]، ولكنها جهنم [بالعربية] التي أريد أن أخرج منها. نريد تغيير هذا الوضع، ولكنهم سعداء أنهم جاءوا إلى هنا ليستفيدوا. فهم يعتقدون أن هذه خدعة. فهم لا يستطيعون الرؤية عبر هذه الخدعة، لكننا نرى خلالها.

العلاقة مع الجالية المسلمة

- أنت تعزو المشكلة إلى خلفيتك لأنك أوربي وهم هنود أو باكستانيون. هل المشكلة في القومية؟

بيدكوك: كلا، المشكلة في الجهل لأنهم يعتقدون أنك تحب الاسلام، إذن لا يهم من تكون. القضية أنهم أتوا من جماعات قبلية، ويقال لهم صوتوا لهذا أو ذاك. فلو وضع لهم «حمارك» [تصغير حمار بالفارسية] وقال لهم أئمتهم أو قيادتهم: انتخبوه، فسينتخبونه. المشكلة أن المسلمين غير مهتمين بأنفسهم. فعلى سبيل المثال قضية كتاب سلمان رشدي (آيات شيطانية)، فقد ذهبت إلى المجلس في برادفورد، وقلت لهم: لا تحرقوا الكتاب لأن ذلك بالضبط ما يريدونه. ما الذي حدث؟ قاموا بحرق الكتاب، لأن كل واحد منهم يريد أن يظهر بأنه حامي الاسلام. لقد قلت لهم: ستكون كارثة. هؤلاء هم العلماء. فلو تجاهلوا ما حدث لما كانت النتيجة كارثة على الاسلام.

- إذن أنت اخترت المكان الخطأ، لماذا اخترت برادفورد؟

بيدكوك: و لم لا؟

- لأن فيها جو غير صديق لك. لقد قيل لهم: لا تصوتوا لحزبك، فالناس تكره حزبك.

بيدكوك: الناس لا تكرهه.

- هل تعتقد أنهم كانوا سيصوتون لك لو لم يقال لهم لا تصوتوا لحزب بيدكوك؟

بيدكوك: وبسبب هذه الفتوى وذلك الحكم كانوا سيصوتون للحمار. إنهم خائفون من العمل بشكل ايجابي تجاه أية فكرة يقال لهم أنها خطأ. لقد قالوا أن التصويت لحزب اسلامي تضييع للأصوات.

- هل كان الحزب مستعداً قبل الانتخابات؟ هل قمت بزيارة المساجد والمؤسسات الاسلامية،وتحدثت مع الناخبين؟

بيدكوك: نعم، فعلت ذلك.

- ماذا كان رد فعلهم؟

بيدكوك: كان الشباب يبدون اهتماماً كبيراً. كانوا يريدون منك التحدث لمن لا يفهم الانكليزية. هذه هي البداية،وكل شخص يفعل ذلك. أنت تعتقد أن هؤلاء الناس يقرأون القرآن، ثم تتحدث اليهم وتقول لهم: هذا برنامجنا، نريد تغيير هذا وذاك. سيفكرون به ثم يقولون: سنقوم بذلك.

- كمرشح في الانتخابات، هل كانت لديك خطة للتعامل مع الجالية المسلمة؟

بيدكوك: نعم، القضية هي كيف تعلم ماذا يقول الناس. كان المنافقون مع رسول الله (ص)، وكانوا يقولون له نحن معك، ثم يغيّرون رأيهم.

- فأنت تعتقد بأن المسلمين يثقون بك ولكن قيادتهم الدينية قالت لهم، فلم يصوتوا لك؟

بيدكوك: نعم، قبل قضية سلمان رشدي،كان المجلس في برادفورد قد وعد الناس بتخصيص أرض أكبر لانشاء سوبرماركت. فالسياسة كانت تقتضي ابقاء الناس في الشوارع وليس في المنازل. كانوا يريدون اظهار القوة وأن لديهم القدرة على الاخلال بالمدينة. تلك كانت أجندتهم. عند ذاك أدركنا أن القضية مجرد لعبة وأن الاسلام هو الضحية.

إن العمل على تغيير أفكار هؤلاء الناس قد يحتاج إلى سنين طويلة، حيث الحاجة إلى تعليم المسلمين. أرى أن الجيلين الثاني والثالث أكثر فهماً وادراكاً. على أية حال نحن قد صنعنا البداية.

- لو كان لديكم في الحزب فرع سياسي يهتم بالشباب المسلم، فلعله يساعدكم؟

بيدكوك: كلا، ليس لدينا ما تقترحه، ولكننا ندعى دائماً من قبل منظمات المسلمين الشباب، لمناقشة المشاكل الصعبة. فالمسلمين الذين ليسوا أعضاء في الحزب يطلبون منا التحدث في امور مثل الماسونية والربا أو حول نابليون. يطلبون منا الذهاب إلى الجمعيات الاسلامية البريطانية. أن واجبنا تقديم المساعدة. ربما لا نفوز، ربما لا نحقق شيء في المراحل الأولى. لكن يجب أن نبدأ بشيء صلب. نحن نبني الثقة، نبني مسلمين متعلمين سواء كانوا شيعة أو سنة، في لندن أو كارديف. نذهب أنا والسيد كين معاً كمسلم ومسيحي، رغم أنه ترابط غير عادي ولكنهم يدعمون الجهاد ضد الربا.

- هل بنيت علاقات مع الشخصيات القيادية المؤثرة في الجالية المسلمة؟

بيدكوك: بشكل رئيسي لدينا علاقات مع الجيل الشاب. وهناك امكانية لانشاء علاقات مع الجيل الثالث. ونعتقد بأنه الجيل المؤمل به، لأن الجيل الأول سيبقى هنا حتى سن التقاعد أو برما يعود إلى الباكستان أو بلده الأصلي. كل الذين تربوا في حزب العمال صار دينهم.

- هل للحزب فروع في بريطانيا؟

بيدكوك: كلا، إن المقر الرئيس للحزب يقع في (ميلتون كيم). والأشخاص الذين يعملون معنا

يدعون على سبيل المساعدة. لدينا أشخاص في شيفلد (السيد صاحب مستقيم)، وفي برمنغهام.

- هل لديكم علاقات مع النواب المسلمين في مجلس العموم البريطاني؟

بيدكوك: من أصدقائنا المقربين البارونة بولا الدين، فهي تحضر اجتماعاتنا في مجلس اللوردات والتي تناقش قضايا النقد.

- هل هم أناس متدينون أم فقط مسلمون بالاسم؟

بيدكوك: اللورد أحمد نظير متدين، ولكن هناك غير ذلك.

- هناك لورد آخر، وهو مصري،وهو البروفيسور منير شاهين.

بيدكوك: هناك آخر اسمه اللورد علي الذي يتعامل مع القناة الرابعة، مع المسلمين المثليين. لقد غيّر اسمه، وهو يعلن بأنه لورد مثلي الجنس.

- هل يوجد نواب مسلمون في مجلس العموم؟

بيدكوك: كلا، [دخل نائبان مسلمان في آخر انتخابات برلمانية في بريطانيا]

- في هولندا يوجد سبعة نواب مسلمين.

بيدكوك: يوجد في هولندا نظام انتخابي آخر.

الدولة الاسلامية

- أنت تدعو للديمقراطية، ولكن هناك من المسلمين الانكليز ممن يدعو للخلافة، فما رأيك؟

بيدكوك: الدعوة شيء والعمل والتطبيق شيء آخر. فلو علموا كيف تم تهديم الخلافة، لعرفوا كيف يعيدون بنائها. فالقضية هي كيف نفهم الوضع الذي وصلنا اليه اليوم. هذه رسالة من تشارلس هاردنغ من السفارة البريطانية في اسطنبول، توضح أن الانقلاب الذي أطاح بالخلافة عام ١٩٢٤ كان انقلاباً يهودياً، أي الماسونية. فقد كان مصطفى كمال عضوا فيها منذ عام ١٩٠٩.

هناك حديث للرسول (ص) يتنبأ فيه بسقوط الخلافة. يقول الحديث بأن سبعين ألفاً يبعثهم اسحاق، يهاجمون اسطنبول، لكنهم لن يقاتلوا بسلاح. يرفعون شعار "لا اله إلا الله" و "الله أكبر". وسيقولون ذلك ثلاث مرات فتفتح لهم. وسيدخلونها ويسيطرون عليها. ثم يقول: ويأتي بعضهم فيقول: الدجال قادم. في مشكاة المسعودي، يوجد حديث يقول: سيقع ذلك خلال ست سنوات من تلك الحادثة. سيكون الجهاد الأكبر. وبعد سنة واحدة من ظهور الدجال ستحدث مواجهة مع بيت عربي تسبب العداوة بين العرب.

هذه الحادثة تتحدث عن سبعة آلاف يهودي جاءوا من سالونيك بالضبط في ٨ تموز ١٩٠٨. وحسب المصادر البريطانية وبحسب مقالة من ١٦٠ صفحة وهي معي الآن، ذكرت جريدة

الماسونية في اكتوبر بأنه ٧٠ ألفاً من أبناء اليهود جاءوا إلى اسطنبول وسيطروا عليها. تقول السفارة البريطانية بأنها كانت ثورة يهودية. وفي الثورة البلشفية كان لنفس المجموعة وبنفس التمويل دور. هذه هي أسس الثورات الماسونية. ولكن من كان وراءها؟ انه ياكوب شيف المصرفي في وول ستريت. وما لم تفهم اللعبة لا يمكنك أن تربط بينها.

هذا الحديث تنبأ قبل تموز ١٩٠٨ عندما سقطت اسطنبول بأيدي ٧٠ ألف من أبناء اسحاق. بعد ست سنوات أي في تموز ١٩١٤. انظر إلى المسلة حيث سقط المجد في الحرب العظمى. بعد عام واحد أي في ١٩١٦ انظر إلى نشوء الدجال والثورة التي سميت بالبيت العربي والتي نشرت العداوة بين العرب. في ٩ تموز ١٩١٦ سقطت مكة بأيدي لورنس والقوات البريطانية. لورنس العرب أكد عصر الدجال،وبدأت الفتنة بين العرب منذ ذلك التاريخ، ولم يحل السلام بينهم. هذه النبوءة تتضمن رسالة واضحة. يجب أن نفهم كيف سقطت الخلافة. لقد كانت على يد السلطان عبد الحميد الذي كان يسيطر عليه مصرفي من سالونيك.

العودة للدينار الذهبي

- يدعو عمر ابراهيم فاديللو (اسباني اعتنق الاسلام) زعيم حركة المرابطين الأوربيين إلى العودة إلى الدينار الذهبي والتخلص من العملة الورقية التي يعتبرها أساس المشكلة الاقتصادية في العالم، فما رأيك؟

بيدكوك: إن فكرة العودة إلى العملة الذهبية تبدو فكرة رومانسية،ولكن متى ما أراد الناس تداول الذهب كمعيار ستكون هناك مشكلة دائمة. إذ أن طلب الناس على الذهب سيرفع من أسعاره. نحن لا نقول بأنه يجب أن لا يستخدم الذهب، سيكون ذلك جميلاً. إذا كنت تملك مالاً ذا قيمة متزايدة مثل الذهب، فسيحرص الناس على امتلاكه، وبالتالي سيخرج من التداول النقدي. وهذه الأشياء ليست مستهلكة، لذلك يجب التأكد من أن النقود متوفرة على الدوام، أينما هناك حاجة لها.

وهنا تدخل السيد كين ليحدثنا عن رأي الامام الغزالي بصدد النقود، فعقب بيدكوك قائلاً: نعم، قال الامام الغزالي: النقود لها قيمة حقيقية تهزم الأهداف. في كتابي الذي أنهيته للتو، ذكرت فيه أنه عندما تحدث ونستون تشرشل عن استخدام الذهب كمعيار قال بأنه كان سيذهب ليشنق رئيس بنك انكلترا Bank of England على نصيحته له باستخدام الذهب لأن ذلك سيدمر كل بريطانيا من أساسها. وذلك لأن الذهب مادة محدودة وكل شيء معتمد عليها. أولئك الذين يعززون قيمة الذهب هم اليهود الذين يسيطرون عليه أمثال روتشيلد وغيره. أولئك الذين يريدون السيطرة على العالم يرغبون بذلك من خلال شيء يستطيعون السيطرة عليه كالذهب.

- هل تأمل أن تقوم هنا دولة اسلامية في يوم ما؟

بيدكوك: نعم، بالطبع، ولكن لن نحققها ما لم نفهم الاسلام،وليس من خلال الصراعات والاغتيالات. نعم، يمكن أن تكون دولة اسلامية ولكن لن تتحقق ما لم يكن لدينا اقتصاداً اسلامياً أو اقتصاداً للنقود، أي نفهم كيف نخلق النقود وكيف نسيطر عليها.

تطبيق الشريعة الاسلامية

- ما رأيك بتطبيق الشريعة في أوربا؟

بيدكوك: يجب علينا تطبيق الشريعة، ولكن لا يمكن ذلك. فلو وضعت العربة أمام الحصان. ما لم تتمكن من تأسيس العدالة الاقتصادية، فلا يمكن قطع اليد، وهذا ممكن. عندما كنت في السودان للمشاركة في ندوة شارك فيها الدكتور حسن الترابي ومدير البنك المركزي السوداني، قلت: لو كانت هناك شريعة اسلامية لما كانت لدى أي منكما الآن يدان. لأنك اذا قطعت بعض هذه الأيدي، ستجبره على السرقة أو ارتكاب شيء ما. أنت أول من يجب أن يعاقب لأنه يجب عليك أن تتأكد من عدم وجود نقص في تجهيز كل شيء. هذه هي الشريعة الاسلامية، أي يجب أن يكون كل فرد مكتفياً، ولا يوجد أحد جائعاً أو محتاجاً. فهذه يجب أن تكون على رأس الأولويات. عندها سيكون كل فرد سعيداً إذا ما رأى أحداً يسرق. ان نتيجة الفعل تسبب المشاكل. فلو قمتم بحل هذه المشكلة أولاً، بعد ذلك يمكنكم تطبيق العقوبة. ولكن لا يمكنكم تطبيق العقوبة عندما تكونون أنتم السبب في المشاكل لأنكم لم تطبقوا كل فتاوى وأحكام العلماء.

- إذن لا يوجد لديك اعتراض على أصل العقوبات كالجلد وقطع اليد؟

بيدكوك: كلا، ولكن ستأتي هذه العقوبات كاستثناءات لأنه لو كان لديك عدالة اقتصادية، فلن يرغب الناس بالسرقة لأنهم مكتفون مادياً. فالقضية أن العقوبات تقع في آخر القائمة وليس في أولها. فليس من المعقول أن تفرض الشريعة وتطبق الحدود في جنوب السودان الفقير. إن ذلك خطأ لأنه يجب عليك أن تبدأ بالمبدأ الأول. كيف يمكن للإحتياطي الفيدرالي في نيويورك أن يعيّن رئيس البنك المركزي السوداني؟

المسلمون والقوانين الغربية

- هل تعتقد أنه من الأفضل للمسلمين في الغرب التقيد بالقوانين الغربية؟

بيدكوك: ليس لدينا خلاف مع العدل والحق، ولكن علينا واجب في معارضة الظلم. القوانين موجودة هنا، فإذا لم تعجب هذه القوانين البعض فعليهم الذهاب إلى مكان آخر. أنا أقبلها من

أجل البحث عن طرق تمكننا من دخول اللعبة مع السحرة. لقد دخلنا بصحبة حلول نقترحها، ولكن أن نقبل الأشياء دون أسئلة؟ كلا، لا يمكننا ذلك، ولا يمكن قول ذلك. يجب علينا أن نقر بوجود النظام. والاسلام كله نظام وأوامر. لذلك يجب علينا بناء الاسلام هنا.وهذا هو بناء الفطرة.

الحركات الاسلامية

- ما موقفك من الحركات الاسلامية في العالم الاسلامي؟

بيدكوك: أريد أن أرى واحدة.

- على سبيل المثال تلك الموجودة في الجزائر ومصر أو طالبان [أجري اللقاء قبل سقوط طالبان في اكتوبر ٢٠٠١]

بيدكوك: لقد ذهبت إلى مصر لحضور محاكمة بعض أعضاء الخوان المسلمين في محكمة عسكرية (في هايكستب). ذهبت باعتباري حزباً اسلامياً بصحبة قاضية انكليزية. لقد ذهبنا لمراقبة محاكمات الأخوان. لقد كانوا من ذوي الاختصاصات المهنية الرفيعة: أستاذ في الهندسة واستاذ في الأجنة وغير ذلك. هؤلاء ارهابيون! هؤلاء حاولوا تعليم الأطفال كيف يصلون. لو قرأت كتابات حسن البنا وجها البنا الذي ما زال حياً أو سيد قطب لرأيت أنهم كانوا متفهمين وليبراليين جيدين، وكذلك نجم الدين أربكان في تركيا.

أما طالبان فللأسف التقيت اشخاصاً أمثالهم في برادفورد. فهم يعطون للعالم صورة عن الاسلام مليئة بالتعصب والحماقة والسذاجة. هذا ليس من الحكمة بل من السفاهة. لماذا يحطمون التماثيل والآثار؟ هذه كارثة.

- لقد أدينوا من قبل علماء الاسلام كالشيخ يوسف القرضاوي وعلماء الأزهر.

بيدكوك: نعم، ولكنهم يبحثون عن شكل يظهرون فيه ثوريين جداً. إن الله تعالى يقول: ولا تسبوا ألهتهم. ولكن ماذا كسب طالبان؟ لاشيء.

- فقط مزيداً من الدعاية ضد الاسلام والمسلمين.

- ما موقف الحزب الاسلامي في بريطانيا من حزب الله اللبناني، حركتي الجهاد وحماس الفلسطينيتين المتهمة بالارهاب في حين تؤكد هذه الحركات انها تدافع عن أرضها؟

بيدكوك: أعتقد أن الفلسطينيين يمثلون أهمية خاصة. وهنا قم لي كتابه "أصوات شيطانية" قائلاً: هذه هي مساهمتي بهذه القضية. ان المشكلة هي الظلم. الحكومات في أغلبية دول العالم الاسلامي معهم لأننا نرغب دائماً في مصادرة الثروات. ولذلك تثور الشعوب ضدنا. أنها نتيجة

وطنية للظلم. إن أطول انتفاضة حدثت في ايرلندا. فلو شاهدت فلم مايكل كولن سترى أنهم مجبرون لأنه لا سبيل غيرها للمقاومة، كما يحدث في الشيشان. هذه مجرد أعراض اجتماعية، فالناس يصبحون عنيفين فقط عندما تفشل كل الطرق الأخرى. ما يقوم به الفلسطينيون يعود لما تفعله اسرائيل بهم. ومع ذلك فهم متهمون بالعداء للسامية. انها الدعاية الاسرائيلية.

في الجزائر تحدث مجازر لأن الناس أصيبت باحباط من الحكومة. هذه المجازر منظمة من قبل الجيش،وقسم من هذه اللعبة تمليه واشنطن. ويقف صندوق النقد الدولي وراء الكثير من هذه السياسات. ويجب محاكمة هنري كيسنجر كمجرم حرب. إذن من هم الارهابيون؟

الحزب الاسلامي والاعلام البريطاني

- هل أصدر الحزب بيانات توضح مواقفكم تجاه الأحداث؟

بيدكوك: نعم، ففيما يتعلق بتونس قدمنا أدلة على وجود التعذيب لدى المحكمة العليا في لندن. نحن متعاطفون جداً مع جميع الحركات لأن الحكومات جاهلة بالحلول. فهي تعتقد أنها بحاجة إلى استشارات، فهم بحاجة إلى أموال من الخارج. في الواقع هم لا يحتاجونها بل يعتقدون ذلك. على العموم هناك اعتقاد في الجامعات الغربية بأنه لا يوجد خيار آخر. ولكننا نعرف بالتأكد وجود خيار كامل. نحن نتطلع إلى فرصة لتنفيذ هذا الحل أو على الأقل نبين كيف يمكن تنفيذه.

- هل تُنشر هذه البيانات والتصريحات في وسائل الاعلام الغربية؟

بيدكوك: الصحافة لا تبدي رغبة بنشر بياناتنا. نقوم بنشر بياناتنا وتصريحاتنا في صحيفة الحزب (كومون سينس Common Sense). ونحن نسعى لنشر بياناتنا في الاعلام الغربي لكن للأسف نجد الاعلام الغربي مسيطر عليه من قبل جماعات صهيونية والتي تسيطر تقريباً على كل شيء.

وهنا تدخل السيد كين فقال: هذه المشكلة لا تخص المسلمين أو الأفكار الاسلامية فقط بل هي مشكلة كل الأفكار الراديكالية.

بيدكوك: لقد قيل لي اليوم بأن هناك مسعى لانشاء رابطة ضد تشويه صورة العرب Anti-Deformation League في لندن.لقد استلمت ايميل حول التعامل مع الدعاية السوداء ضد العرب أو الاسلام، وخاصة الفلسطينيين. هذا صراع حقيقي مع العدو من أجل كسب الجولة. ولدينا مؤيدون كثيرون من جماعة شاحاك الاسرائيلية. وهناك أشخاص أمثال نعوم تشومسكي [باحث أمريكي معروف] ممن يتحدثون لصالح المسلمين والعرب. يتحدثون لصالح العدل، فالمعركة من أجل العدل.

- هل لديك اتصالات مع الاعلام البريطاني؟

بيدكوك: نعم، وحتى الصحافة العربية تكرر ما تقوله BBC أو وكالة رويتر لأن هناك خوف من دعوة من ينتقدون أو يحملون وجهات نظر مستقلة.

العلاقة مع الاعلام الاسلامي والمراكز الاسلامية

- هل تحدثت مع أية فضائية عربية؟

بيدكوك: نعم تحدثت مع قناة الجزيرة في برنامج خاص حول الماسونية الذي قدمه يسري فودة. كما تحدثنا إلى قناة جديدة في دبي تدعى (طيبة). وهناك تبادل وجهات نظر ولكن الاعلام يركز على القضايا الحادة. أعتقد أن شبكة الانترنت هي المفتاح لمخاطبة الناس وايصال آرائك اليهم.

- توجد في لندن العديد من المراكز الاسلامية. لقد سألت هناك عن بيدكوك فلم يعرفه أحد. هل لديك علاقات مع هذه المؤسسات؟ على سبيل المثال نجلس الآن في مؤسسة دار الاسلام،ولديها نشاطات متنوعة كما تقام فيها صلاة الجمعة.

بيدكوك: حسناً، لدينا اتصالات مع المركز الاسلامي في انكلترا الذي يرأسه الشيخ محسن الأراكي. كما أنني أعرف سعيد العاملي. لقد ترأست عدداً من الدورات. غالبية المسلمين يعملون ضمن جماعات صغيرة، ولا يبدون اهتماماً لما يحدث حولهم.

- أعتقد أنه عليك المحافظة على اتصالاتك معهم بغض النظر عن لونهم أو قوميتهم من أجل بناء علاقات جيدة. أنت بحاجة إلى قاعدة جماهيرية اسلامية تدعم حزبك في الانتخابات وتشارك في برامجه.

بيدكوك: نعم، قد يكون ذلك هو الجيل الجديد. لدينا ٢٥ عاماً تأتي وتذهب فيها جماعات إلى بريطانيا وخاصة من الطلاب.

نشاطات فكرية

- هل تقوم بالقاء محاضرات؟

بيدكوك: نعم حول الاقتصاد وقضايا أخرى.

- زميلك في الحزب السيد صاحب مستقيم [ألماني اعتنق الاسلام] مشغول بترجمة القرآن.

بيدكوك: نعم، هو يعمل في هذا الموضوع.

- ماذا يريد أن يقول فيه؟ وماذا سيضيف؟ هل هي ترجمة جديدة؟

بيدكوك: هو يجيد الانكليزية والعربية والألمانية. يريد أن يفعل شيئاً ذا صلة بالعصر الحالي،وخاصة فيما يتعلق بألفاظ اللغة. الكثيرون يسعون لنقل أفكار الكتاب المقدس،ولكنه يفسر بالانكليزية والألمانية والعربية. وهو جيد في هذا الجانب. هناك العديد من الترجمات ولكنه يعتقد أن هناك

حاجة لترجمة أخرى. لقد شاهدت ما قام به.

- هل لديكم مركز تديرون من خلاله نشاطاتكم؟

بيدكوك: كلا، ليس لدينا مركزاً، نحن «مسافرون» [قالها بالعربية]. يمكننا الحصول على مركز ولكن لو بنيت مركزاً فستقع في الديون،أعليك سدادها. نحن نعمل ما نقدر عليه، والفائدة هي أننا نقدر على نشر ما نريده ونتحدث مع أناس كثيرين قدر الامكان.

- هل تحب أن تضيف شيئاً قبل انتهاء اللقاء؟

بيدكوك: اننا نرى أن المشكلة الرئيسية تعود إلى النقود. وكل المناقشات الأخرى لن تكون ذات جدوى ما لم نحل هذه المشكلة. فهي القضية الكبرى التي لا يمكننا تجاهلها. إن الرسالة التي يهدف الحزب الاسلامي إلى نشرها هي ضرورة معالجة مشكلة الربا باعتبارها العدو رقم واحد. لا توجد قضية أخرى، فالنقاش حول التوحيد، ونحن نعرف النقاش. نحن نعرف المناقشات حول فرس الامام الحسين وهل كان أبيض أم أسود.

عندما ذهب رسول الله (ص) إلى المدينة، قال: لا يمكننا العمل في هذا السوق. يجب علينا ان نؤسس سوقاً اسلامياً حقيقياً أو سوقاً مبني على مبادئ اسلامية حقيقية. فإذا لم نفعل ذلك لن نصل إلى أي شيء. سنذهب إلى «زبد البحر» [قالها بالعربية].

- أنت تركّز على المحور الاقتصادي والسوق.

بيدكوك: كلا، لأنه هو المفتاح.

عبد الواحد فان بومل
من عازف إلى إمام مسجد

بطاقة شخصية

عبدالواحد: اسمي عبد الواحد، وهو اسمي بعد اعتناقي الاسلام قبل ٢٣ عاماً. اسمي السابق هو واوتر Wouter. وعندما اسلمت اقترح علي بعض الأصدقاء اسماً جلب لي المتاعب في المحيط الاجتماعي. فقد اعتقدوا أنه اسم (واحد) يبدأ أيضاً بحرف الواو مثل اسمي السابق (واوتر). ولكن بعض الأصدقاء العرب قالوا لي لا يمكنك حمل هذا الاسم أي (واحد) لأنه أحد أسماء الله. ولذلك اقترحوا علي اضافة كلمة (عبد) فصار عبد الواحد.

ولدت في ١٦ نيسان ١٩٤٤ في أمستردام. أنا أكبر الأولاد حيث لي أخوين وأخت واحدة. متزوج من سيدة أندونيسية ولدي بنتان متزوجتان، ولديهما أبناء، فأنا اليوم جد.

أول لقاء بالاسلام

- كيف كان أول لقاء لك بالاسلام؟

عبدالواحد: كان أول لقاء لي بالاسلام في المدرسة. فقد كان لي صديق في المدرسة الابتدائية يدعى ناصيف. كان مسلماً من ماليزيا. اللقاء الثاني بالاسلام كان في المدرسة الثانوية. لقد قرأت عن الاسلام ضمن درس الديانات المقرر في المنهج الدراسي الهولندي. كان معلم الدين قساً من الكنيسة. وكان الكتاب المدرسي يتحدث عن الدينات الخمس العالمية المختلفة، أي الاسلام والمسيحية واليهودية والبوذية والهندوسية. كانت هذه أول اتصالي بالاسلام. لقد كانت معلومات بسيطة عن الاسلام.

أما أول تجربة حقيقية لي في التعرف على المعنى الفكري للإسلام فقد كان خلال محاضرة ألقاها واعظ باكستاني في أمستردام، حضرها مجموعة من الطلاب. كنت آنذاك في الثامنة عشر من عمري. في مقدمة محاضرته قام الخطيب بتأصيل العلاقة بين الماكرو Macro أي العالم الكبير والميكرو Micro أي العالم الصغير. وتطرق إلى ما ورد في القرآن بهذا الصدد حيث يقول تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" (فصلت: ٥٣). لقد ترك في نفسي انطباعاً كبيراً لأنني قبل تلك المحاضرة كنت أفكر في داخلي حول هذا الموضوع، أي العلاقة بين الماكرو والميكرو. لقد كانت نوعاً من الصدمة لي لأن يكون مثل هذا الشيء موجوداً في الاسلام والذي كانت لدي أفكاراً حوله.

لقد استغرقت مني خمس سنوات حتى وصلت إلى استنتاج بأن الاسلام هو طريقي. خلال تلك الأيام، اعتنق أحد أصدقائي الاسلام وتزوج بفتاة أندونيسية. دعيت إلى حفل الزواج في منزله، فمكثت ثلاثة أشهر كضيف لأنني كنت مهتماً بالحياة الاجتماعية للأندونيسيين. بعد ذلك كنت عضوا في مجموعة من الناس تقوم بقراءة الأدعية. بعد ذلك وفي مراسم بسيطة نطقت بالشهادتين فصرت مسلماً.

دراسة العلوم الاسلامية

- ثم سافرت إلى تركيا لتعميق معرفتك بالاسلام. لماذا درست في تركيا وما هي ظروف سفرك اليها؟

عبدالواحد: أثناء ترددي على أحد المساجد في لاهاي، اقترح علي بعض الأخوة بأنه ما دام قد أصبحت مسلماً، فيجب أن تترك كل شيء هنا وتذهب لدراسة الاسلام. وقد اقتنعت بالفكرة بعد وقت قصير من التفكير، لم أكن متزوجاً، فلذلك لا توجد لدي ارتباطات تشكل لي مشكلة. قمت ببيع كتبي وآلاتي الموسيقية لأنني كنت عازفاً، ثم بدأت بممارسة عمل لعدة أشهر كي أجمع المال اللازم للسفر. لقد كنت أنوي السفر إلى دمشق لأن بعض أصدقائي كانوا يدرسون هناك. ولكن لم أتمكن من الحصول على الفيزا لأن حرب عام ١٩٧٦ قد شاركت فيها سوريا واسرائيل. ولم يمنحني السوريون الفيزا لأنني هولندي، ولم أتمكن من اثبات أنني مسلم، كما أنني لا أتحدث أية لغة اسلامية، لا تركية ولا عربية. لذلك لم أستطع اثبات من أكون. ولذلك قررت السفر إلى تركيا والدراسة فيها. التحقت بمدرسة دينية تقليدية لتعليم الأئمة. ودرست فيها لمدة أربع سنوات.

- أين كانت هذه المدرسة؟

عبدالواحد: في اسطنبول.

- ما هي المواد التي تدرس فيها؟

عبدالواحد: كانت مناهج دراسية تقليدية، أو ما تدعى بال «أوراق صفراء»، تبدأ بقواعد اللغة العربية كالنحو والصرف. كانت مدرسة داخلية، أي ندرس وننام فيها. كما ان الكثير من طلابها كانوا في نفس الوقت يدرسون في الجامعات. فبامكانهم المبيت فيها ومتابعة دراساتهم الجامعية اضافة إلى تعلمهم العلوم الاسلامية واللغة العربية. وكانوا يحتاجونني بسبب اجادتي الانكليزية. كانت الدراسة فيها باللغة التركية وبالطبع العربية. ولذلك أتقنت التركية لأنها لغة الحياة اليومية.

العودة إلى هولندا

- متى عدت إلى هولندا؟

عبدالواحد: عدت عام ١٩٧١، وقد دعاني الاتراك في هولندا منذ عودتي من اسطنبول للعمل معهم. لقد كانوا اجتماعيين جداً، وكانوا بحاجة إلي من أجل عمل شيء للاحتياجات الاسلامية. لم يكن هناك أي مسجد للمغاربة أو الأتراك في ذلك الوقت. لذلك بدأنا العمل في بناية خالية كانت تعود لدائرة الضمان الاجتماعي. لقد أعطيت لمدة سنتين للجالية التركية، أخذنا الطابق العلوي وجعلناه قاعة للصلاة. وكنت أقوم بتعليم الأطفال المسلمين، كما كنت امام الجمعة.

- كيف وأين بدأت نشاطك الاسلامي؟

عبدالواحد: بدأت باقامة صلاة الجمعة في مدينة أوتريخت حيث كنا نصلي في بناية قديمة تقع إلى جانب محطة القطارات المركزية. كانت قاعة الصلاة تقع في سوق كبير. كنت ألقي الخطبة بالتركية. في ذلك كانت غالبية المسلمين من الجالية التركية. وكانوا جماعة واحدة تدعى المدرسة القرآنية السليمانية. أما الآن فتوجد جماعات مختلفة ذات أرضيات أيديولوجية مختلفة.

أول منظمة اسلامية في هولندا

- هل تحدثنا عن بداية العمل الاسلامي المؤسساتي؟

عبدالواحد: بعد أن أمضيت أربع سنوات في العمل داخل الجالية التركية، بدا واضحاً أن هناك حاجة لمؤسسة ترعى احتياجات المسلمين بصورة عامة، وللمسائل الاجتماعية واقامة حوار مع المجتمع الهولندي وخاصة مع المسيحيين. في عام ١٩٧٤ بدأنا بالاستعدادات لانشاء فيدرالية المنظمات الاسلامية في هولندا The Federation of Muslim Organizations in the Netherlands والتي تختصر باسم FOMON. وبدأت نشاطها عام ١٩٧٥ ولغاية عام ١٩٨٠. وخلال السنتين الأوليين أصبحت رئيساً لها. وقد تم انتخابي لهذا المنصب عبر عملية انتخابية شارك فيها الأعضاء. في يوم الانتخابات كنت قد تزوجت في اليوم السابق، ولذلك لم أحضر الانتخابات ولكنهم انتخبوني وأنا غائب. فلم يكن باستطاعتي الرفض. بعد سنتين تم انتخاب شخص آخر، كان مصرياً. لقد كان ذو صفات جيدة، وبقي ثلاث سنوات يمارس دوره في المؤسسة من عام ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨٠. وخلال تلك الفترة كنت أعمل بوظيفة سكرتير للمؤسسة، وأستلم راتباً منها.

- هل كانت الفيدرالية تضم كل الجماعات المسلمة أم اقتصرت على الأتراك فقط؟

عبدالواحد: لقد ضمن جميع المسلمين: مغاربة، أندونيسيين، سوريناميين، وأتراك. عندما بدأنا العمل كانت هناك ١٧ جماعة. وعندما تركتها كانت هناك ٥٥ جمعية ومنظمة.

مكاسب للجالية المسلمة

- حدثنا عن أهم النشاطات التي قمت بها خلال السنتين التي كنت فيها رئيساً للفيدرالية. ماذا قدمت للمسلمين؟

عبدالواحد: في ذلك الوقت كنا نعمل في الخطوط العامة. آنذاك كانت قضية ذبح الحيوانات على الطريقة الاسلامية مطروحة. وقد استطعنا حلها.

- هل تعني أنكم حصلتم على اجازة لتأسيس مراكز لذبح الحيوانات وفق الشريعة الاسلامية؟

عبدالواحد: كلا، بل كنا طوال تلك الفترة على اتصال ونقاش مع الوزارة. لقد كتبنا رسائل حول أوضاع المسلمين في الجيش والسجون والمستشفيات حيث هم بحاجة إلى تناول اللحم الحلال في هذه المؤسسات. كما بدأنا نطالب بانشاء مقابر اسلامية. بعد ذلك جرى قبولنا كطرف مفوض عن المسلمين لمناقشة هذه الأمور مع بعض الموظفين من الوزارات. ثم بدأنا اجراء محادثات مع وزارة الصحة ووزارة الزراعة. قلنا لهم بأنه يجب اضافة المسلمين في القوانين الهولندية. وبسبب وجود رخصة رسمية لليهود في ذبح الحيوانات حسب الشريعة اليهودية، كان يجب اضافة كلمة (اسلامية) لعبارة الذبح الشعائري Ritual slaughter إلى القانون. وقد قبلوا ذلك.

- متى سمح بالذبح الاسلامي لأول مرة في هولندا؟

عبدالواحد: كان في عام ١٩٧٧ بصدور قرار من وزارة الزراعة.

- إذن حققتم نجاحاً في ذلك؟

عبدالواحد: ليس ذلك فقط، ولكن في انشاء مقابر اسلامية أيضاً. لقد نجحنا في الحصول على قطعة أرض كمقبرة للمسلمين، لأن هناك مشكلة في هولندا الصغيرة الحجم، في الحصول على أرض. لم نفلح في الحصول على مقبرة مستقلة للمسلمين ولكن في الحصول على أرض مخصصة للمسلمين في المقابر المسيحية الموجودة. لقد بدأنا في مدن أوتريخت وروتردام ولاهاي. مسؤلو المقابر المسيحية يفضلون الأشخاص الذين يوصون بحرق جثثهم لوجود نقص كبير في الأراضي في هولندا. وكانت هناك مناقشات طويلة مع الأطراف المسؤولة،والمسلمون يريدون تغيير القانون. في هذه النقطة حققنا نجاحاً. فقد تم تغيير القانون لصالح المسلمين والهندوس. باستطاعة المسلمين دفن موتاهم بلا تابوت،ويمكن دفنهم حسب رغبتهم وباتجاه القبلة. كما

يمكنهم اقامة المراسم الخاصة كالتغسيل والتكفين والصلاة على الميت في هذه المقابر. هناك مشكلة واحدة بقيت دون حل وهي المقابر الدائمة. لقد طالبنا بانشاء مقابر دائمة للمسلمين، ولكن قيل لنا: كلا، لدينا تقاليد بأن يتم ازالة القبور كل عشر سنوات أو عشرين سنة. [هناك مفاوضات مع شركات التأمين على الوفاة والجنائز بانشاء مقابر دائمة للمسلمين مشابهة لمقابر اليهود في هولندا].

- لقد قمنا في الجمعية الثقافية العراقية في دوردريخت بالتفاوض مع شركة (ياردن Yarden Uitvaartzorg) للدفن، ووعدونا بتأسيس مقبرة دائمة للمسلمين، حيث ستكون أقساطها لشهرية أكثر قليلاً من الدفن في المقابر المؤقتة.

عبدالواحد: حقاً؟ لم أسمع بذلك. لقد كنت أتابع هذه المسألة بين عام ١٩٧٥ و١٩٨٠.

- حدثني عن بقية نشاطاتك كالقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات والمؤتمرات.

عبدالواحد: لقد كان ذلك عملي. بعد أن أسسنا الفيدرالية افتتحنا البناية للجالية المسلمة في أوتريخت في الأول من حزيران ١٩٨٠. دعونا جميع الجالية المسلمة، ومن كافة المذاهب. كما حضر الحفل مجموعة من السفراء المسلمين والوزراء والصحفيين.

بعد ذلك قررت ترك الفيدرالية وتوجيه الاهتمام كلياً نحو المعلومات. خلال السنوات الخمس التي أمضيتها في الفيدرالية، وجدنا أن من أهم الأمور في هولندا هي تزويد الناس بالمعلومات عن الاسلام، ومن وجهة نظر المسلمين لأن ذلك لم يكن موجوداً من قبل. وخلال عملي في الفيدرالية نجحنا في بعض البرامج على القناة الأولى. لقد أعطينا معلومات عن الاسلام.وفي نفس الوقت بدأنا باصدار مجلتنا الاسلامية عام ١٩٧٧، في البداية سميناها (نشرة المعلومات Information Bulletin) وفي عام ١٩٨٠ بدأنا باصدار مجلة (قبلة Qibla).

تأسيس مركز المعلومات الاسلامي

- حدثني عن ظروف تأسيس مركز المعلومات الاسلامي The Muslim Information Center في لاهاي!

عبدالواحد: بعد أن غادرنا الفيدرالية أعطينا المسؤولين هناك كل شيء: النظام الداخلي والتسجيل لدى كاتب العدل. وذلك كي نتجنب انفاق بعض الأموال على هذه القضايا الاجرائية، لكنهم رفضوا وقالوا: لا نريده. ولذلك استخدمنا نفس الرخصة والنظام الداخلي لتغيير الاسم، فأسسنا مركز المعلومات الاسلامي. لقد كان لدينا بضعة أعضاء في اللجنة الادارية، كانوا معنا أيضاً في الفيدرالية وهم أربعة أشخاص

١ -محمد حسين شمسي (باكستاني)
٢ - عبد القيوم بودو (سورينامي)
٣- رفيق أحمد فريس (هولندي مسلم)
٤ - ابراهيم سبالبيرغ (سورينامي مسلم).

بدأنا العمل بخمسة أشخاص، فاشترينا بناية بأموالنا الخاصة. إذ لم نطلب مالاً من أي شخص. عندما أسسنا الفيدرالية طلبنا من السفارة السعودية مساعدة مالية، فقيل لنا: انها مبادرة جيدة، وسنعطيكم مالاً بعد ثلاث أو أربع سنوات. اشترينا في البداية دكاناً في الطابق الأرضي، ثم ازداد نشاطنا فاشترينا البناية الصغيرة كلها. طلبنا من السيد أحمد الحلو وهو مصري، وكان عضوا في اللجنة، وكان نشطاً. كما طلبنا من سفيان سيرغا الذي صار سكرتيراً. لقد كنا اول موظفين في المركز، أحمد وسفيان وأنا. لقد كنا نستلم رواتب شهرية من السعودية باعتبارنا دعاة.

- هل كان أحمد الحلو ممثلاً لرابطة العالم الاسلامي في هولندا؟

عبدالواحد: نعم.

- هل كان هو الرابط بينكم وبين السفارة السعودية في لاهاي؟

عبدالواحد: كلا، في ذلك الوقت على الأقل. لقد بدأنا العمل معاً في نفس الوقت. وكان أول واحد هو سفيان الذي درس في الرياض وحصل على شهادة الماجستير.

- من أي بلد هو؟

عبدالواحد: من أندونيسيا. لم يكن يعمل للرابطة بل لدار الافتاء التي يشرف عليها الشيخ بن باز. أنا وأحمد الحلو أسسنا فرع الرابطة. هذه كانت بداية العمل في مركز المعلومات الاسلامي. لقد كانت بداية جيدة لأننا نحن الثلاثة صرفنا كل الوقت لنشر وطباعة المعلومات، ومن ضمنها مجلة القبلة.

- ماذا كان منصبك في المركز؟ هل كنت المدير أم السكرتير؟

عبدالواحد: لم يكن لدينا هيئة تنفيذية هرمية، بل كنا نقوم بكل ما يتطلبه منا العمل والحاجة. كنا في نفس المستوى الوظيفي، فكلنا داعية.

- هل يقدم المركز خدماته لغير المسلمين؟

عبدالواحد: لقد كانت خدماتنا واضحة منذ البداية وهي ان نقوم بما لا تقوم به المساجد. فالمساجد لا اتصال لها مع المجتمع الهولندي، ونحن أردنا أن نقوم بهذا الواجب. إن مهمتنا كانت في بناء جسور لاتصال بين المجتمع الهولندي والجالية المسلمة. بذلنا ما استطعنا وحسب

امكاناتنا. قمنا بعقد اجتماعات وندوات، ونظمنا حوارات مع الكنيسة. وخلال خمس سنوات كان لدينا مخيم سنوي للشباب المسلم.

- أين كان ذلك؟

عبدالواحد: في جنوب هولندا، في بناية أحد مراكز المؤتمرات لأنه من الصعب اقامة معسكر من الخيم لأن الجو في هولندا ممطر في اكثر الأحيان. دعونا الشباب للمشاركة في المخيم الذي كان يستغرق سبعة أيام.

- ما طبيعة المواضيع التي كنتم تناقشونها في المخيمات؟

عبدالواحد: خصص أحد المخيمات فقط لقضايا السيرة النبوية.

- هل شاركت شخصياً في القاء محاضرات فيه؟

عبدالواحد: نعم

مجلة «قِبلة»

- أصدرت مجلة قبلة باللغة الهولندية، لماذا وكيف توصلت إلى هذه الفكرة؟ هل كانت هناك حاجة للتواصل مع غير المسلمين؟

عبدالواحد: نعم، تتضمن مجلة قبلة جانبين: الأول يمتثل في الاتصال بالمجتمع الهولندي قدر الامكان.والثاني أنها تخاطب المسلمين الناطقين بالهولندية. وعندما تقول المسلمين الناطقين بالهولندية تعني أولئك الذين صارت الهولندية لغتهم الأم، وهم الأجيال القادمة من المسلمين. وكذلك الهولنديين المسلمين والذين يقدر عددهم بحوالي خمسة إلى ستة آلاف مسلم هولندي، عندما بدأنا اصدار القبلة. أما اليوم فقد صاروا أكثر بسبب زيادة جيل الشباب. كما يوجد لدينا مجاميع أخرى تهتم بالاسلام كالمستشرقين والمدرسين وموظفي الشؤون الاجتماعية. لم يزد عدد المشتركين عندنا على ألف مشترك بسبب عدم وجود ثقافة قراءة حقيقية بين المسلمين، ولا تزال هذه الظاهرة موجودة حيث لا توجد ثقافة نقاش أو طرح أسئلة وغيرها. ولذلك كانت لدينا بعض المواضيع التي تستمر في الظهور على مدى عدة أعداد مثل الحديث النبوي ورياض الصالحين، علماً بأن المجلة كانت فصلية.

- تبدو المجلة بالنسبة لي لا تختلف كثيراً عن أية مجلة تقليدية تصدر في العالم الاسلامي. إذ لم تتضمن تطوير رؤية جديدة بين الجالية المسلمة في هولندا.

عبدالواحد: كلا، ليس حقيقة. فمن جانب كانت تقليدية. ولو كانت متطورة، فقد سارت خطوة بعد خطوة، قليلاً جداً. لقد كنا نسير في خط رئيسي هو: ماذا يقول الاسلام بصدد الأخلاق

الطبية، ما رأي الاسلام بالاعلام وغير ذلك. كانت تذهب مرتين للاعلام والمؤتمرات. لم تكن مؤتمرات المسلمين تتضمن تقدماً في الاعلام. فقد كانت تدار من قبل السعوديين وأمثالهم. كانوا يريدون ابقاء الأشياء كما يحبون. عندما قرروا انشاء مركز اعلامي دولي كي يزود المعلومات من وجهة نظر اسلامية، قرروا أن يقيموه في مكة. لقد كان أكثر القرارات حماقة لأنه لن يقوم بشيء. فلو قمت بأي نشاط في مكة فسيبقى محدوداً هناك،

- هل تعني أن السعوديين كانوا يتدخلون في عملك، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر من خلال أحمد الحلو وسفيان لأنهما كانا يعملان للسعوديين، ويقبضان رواتبهما منهم.

عبدالواحد: نعم

تداعيات قضية سلمان رشدي في الساحة الهولندية

- ما هو فهمكم لقضية التواصل بين الجالية المسلمة والمجتمع الهولندي من خلال قضية رشدي؟

عبدالواحد: كنا نفكر بالجالية الاسلامية. فإذا كان الاسلام دين الحق فلديه فضاء واسع لفهم كل شيء يتعلق بالانسان. عندما يكون الاسلام حقيقة، فلا تقدر أن تهاجمه لأنك لا تقدر أن تهاجم الله والحقيقة، لأن الله والحقيقة موجودان إلى الأبد. إذن ماذا بامكاننا ان نفعل؟ لا يمكن أن تبقى مجرد مثقف صغير أو فنان. يمكنك أن تمنحه جائزة نوبل أو جائزة الكتاب من بين كل البشر، ولكن لا يمكن لأي شخص حتى لو كان رئيس الدولة أن يهاجم الاسلام بطريقة ما وتكون هي النهاية للإسلام. هذا يشابه موقف عبد المطلب جد النبي (ص) عندما قال لجيش أبرهة الذي هاجم مكة بالفيلة: أريد أن أسترجع ابلي، والله يحمي بيته وكعبته.

- ألا تعتقد أن مثل هذا الموقف سيقطع علاقتك بالجالية المسلمة، خاصة أن موقفك يبدو عليه عدم الاهتمام بمن يهاجم الاسلام؟

عبدالواحد: كلا.

- هل كان موقفك مفهوماً من قبل الجالية في ذلك الوقت؟

عبدالواحد: جزئياً، وليس كل الجالية. لقد ذهبت إلى قادة الجالية التركية، ولم يكونوا مهتمين على الاطلاق لتصريحاتي. قالوا لي: في تركيا رأينا الكثير من أمثال رشدي يأتون ويذهبون.

- إذن فقد كانت لديهم خبرة بمثل هذه القضايا.

عبدالواحد: نعم، كانت لديهم تجارب سابقة. قالوا: لدينا أتاتورك و «رشديون» كثيرون. فما قلت به ليس مشكلة حقيقية، إذ لدينا نقاشات حول العلمانية والقيم الاسلامية طوال الوقت في تركيا. فلم تكن هناك مشكلة بالنسبة للأتراك، لكن الأطراف التي كانت غاضبة جداً من وجهة

نظري هم المغاربة والسوريناميون. لقد دعوني للحضور إلى (المسجد الكبير) في أمستردام حيث طلبوا مني شرح وجهة نظري تجاه الموقف من كتاب سلمان رشدي. استعنت بمترجم لترجمة بعض ما لم يكن باستطاعتي فهمه، لأنه كان يستطيع التحدث بالعربية والبربرية. ثم شرحت لهم ما كنت قد صرحت به لوسائل الاعلام الهولندية، وأحب الآن أن أشرح لك وجهة نظري هذه:

هناك الكثيرون مثلي ممن يؤمن بأن الاسلام الدين الحق، والدين الحق لا يوجد بواسطة قبول أو عدم قبول البشر. فمهما فعل الانسان أو لم يفعل، يبقى الاسلام لأنه مبدأ الهي. انه حركة في الكون. بالطبع يمكنك أن توجه الاهانة لانسان ثم تطلب المغفرة أو تشكوه عند القاضي. في معاملاتنا [قالها بالعربية] أو العلاقات الاجتماعية والتجارية وغيرها مما يطلق عليه حق الحقوق [قالها بالعربية] المتعلقة بالناس [قالها بالعربية] فهذا صحيح، ولكن هذا شيء معاقب عليه. فاذا أساء كاتب ما إلى النبي، فيجب محاكمة الكاتب أمام القاضي، أو يطلب منه غير ذلك. كان يجب محاكمة رشدي من قاضي أو المسلمين في لندن. لقد نطق بالشهادتين، ثم بعد شهر قال: (أنا لا أؤمن بالاسلام. انهم ما يزالون يريدون قتلي). أنا أعني بذلك الطريقة التي يتصرف بها الانسان.

- إن وجهة نظرك غير مبنية على أساس فقهي، ولكن هناك بعض علماء الاسلام من يرى أن عقوبة المرتد ليست في هذه الدنيا بل في الحياة الآخرة. فأنت توصلت إلى ما يرونه دون أن تعلم. وهناك فقهاء آخرون يرون أنه يجب قتل المرتد. في حين يرى آخرون ترك العقوبة إلى الله تعالى. لماذا تعتمد على تفسيرك الشخصي في امور حساسة كهذه؟

عبدالواحد: لأن تفسير الشريعة لا يحظى باهتمامي على الاطلاق. لقد ذكرت لك من قبل بأنني خلال حياتي كمسلم، من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٦، أثناء دراستي العلوم الاسلامية في اسطنبول، كنت أصارع فيها المفردات اللغوية للإسلام، المفردات الفقهية، مفردات الحكمة [قالها بالعربية]، مفردات الفلسفة الاسلامية. ومنذ عام ١٩٧١ وحتى عام ١٩٧٦، كنت في هولندا، في تلك الفترة كنت أفكر: سوف لن أستطيع ترجمة المبادئ الاسلامية بمعناها الحقيقي إلى اللغة الهولندية. سوف لا أتمكن من ذلك لأنها تتضمن معان مختلفة تماماً بحيث لا يمكنني ادراجها في الثقافة الهولندية. فهذه ثقافة علمانية تتضمن انكاراً لكثير من قيم الدين بشكل عام، وتتركه خارج الثقافة: أي مجتمع ليبرالي ديمقراطي، وقليل أو كثير من المسيحية. ولا توجد لدينا مفردات دينية تجعل المفردات الاسلامية مفهومة. كان هذا رأيي في ذلك الوقت. في عام ١٩٧٦ اكتسب أول خبرة وأدعوها بحجر الأساس لخبراتي. سافرت إلى لندن، حيث دعيت من قبل المجلس الاسلامي في أوربا باعتباري ممثلاً عن المسلمين الهولنديين. التقيت هناك بالعديد من

المفكرين الكبار في العالم الاسلامي. لقد كنت بصحبتهم طوال عشرة أيام في فندق الهيلتون.

- هل كان المؤتمر لمعتنقي الاسلام الجدد؟

عبدالواحد: كلا، جاءوا من كل مكان. لقد كان ذلك جزءً من نشاط هو المهرجان الاسلامي. قام باعداد المهرجان أحمد كيلور (باول كيلور سابقاً) المفكر الجيد. وكان يعمل في المعرض العالمي. لقد جعلوا لندن معبئة بنشاط مع المهرجان الاسلامي. وفي نفس العام كان قد انتهى انتاج فلم (الرسالة) الشهير. وتم عرض الفلم لأول مرة في المهرجان الاسلامي. وكان هناك متحف للفنون الاسلامية كالخط والسجاد وفنون أخرى قدمت من أنحاء العالم الاسلامي. وكان حفل الافتتاح ضخماً في قاعة ألبرت هول في لندن. عندها استيقظ المسلمون أنفسهم. يستيقظ المسلمون دائماً بعد أن يصبح العالم الغربي مهتماً بالاسلام: ما هذا؟ ما هذا؟ ماذا تفعلون؟ الاسلام! الاسلام لي! يستيقظون فجأة وينظرون حولهم وتبدأ الأقوال: حرام أن تقول مهرجان اسلامي لأنه لدينا عيدان فقط هما عيد الفطر وعيد الأضحى. بدأت هذه العبارات تأتي من أناس ذي عقلية غبية وضيقة. لقد قام (المجلس الاسلامي في أوربا) و(المؤسسة الاسلامية في ليستر) معاً بالاعداد والتخطيط لفعالية هامة للمسلمين. لقد مثل المهرجان بالنسبة لي منعطفاً كبيراً، بحيث أعتبره حجر الأساس في حياتي. طوال عشرة أيام التقيت فيها بمفكرين، وسمعت الكثير حول مختلف القضايا كالفلسفة الاسلامية، العقائد، كيف توضح الاسلام للغرب باللغة الانكليزية، وغيرها.

التجربة الأخرى هي قضية سلمان رشدي وإلى حد ما فتوى الخميني بقتله. لقد كانت هذه القضية حجر أساس في حياتي لأنني للمرة الأولى اعتقد بأن الشريعة تمثل طريقة تفكير لمسلمين معينين، وأن طريقة تفكير المفتي حول هذا النوع من المشاكل لدى الجالية المسلمة المقيمة في الغرب بأنها ليست وفق الاسلام نفسه.

- أو أن تكون مقبولة في الغرب.

عبدالواحد: كلا، كلا، لا يوجد في الغرب مقبول أو غير مقبول.

- لأنها تخلق مشاكل للجالية المسلمة في الغرب، لأنه ليس في الدول الاسلامية مشاكل من وجود أمثال هذه الآراء، بل لا توجد مشاكل في الاسلام تماماً. أما هنا في الغرب فلدينا مشاكل، فنحن دائماً في وضع دفاعي.

عبدالواحد: كلا، ما تقوله الآن هو الوضع المستقر السائد في العالم الاسلامي. فالمسلم يذهب من بيته إلى عمله، يأكل ويشرب الشاي، يذهب إلى المسجد، لا يريد أي شيء أن يتغيّر، فهو مسلم جيد؛ دعنا نكون اخوان؛ دعنا نكون معاً. أما ما جاء به الاسلام إلى العالم فهي رسالة مختلفة تماماً.

- أنت لا تبني رأيك على أساس شرعي أو نص أو فقه، بل يمثل ذلك تفسيرك الشخصي ورؤيتك الخاصة للشريعة. أنت تؤمن بأنه يجب أن لا نولي اهتماماً بأمثال رشدي أو غيرهم. فهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً للإسلام، فهو رسالة مقدسة لا تتأثر بأمثال هؤلاء الأفراد. فلا يمكن اهانة الاسلام أو مهاجمته من قبل أمثال هؤلاء الأشخاص. ألا تبدو هذه نظرة براغماتية، فأنت تعيش في الغرب وأمثال هذه الفتاوى تشكل عوائق ضد تكيف الاسلام في البيئة الغربية.

عبدالواحد: هذه براغماتية. أنت داعية ويجب أن تنطلق في دعوتك. وعندما توجد عوائق أمام الدعوة فهي تأتي عبر حماقات عبد العزيز بن باز. هل النوع من التفكير ليس حقيقة تماماً. وتنطبق أيضاً في العالم الاسلامي. الآن بعد أن ذهب بن باز، فقد اختاروا رجلاً أعمى مكانه. واحد من شروط المفتي في السعودية هو أن يكون أعمى.

- هل تعلم أن بن باز لديه فتوى يرى فيها أن الأرض مسطحة وليست كروية؟

عبدالواحد: نعم، عندما تعتبر أن الاسلام هو عبارة عن مجموعة فتاوى وفقه وتفقه وأصول، فأنت تحصره في أقل من ١٠٪ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وهذا يعني أن الاسلام هو محكمة للعدالة، فكل الاسلام الذي تفكر به هو محكمة للعدل. عندما ترى شخصاً يفعل الخطأ أو يقول الخطأ فأنت تريد أن تضعه أمام العدالة. وجد هذا النوع من الاسلام بعد قرن.

في هذه اللحظة أعتقد أن معظم المسلمين الذين التقيتهم لا يفهمون محمداً، ليس لأنني مغرور، فأنا لا أقول ذلك لأنني مغرور، بل لأنني رأيت أمثال هؤلاء الناس. هناك الكثير من السعوديين يعتقدون أنهم من عائلة النبي (ص)، وأنهم أناس مقدسون. وأنهم يمشون على أرض مقدسة في الصحراء العربية. فهذا كله هراء تماماً. بهذه هي الطريقة يدمرون الاسلام. وهذا ليس في صالح الغرب أو الدعوة في الغرب أو لصالح المسلمين في الغرب الذين يعيشون كأقلية، ولكن ليس لصالح كل المسلمين في العالم. هذا النمط من التفكير هو بمثابة قتل للإسلام.

نحن هنا في الغرب وظيفتنا الرئيسية هي محاكمة الآخرين، ولكننا لا نحاكم أنفسنا. لأننا نعرف أفضل. وهذا هام جداً لكل المسلمين في العالم، ليس لأنني أقول ذلك، فأنا لست مهماً، بل انها ثمن العقيدة. انها ثمن النظرة الصوفية للإسلام. إنها ثمن الأخلاق. نحن كمسلمين لم نوجد مناقشة أخلاقية كونية حول البيئة والاقتصاد وحقوق الانسان. فنحن غير موجودين. طوال كل هذا الوقت، لدينا عالم واحد في الفيزياء استطاع أن يحصل على جائزة نوبل، وهو باكستاني ومن طائفة الأحمدية. فجأة رأينا العالم السني يثور ضد الأحمدية، وحرّموا عليه زيارة الكعبة، ليقولوا بزهو: نحن مسلمون!

- هذا نفاق.

عبدالواحد: أعني أن هذا ما يجري في العالم الاسلامي، فنحن لسنا هناك. ونحن لا نشارك في النقاشات العالمية والحوار العالمي والسياسية العالمية أو الأمم المتحدة أو في أي مكان آخر لأنهم يرون المسلمين يعيشون في مفارقة تاريخية، يعيشون في زمن آخر، يلبسون عمائم، يصلون،. كثير من الناس لا يعرف أن للإسلام علوم ولديه منظومة أخلاقية، ولديه فلسفة اسلامية. في الواقع ان ابن رشد يحظى باهتمام كثير بالغ أوربا والأوربيين أنفسهم. إنهم لا يعرفون بكل ذلك لأن لا أحد يكتب أو يعيد عرض ذلك النوع من الاسلام للغرب. نعم يوجد تقديم للإسلام من خلال ذهاب فلاحين إلى المساجد وهم غاضبون طوال الوقت. وجميع ما يحدث يكون انفعالي، فيجب ان تكون انفعالي. هذه هي الصورة التي تعاد طوال الزمن، وتظل تتكرر وتتكرر. هذه هي المشكلة الحقيقية التي يظهر فيها فقط فقه الاسلام وأحكام الاسلام، ولا نبين فيها اسلام «الرحمن» واسلام «الرحيم» [قالها بالعربية]. فنحن لم نبين اسلام الحب، اسلام «الودود»، لم نظهر للعالم العقل الاسلامي لعظماء العلماء والقادة المسلمين. هذه هي مشكلتي مع هذا النوع من الناس. [يستخدم عبد الواحد تعابير صوفية تعكس توجهه وخلفيته الصوفية]

تأسيس مجلس المسلمين الهولنديين

- أنت من الشخصيات المعروفة بين المسلمين الهولنديين، أرجو أن تحدثنا عن ظروف تأسيس مجلس المسلمين الهولنديين!

عبدالواحد: خلال قضية سلمان رشدي شكلنا لجنة صغيرة تدعى «اللجنة الاسلامية».وقد اختاروني كي أكون ناطقاً باسم اللجنة أمام الاعلام الهولندي. وبعد أن انتهت قضية رشدي، رأينا أنه من الضروري أن نجتمع سوية لأننا منذ عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٨٩ لم يكن لدينا أية منظمة أو اتحاد أو ما يشابه ذلك. قمنا بعقد خمسة أو سبعة اجتماعات تمهيدية، ثم قمنا بتدوين نظام داخلي لاطار اسلامي جديد سميناه «المجلس الاسلامي الهولندي Dutch Muslim Council". وفجأة قامت الجاليات الكبرى في هولندا وهي التركية والمغربية والسورينامية بتشكيل اطار عمل جديد دون مشاركتنا فقالوا لنا: لقد شكلنا "المجلس الاسلامي لهولندا Islamic Council of the Netherlands "،ولدينا مؤتمر صحفي. كان ذلك أول مجلس والذي تألف من المجموعات الثلاث الكبرى وهي التركية التي تخضع لوزارة (ديانت) التابعة للحكومة التركية، المغربية التي تخضع للحكومة المغربية والممثلة بالسيد الشروطي والسيد البوجوبي، والسورينامية. وكلها تمثل الاسلام الرسمي أو الحكومي للدول القادمة منها. لقد أسسوا مجلساً دون مشاركة المسلمين الهولنديين.

أما نحن فقد مضينا في مبادرتنا وقمنا بتأسيس المجلس الاسلامي الهولندي Dutch Muslim Council (NMR Nederlands Moslim Raad) كمجلس ثاني لأنهم لم يرغبوا في دخولنا المجلس الأول. لقد كان مجلسنا يضم جاليات مسلمة عديدة كالارتيريين والبوسنيين والصوماليين وجماعات أخرى. في عام ١٩٩٢ تركت عملي في مجلس المعلومات الاسلامي The Muslim Information Center وكنت أبحث عن عمل لأن لا أحد يدفع لي. كما أن دائرة الشؤون الاجتماعية رفضت دفع راتب العاطل عن العمل لأنهم طالما رأوني في الاعلام، وكما أنني أنشر مقالات فقالوا لي: أنت تعمل، فأنت ليس عاطلاً عن العمل وتبحث عن عمل.

في الفترة بين شتاء ١٩٩٢ و١٩٩٣، كانت هناك مناقشات حول تأسيس محطة اذاعية اسلامية Islamitische Omroep Stichting (IOS)، لم تكن المحطة تعمل بكفاءة وذلك بسبب تصادم الجماعات التي تديرها. وكنت أتحدث عن عدم كفاءتها،وأخذت تنتشر وجهة نظري ووجهات نظر المنظمات الاسلامية حول المحطة. ووصلتهم تلك الآراء فقالوا: دعونا نرى ماذا يمكننا أن نفعل. ثم قرروا جعل ادارة المحطة بيد المجلس الاسلامي الهولندي. في ذلك الصيف ذهبت إلى أندونيسيا لزيارة عائلة زوجتي، مع زوجتي وأطفالي. بعد أن رجعت قالوا لي: هل تريد أن تكون مديراً لمحطة الاذاعة؟ فأنت لديك خبرة في مجلة "قبلة"،ولذلك بامكانك ادارة المحطة.

- من هم الذين قالوا لك ذلك؟

عبدالواحد: رئيس وسكرتير المجلس الاسلامي الهولندي. لقد صرت مديراً لمدة سنة واحدة فقط، ثم جاء آخرون.

- هل كانوا من المسلمين الهولنديين؟

عبدالواحد: كلا، كانوا مغاربة وسوريناميين.

- هل كنت أنت المدير الهولندي الوحيد؟

عبدالواحد: كلا، كانت ساجدة عبد الستار وشخص آخر لا أتذكر اسمه.

- ثم أصبحت مديراً للمحطة الاسلامية، وسأعود لهذا الموضوع فيما بعد.

عبدالواحد: في شهر سبتمبر منحوني العمل لمدة أربع سنوات (١٩٩٣-١٩٩٧). لقد كان عملاً رائعاً.

نشاطات أخرى

- أريد أن تحدثني عما قدمه المسلمون الهولنديون للجالية المسلمة في هولندا. هل شاركتم في المنظمات والادارة وغيرها؟

عبدالواحد: نعم، حدثتك عن تأسيس الفيدرالية. لقد كافحنا من أجل اشياء كثيرة مثلاً المحافظة

على استمرار عمل المحطة لتخدم الجالية المسلمة. لقد كانت لدينا نشاطات أخرى مثل اصدار بيانات وتصريحات وردود أفعال حول الاسلام في الاعلام. كنا نكتب بعض التقارير حول بعض القضايا. وطالبنا بتأسيس «دكان المعلومات» في مدينة ليدن. طلبنا من بعض الناس كتابة تقارير حول التناقضات في حقوق المسلمين. لقد كان عملاً نظرياً، لم يصبح المجلس الاسلامي الهولندي حياً أبداً، ولا منظمة حماسية حقيقية. لقد كان من الصعب جمع كل تلك المجموعات سوية، عدة عرقيات مختلفة، وبسبب البيئة الثقافية كان كثير منهم يواجهون صعوبات في وضعهم الاجتماعي الخاص، وصعوبات مع المجتمع حولهم. لقد كان المجلس غير منظم، فالاجتماعات غير منتظمة، وكل شيء غير منتظم. لقد كانت استلام المجلس المحطة أعجوبة،

التمييز العنصري

- فيما يتعلق بتعيينك مديراً لمحطة الاذاعة، هل تعتقد أن ذلك يعود إلى مهارتك ولغتك الهولندية؟ أم أنك كنت مقبولاً لدى مختلف الجاليات؟

عبدالواحد: لقد كان هناك نوعاً من التحول في طريقة التفكير حول كيفية تمثيل الاسلام. لقد كانت هناك نقاشات حولي،وحول شخصيتي، والطريقة التي نشطت فيها اثناء قضية رشدي، وكل هذه الأشياء التي صرحت بها للصحف في تلك الفترة،وكيفية دفاعي عن نفسي أمام المنظمات الاسلامية في المسجد الكبير، الخ. كان رئيس المجلس هو السيد مادّو ولفترة طويلة. وهو من سورينام. قال لي: لم نكن موافقين على الطريقة التي عالجت بها قضية رشدي لأننا ما زلنا نشعر بألم الاهانة. لقد كانت تلك مشكلة. ونحن لا نريدك رئيساً. وعلمت فيما بعد أن بعض المنظمات تركت المجلس بسبب وجودي فيه. وكانت تجري نقاشات من خلف ظهري، ثم اقتنعوا بقولهم: نحن نريده رئيساً لأننا يجب أن نتعامل مع المجتمع الهولندي، وهذا ما لا نستطيعه.

- هل اعتقدت أن لديهم شعور بأن ولاءك قليل للإسلام؟ أو بسبب لفارق الاثني أي «نحن» و«أنتم»؟

عبدالواحد: الجماعة الوحيدة التي وقفت ضدي هم فرقة (بريلوي)، ففي الهند توجد فرقتان أو مذهبان هما البريلوي واليوبندي. الديوبندي أقرب للوهابية، ومنهم حركة طالبان. أما البريلوي فكانوا أقرب إلى عبادة النبي. فهم يعتبرون عيد المولد النبوي أكبر من عيد الفطر وعيد الأضحى.

- هل تعرضت لتمييز عنصري من قبل الجالية الاسلامية؟

عبدالواحد: نعم، أكثر الجاليات التي تمارس التمييز ضدي هم المغاربة، فهم لا يحبونني على الاطلاق.

- هل يعود ذلك إلى سبب عرقي أو بسبب فكرك الليبرالي؟

عبدالواحد: لقد بدأ بقضية تمثيلي للمسلمين عام ١٩٧٥. فقد طلب مني تمثيل المسلمين في مؤتمر المساجد في مكة. وكانت مع الحضور هدية أداء العمرة في رمضان. وهو عمل يرغب به كل واحد. كانت كلفة التذاكر والاقامة على حساب السعوديين. في ذلك الوقت بدأ همس يدور بين المغاربة بأن عبد الواحد صار مسلماً كي يتعامل مع الأثرياء العرب. وهذه الفكرة تظهر للعلن بين حين وآخر. لقد كان تمييزاً ضدي.

- ولكن السعوديون كانوا يدفعون لك راتباً في وقت ما. فالاتهام لم يكن بلا أرضية.

عبدالواحد: قد أعمل بوظيفة، ومن الطبيعي أن أتقاضى راتباً عليها. ولم تكن هناك هدايا أو مبالغ من الأموال، بل كان مجرد راتب.

- هل تعتقد أن ذلك يعود إلى كونك كنت مقرباً جداً من الأتراك أكثر من المغاربة، لذلك درست في تركيا وتتحدث اللغة التركية؟

عبدالواحد: نعم.

- ألا يعود أيضاً إلى المنافسة بين الجاليتين؟

عبدالواحد: كلا، لم يكن لذلك علاقة بالموضوع. من أهم معالم شخصية المغاربة من الأصل البربري هو الوهم [قالها بالعربية]. فهم لا يثقون بأي شخص، فهذه هي عقليتهم. وهي عقلية "الريف" وجبال الريف. لست منزعجاً من ذلك. على العموم، أعتقد أن حياتي داخل الاسلام هي حياة مليئة جداً. لقد اغتنيت بالخبرات، سلبية أو ايجابية، فهي دائماً تجارب غنية.

الاذاعة الاسلامية في هولندا NMO

- تعتبر محطة الاذاعة الاسلامية في هولندا أول تجربة في أوربا من نوعها. فعدا الخمسة عشر دقيقة التي يخصصها راديو النمسا للمسلمين، لا يوجد أي برنامج خاص للمسلمين في الغرب. وترجع التجربة النمساوية إلى زمن كانت فيه البوسنة جزءً من الامبراطورية النمساوية والتي اعترفت بالاسلام رسمياً. وعندما تأسست الدولة النمساوية الحديثة لم تلغ اعترافها بالاسلام. أما في هولندا فتعتبر مبادرة الدولة بتخصيص برامج تلفزيونية واذاعية للمسلمين مبادرة قيمة. حالياً هناك برنامج تلفزيوني أسبوعي مدته ساعة يذاع يوم الأحد ظهراً ثم يعاد يوم الجمعة. وهناك برامج اذاعية اسلامية بالعربية والتركية والهولندية. هذه البرامج تخاطب المسلمين وغير المسلمين وتتلقى دعماً مالياً من الحكومة الهولندية. ما هي رسالة هذه المحطة الاسلامية؟ وما هي نوعية البرامج التي تبثها؟

عبدالواحد: كانت أولى الصعوبات التي واجهناها هي تأسيس فلسفة للبث الاذاعي والتلفزيوني

الاسلامي لأنك في بلد يتحد كل فرد لغة مختلفة غير لغة السكان المحليين أي الهولندية. فغالبية المسلمين يتحدثون لغاتهم الخاصة. ولذلك كانت لدينا مشكلة دائمة في الترجمة. عندما يكون البرنامج بالهولندية فيجب وضع ترجمة مباشرة بالعربية والتركية أسفل الشاشة. هذه مشكلة واحدة طوال الوقت،وهي ترمز لمشكلتنا في اللغات والثقافات. عندما تقوم باعداد برنامج للمسلمين، تعرف أن المشاهدين الهولنديين سيشاهدونه أيضاً. كنا نبحث عما يسمى في الاعلام بالجماعة المستهدفة Target Group أي الجماعة التي نخاطبها في برامجنا بحيث ترضي كل فرد منها إلى حد ما. فهذه كانت مشكلتنا الرئيسية. و على تلك الحقيقة المركزية يجب أن نؤسس فلسفتنا وسياستنا. كنا نرى أن هناك مجموعة واحدة مستوفية كل الشروط وهي الجيل الثاني من المسلمين. فهم يتحدثون الهولندية، ونشأوا وترعرعوا في هذا المجتمع. وهم أكثر وعياً بالمجتمع الهولندي وبثقافتهم من الجيل الأول لأن الجيل الأول واعون بأنفسهم فقط. فهم لا يعلمون أين هم، إذ تراهم يعيشون هنا لكن قلوبهم مشدودة إلى تركيا. فالجيل الثاني يمثلون المجموعة المستهدفة في برامجنا. إذ نعد البرامج لهم بحيث يدركون أنهم أقلية مسلمة تعيش في مجتمع مسيحي أو علماني، وأن عليهم أن يتعاملوا مع هذا المجتمع. وقد سعينا بأن تكون برامجنا تلائم هذا النوع من التفكير قليلاً أو كثيراً. كان لدينا برنامج حواري يدعى "مرحبا" يقدمه مغربي يدعى أحمد أبو طالب. فهو الذي يدير الحوار بين المشاركين والحاضرين. وهو صحفي خبير ولديه شبكة علاقات قوية. وقد قاد بتقديم البرنامج عدة سنوات.

- كان قد سبقه برنامج مشابه اسمه "جواز" وكان يقدمه مغربي يدعى نجيب.

عبدالواحد: كان ذلك شخصاً آخر. أما أبو طالب فكان مديراً لمركز "فوروم" الثقافي. كما يعمل مستشاراً لوزارتي الاقتصاد والصحة. وقد طلبت منه أن يقوم بتقديم البرنامج. وهو رجل معتدل، فلم تكن لديه معرفة دينية كبيرة، لكنه على اطلاع على الثقافات وأسئلة الناس التعليمية.

- هل كان مسلماً ملتزماً؟

عبدالواحد: كلا، هو رجل نظري، يحب الثقافة ولكن غير ملتزم بالأحكام الدينية رغم أن والده امام مسجد تقليدي. ووالده يمارس العلاج بالأدعية حيث يتردد عليه بعض الناس فيشفيهم.

هذا البرنامج كان موجهاً للجيل الثاني. سعينا لطرح مواضيع ذات أهمية بالنسبة للشباب،وهي موضع النقاش والأسئلة دائماً. كان ذلك توهنا الرئيسي في التفكير. أما هل أفلحنا في ذلك أم لا، فأعتقد أننا نجحنا أحياناً وأخفقنا أحياناً. لقد عرضنا سلسلة طويلة حول الاسلام والتحديث. تناول البرنامج قضايا مثل كيفية تعاطي الاسلام مع الحداثة، مشكلة التحديث، العلمانية والعلوم. وتألف من ثمانية برامج وأربعة مناقشات. وقد أنهينا السلسلة بمناقشات هامة مع

البروفيسور فان كوننكزفيلد وأربعة متخصصين من جنسيات مختلفة مثل الدكتورة رفعت حسن من الباكستان والدكتور حسن حنفي من مصر ومحمد آيدن من تركيا وعلي كيتاني من المغرب. لقد كان برنامجاً ناجحاً.

- بعض البرامج كانت تعرض الشعائر الاسلامية كالصوم والحج والزكاة وصلاة العيد، اضافة إلى التاريخ الاسلامي.

عبدالواحد: هناك مواضيع تقليدية كانت تعرضها المحطة.

- هل كان للمحطة هدف دعوي أي دعوة غير المسلمين للاسلام؟

عبدالواحد: بصور وأخرى، كنا نسعى أن يكون الاسلام جذاباً، وكان الصعوبة التي نواجهها دائماً هي ايجاد شخص يتحدث عن الاسلام بطريقة جذابة، طريقة حكيمة، وأسلوب تحظى باعجاب المستمع أو المشاهد. من الصعوبة أن تجد مسلماً يستطيع ذلك. كان عندنا معماري مصري اسمه محمود يتمكن من تفسير القرآن بطريقة جيدة. وكان لديه اطلاع واسع حول التفسير. وكان يقدم تفسيراً قصيراً في ثلاث دقائق فقط. أما اليوم فنظر ما يفعلونه في البرنامج الاسلامي في التلفزيون: يشغلون شريطاً يتضمن تجويد عبد الباسط عبد الصمد، دون أن يعلموا مضمون الآيات القرآنية، فلا أحد يهتم. المهم أنهم يعرضون تجويد آيات القرآن دون معرفة ما بها، ترافقها عروض في الخط العربي للنص القرآني مكتوبة بطريقة مائية وملونة.

- لقد ارتكبوا خطأ فظيعاً أثناء بث آيات قرآنية يوم ١٤ سبتمبر ٢٠٠١ عندما ظهرت آيات قرآنية تتحدث عن الكفار الذي يكونون حطب جهنم. الأمر الذي أثار الرأي العام الهولندي والاعلام والمسؤولين الحكوميين الذين اعتبروه استفزازاً لمشاعر الناس الحزينة على ضحايا برجي التجارة في نيويورك.

عبدالواحد: نعم، لقد خلقوا مشاكل، لأنهم اعتادوا على بث آيات قرآنية بصورة آلية دون الالتفات إلى المعنى والمناسبة والظرف. وما كان يجب أن يحدث مثل ذلك.

- من الذي يقوم بوضع سياسة NMO؟ أنت كنت مديراً لها،وكنت تقترح الأفكار والبرامج، ألا كنت تناقش هذه المقترحات مع آخرين قبل تحولها إلى برامج؟

عبدالواحد: أنا لا أقول أن الطريقة التي كنت أعمل بها كانت كاملة. أنا أيضا كان لدي نقد على طريقة عملي،ولكن كانت لدي نوع من نظام الشورى، أي طريقة ديمقراطية. كل يوم اثنين، من الساعة ٩٠٠ إلى ١٢,٠٠ ظهراً، كان لدينا اجتماع نناقش فيه خطط البرامج وموادها المواضيع التي تتناولها.

- هل كانت اجتماعات مفتوحة؟

عبدالواحد: نعم، كانت اجتماعات مفتوحة. نناقش فيها البرامج والمشاكل، وما نستطيع القيام به

وما لا نستطيع، وكنا نناقش برامج الراديو وبرامج التلفزيون. وكنا نقوم بتقييم البرامج، ما هو الجيد،وما هو غير الجيد. وكل واحد يعطي رأيه، كانت هناك صعوبة في ايجاد أشخاص يمثلون كل نوعيات المسلمين من الذين بامكانهم أن يزودوننا برأي أو تعليق أونصيحة فيما يجب أن نفعله. لم ننجح في ذلك وهو أمر صعب.

بداية عمل المحطة NMO وتأسيس سياسة وفلسفة للعمل الاعلامي كان باشراف مدير هو هينك يورغنس. والذي كان يقدم لي مساعدة كبيرة. ثم كان لدينا اشخاصاً كانوا يعملون من قبل مع الأجانب (غير الهولنديين) فقاموا باعداد بعض البرامج. وكان لدينا فريق خبير من المسلمين أنفسهم. في ذلك الوقت كنت أشبه بدكتاتور حيث كنت أضغط عليهم للسير في العمل والتنفيذ، والتفكير في اتجاه معين.

بعد ثلاث سنوات كلفتني عملي ومشاكل جمة لأنهم اعتقدوا بأنني أريد تنفيذ أفكاري الشخصية. وهم يريدون العمل بأسلوب آخر.

- أنا أعرف أن النظام الداخلي للمحطة NMO ينص على أن المحطة لا تسير بتوجيه أي مذهب الاسلامي. فهل تحقق ذلك في الواقع أم اقتصرت على مذهب معين؟

عبدالواحد: كنا نسعى بأن نكون حياديين في ذلك. وحتى أنه كانت لدينا مشكلة مع العلويين الأتراك، حول المعلومات العلوية، حول الشيعة وحول السنة. كانت لدينا كل هذه الأطياف وسعينا للمحافظة على الحيادية، ولكن أيدينا كانت مقيدة. وإلى الآن ما زال المشرفون على المحطة يرتكبون أخطاء كبيرة. وأجد أحياناً أن بعض البرامج ممل. أجدهم يواجهون نفس المواكل التي واجهتها وهي ايجاد مسلم يستطيع التحدث أو التفكير بحيوية. المسلمون بصورة عامة لا يمتلكون خبرة كبيرة في صناعة الأفلام والتلفزيون والاعلام. لقد تعلموا هذه المهنة هنا. ولذلك تسوء الحالة يوماً بعد آخر. أحياناً يحالفنا النجاح قليلاً ولكن لم نضع في بالنا قضية المذهب،ولذلك أعتقد أنه لا يوجد مذهب بعينه يهيمن على توجه المحطة ويؤثر في صنع القرار تجاه ما يجب عمله أو ما يجب الامتناع عنه. هذا حسب علمي.

- اللجنة الادارية التي تشرف على سياسة المحطة هم من المغاربة والأتراك والسوريناميين. ولكن هناك جاليات أخرى مثلاً العراقيين الذين يبلغ عددهم أربعين ألف نسمة. وهناك أعداد كبيرة من المسلمين الشيعة كالعراقيين والايرانيين والباكستانيين والأتراك. وكل هؤلاء يجري تجاهلهم في المحطة. ربما شاهدت برنامج أو برنامجين يتناول الفكر الشيعي حيث كان هناك لقاء مع امام مسجد شيعي في لاهاي. لماذا لا يوجد اهتمام بهذه الجماعة؟ وحتى في التقارير التي تعدها محطة NMO في البلدان الاسلامية تبقى تركز على البلدان السنية فقط وتتجاهل البلدان الشيعية كالعراق وايران ولبنان. أعتقد أنه لا يوجد توازن في تقديم كل ألوان الطيف الاسلامي.

عبدالواحد: هذه حقيقة.

- لقد اتهمت بأنك متورط في ضياع شريط فيديو لبرنامج كان يجري اعداده ويناقش قضية الشذوذ الجنسي في الاسلام، وأنك كنت تمانع في بث البرنامج. ما ردك على ذلك؟

عبدالواحد: هذه القصة هي التي رواها الاعلام الهولندي.

- إذن قل لي القصة الحقيقية!

عبدالواحد: هذه حجج يراد الصاقها بي، ولو لم يجدوها لقالوا لديه أخطاء جنسية أو مالية أو يشرب الخمر.

- هل كنت موافقاً على بث البرنامج؟

عبدالواحد: نعم.

- لقد قام أحدهم بسرقة الشريط في مرحلة المونتاج.

عبدالواحد: لا أعرف من الذي قام بهذا الفعل. أعني أنني لست الشخص الذي يفعل مثل هذه الأشياء. أنا لم أسرق شيئاً أبداً. وأنا لا أذهب إلى مبنى المحطة وأسرق شيئاً.

- هل كنت ما زلت في عملك في ذلك الوقت، أي عند ضياع الشريط؟

عبدالواحد: كلا، كنت قد أنهيت عقد عملي مع المحطة. ولم أدخل المحطة بعد ذلك مطلقاً.

- إذن لم تكن مسؤولاً عن أي شيء.

عبدالواحد: نعم، لم أكن داخل المحطة أبداً، في يوم ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٧ لم أعد أعمل في المحطة. وبقوا يدفعون راتبي حتى يروا ما سيحدث. لقد قمت باعداد هذا البرنامج من قبل، وكنت أنا الذي أجرى اللقاءات مع المتحدثين فيه. كان هناك برنامجان: الأول حول الجنس عموماً، والآخر حول الشذوذ الجنسي. لقد دعونا أشخاصاً مثل حسن عسكري، وهو عالم هندي من حيدر آباد، والدكتور زكي بدوي، وهو استاذ جامعي في لندن، و مالك بدري وهو طبيب نفسي سوداني. وأنا أجريت لقاء مع هؤلاء الثلاثة وبالانكليزية، حول الجنس والشذوذ الجنسي ولكن لم يتم بث البرنامج أبداً.

- أنت تتحدث عن جماعة وتقول: هم فعلوا، هم قالوا، فممن هم؟

عبدالواحد: الناس الآخرين الذين قرروا ما يجب فعله أو ما لا يجب فعله.

- هل هم مديري المحطة الذين جاءوا بعدك؟ كل كانت السيدة ساجدة عبد الستار واحدة منهم؟

عبدالواحد: ساجدة لم تصبح مديرة للمحطة، ولكنها كانت تقوم بأعمال كبيرة. لقد اتهمتني بأنني سرقت الكاسيت في الوقت الذي تعرفني هي منذ وقت طويل. لقد جاء مدير آخر بعدي، وكان غير مسلم. لقد رفضوا بث أي برنامج يظهر فيه وجهي.

الاسلام والشذوذ الجنسي

- لقد وُجّه نقد شديد لذلك البرنامج. لقد قاموا باستضافة شخص من سوريا يدعى عمر نحاس الذي يقدم نفسه بأنه شاذ جنسياً. وعندما يدافع عن وجهة نظره يستعين بنصوص قرآنية تتناول قضية الشذوذ الجنسي ويقوم بتفسيرها بطريقة تخالف الموقف المعروف للإسلام من قضية الشذوذ الجنسي أي الحرمة.

عبدالواحد: كلا، هو لا يقول ذلك. أنا أعرفه جيداً. لقد أعددت برنامجاً في الماضي مع شبكة الاذاعة الاسلامية Islamitische Omroep Stichting (IOS) أي قبل محطة NMO، كان البث لمدة خمسة عشر دقيقة في التلفزيون وساعة واحدة في الاذاعة. طلبوا مني أن أحكي قصص للأطفال، وكان يقدم نفسه على أنه قاص حكايات. لدينا العديد من القصاصين أمثال حكيم فريدي وعمر نحاس. كان يحكي قصصاً للأطفال بأسلوب مشوق. لقد تعرفت عليه في تلك الفترة. فيما يتعلق بالبرنامج فلم يتم بثه أبداً. لذلك لم يكن هناك نقاش حول الجنس والشذوذ الجنسي لأنه لم يره أحد.

- كلا، تم عرض البرنامج من خلال شريط في مرحلة المونتاج.

عبدالواحد: انه ليس برنامجي، ولعل مسؤولي المحطة أرادوا الظهور بمظهر الليبرالية فقاموا بعرض ذلك البرنامج. لم أكن المسلم الليبرالي الوحيد الذي كان يريد التحدث حول الشذوذ الجنسي، بل هم أكثر ليبرالية مني، وأرادوا أن يظهروا ذلك للمجتمع الهولندي، فقاموا بعرض برنامج جديد حول الموضوع. لقد دعوا عمر نحاس وآخرين إلى البرنامج.

- ما هو موقفك الشخصي من الشذوذ الجنسي؟ هل تشجعه في المجتمع؟

عبدالواحد: كلا، موقفي واضح جداً. لقد أجريت مقابلة حول هذا الأمر، وأعددت برنامجاً عنه. لقد تحدثت في التلفزيون الهولندي فقلت: يجب أن نكون صريحين في هذا الموضوع. فهو محرم في القرآن، وهذا واضح. إن (مؤسسة يوسف) [للمسلمين الشاذين جنسياً] التي يديرها عمر نحاس تقول أنه حرام.

- ومعاقب عليه.

عبدالواحد: نعم، معاقب عليه. عمر نحاس لا ينكر الآيات القرآنية السبع التي تتناول موضوع الشذوذ الجنسي. وحتى عندما يلقي محاضرات، يتحدث عنه باعتباره أمراً محرماً في القرآن. لقد كتب كتاباً حوله، وأنا كتبت له المقدمة. إنه كتاب جديد نشرته دار نشر بولاق قبل شهر واحد. إذا كنت تقول بأن الشذوذ الجنسي شيء معاقب عليه وممنوع، وأنه ليس من الصحيح أخلاقياً ممارسته، فيجب أن لا ترمي الانسان الذي عنده هذه النزعة في النار. فهو ما يزال انساناً ويجب

التعامل معه لأنه على سبيل المثال: لو لم تتعامل معه كما يفعل المسلمون حالياً أي ينكرونه، فيجب أن تنكر وجود الأيدز على سبيل المثال. كيف تتعامل معه إذا كنت تنكره تماماً أن هذا الشخص مريض أو لديه هكذا مرض؟ فأنت تضع نفسك في وضع مستحيل لأنك تنكر ما يحدث للبشر، وهو ينتقل بينهم. ماذا ستفعل؟ نحن كجالية مسلمة علينا أن نناقش هذا الأمر علناً، وأن نتعامل معه بطريقة أو أخرى. إنه خطر كبير علينا وعلى مجتمعنا. إنه قضية ما زالت تعالج بسرية. كنت في احد البلدان الاسلامية، فعلمت أن هناك مشاهد شذوذ جنسي تمارس في الخفاء. إذا ما أبقيتها تحت الأرض ولا تتحدث بها أبداً، وتبقى تنكر وجودها، وأنها محرمة في الاسلام، فلن تصل إلى شيء. إن قولك أنها غير موجودة لا يجعلك قادراً على حل المشكلة.

- هل تعني أنه من الأفضل التعامل مع قضية الشذوذ الجنسي باعتبارها ظاهرة اجتماعية وليس مرضاً لا يمكن تفاديه؟

عبدالواحد: نعم، هذه هي الفلسفة التي يجب أن نرى بها كل المشهد.

- أحب أن أشير هنا إلى قضية الشيخ خليل المومني أمام مسجد النصر للمغاربة الذي صرح للتلفزيون الهولندي بأن الايدز مرض معدي. وقد أثارت هذه التصريحات الأوساط الاعلامية والبرلمانية والفكرية في هولندا، وكذلك أوساط الشاذين جنسياً وعلى رأسهم اليميني بيم فورتاون.

عبدالواحد: نعم فقد قال أن بعض الأمراض تنتقل بواسطة الاتصال بين الرجال والنساء، والأمراض المعدية والأيدز. لكنني لا أقول أن الشذوذ الجنسي نفسه مرض كما هو الحديث عن الأمراض التي تستدعي مراجعة الطبيب.

- أعتقد أنه لم يقصد المعنى الحرفي لكلمة "مرض" بل المعنى المجازي. في ثقافتنا عندما تصف شيئاً بالمرض فانك تعني أنه خطر ينتشر في المجتمع كالاجرام مثلاً. فأنت لا تعني مرضاً حقيقياً بالمعنى الباثولوجي بل تعني أنه نقطة ضعف في المجتمع.

عبدالواحد: ولكنه قام فيما بعد بتصحيح أقواله في خطبة الجمعة. لقد قرأت النص كله فقد استخدم كلمة "مرض" فهو قد استخدم الكلمة حرفياً. بالطبع يمكنك استخدامها بشكل رمزي.

التفسير المكاني للنص

ع: في مقال لك تشير إلى مشاركة الاسلاميين في البرلمانات العربية والاسلامية. فما رأيك في تأسيس حزب اسلامي في هولندا؟

عبدالواحد: حسناً، يمكن السعي لذلك.

- أعتقد أن هناك عوائق تمنع ذلك لكن ماذا ترى في النشاط السياسي؟

عبدالواحد: لحد الآن، المشكلة الرئيسية التي سبق وأن تحدثت بصددها هي أنه حتى المسلمين ذوي المؤهلات الدراسية العالية لا يعرفون كيفية التواصل حول الاسلام. يجب أن يكون هناك نوع من التعليم للمسلمين لا يركز على تخريج أئمة مساجد أو معلمي دين للمدارس، ولكن مسلمون ذوي شخصيات قوية ذات تأثير في المجتمع. في ذلك النوع من التعليم المقترح، والذي يمكن أن يستغرق سنة أو سنتين كما في الدراسات ما بعد الجامعة، يمكن أن يمارس أولئك الأشخاص عملهم بحيث يكونون شخصيات مرموقة في المجتمع والحياة السياسية والمجال التعليمي والمجال الاجتماعي وبقية المجالات التي يمكنهم من خلالها التواصل وايصال خلفياتهم الثقافية وخلفياتهم الاسلامية بشكل واعي،

لحد الآن لم أقابل أو بضعة أفراد مسلمين يعيشون في هولندا منذ وقت طويل ولديهم معرفة بالتاريخ الثقافي لهولندا. هم يقولون أن هولندا بلد صغير بحيث قد لا نجده في خارطة العالم. فلماذا يجب أن نهتم به؟ لماذا يجب أن نهتم بهذه اللغة؟ ولكن إذا كنت تريد تمثيل المسلمين في السياسة أو التعليم أو الصحة فيجب عليك أن تعرف مكان الدين في المجتمع. يجب أن تعرف ماذا حدث خلال القرنين الماضيين في هذا الجزء من العالم.

عندما يتحدث شخص ما حول شيء ما، حول الدين، حول الاسلام، فالناس لا يوجهون له الاهانة مباشرة. يمكنهم أن يفهموه في بيئة جديدة. وهذا ما تحتاجه الشخصيات الدينية كالأئمة والمفتين والمفكرين المسلمين. يجب أن يقوموا بتفسير النصوص مكانياً أي حسب البيئة التي يعيشون فيها، وحسب الزمن، والمكان، والمحيط الثقافي والمقطع التاريخي. يجب أن يكون السياسي المسلم واعياً ومدركاً لكل هذه المفاهيم. بعض المسلمين يستخدمون كلمة ديمقراطية كشعار. فهم لا يريدون أن توجد ديمقراطية حقيقية. هم يستخدمون الثقافة المحلية كمحرك لتطوير قضاياهم، ولكن ليس لأنهم حقيقة يريدون أن يكونوا ديمقراطيين. فهم يستخدمون الثقافة الهولندية والبيئة الهولندية والامكانات المتوفرة في هذا البلد لتطوير هذا النوع من أفكارهم، وأعتقد أنه لا أحد يفهم ذلك.

- ولكن توجد هنا أحزاب دينية مسيحية ولها تمثيل في البرلمان الهولندي.

عبدالواحد: كلا، هذه ليست أحزاب مسيحية. هناك مجموعة أفراد تتقلص شيئاً فشيئاً.

- وإذا ما قام المسلمون بتشكيل حزب سياسي.

عبدالواحد: لا توجد مشكلة.

- من خلال هذا الحزب يستطيع المسلمون الدفاع عن مصالح الجالية وأن يقيموا حواراً مع مختلف الأحزاب السياسية التي تمثل المجتمع الهولندي في البرلمان. وفي البرلمان يمكنك أن تناقش قضاياك وأن تحاور النواب وتعقد صفقات معهم لصالح المسلمين.

عبدالواحد: هذا جيد. هذا إذا فهموا مع من يتكلمون، وما هي خلفيته؟ ماذا يعني؟ ماذا يرد قوله في هذه اللحظة؟ أقول ذلك لأنني في مرات عديدة أرى طرفين مختلفين تماماً. عندما يتحدث المسلم إلى غير مسلم، فكل واحد منهما لديه فكرة مختلفة تماماً عن الآخر وحول نفس الموضوع الذي يتحدثان حوله. عندما تريد ولوج السياسة أو الصحافة فأنت بحاجة إلى نوع من السرعة في الحركة، نوع من التكيف يمكنك من اتخاذ قرارات مفاجئة، أن تتحدث مع آخرين فيه. في مرات عديدة، ليس من المهم ما يحدث في البرلمان ولكن ما يجري استعماله في القاعات الجانبية. انهما يمشيان معاً.

- اللوبي!

عبدالواحد: نعم، اللوبي. عندما تريد ممارسة الضغط تحتاج إلى سرعة فهم. هذا النوع من الثقافة لا يعتمد على اللغة فقط. فقد يحدث سوء فهم ثقافي حول الموضوع الذي تتحدث فيه. هذا الموضوع يجب أن يخضع للبحث والدراسة. وعلى الناس أن يفهموا الشخص المتصدي. ربما يمنح المسلمون أصواتهم بحماسة لأن المرشح اسمه حسن أو محمد، ولكن ماذا يريد هؤلاء أن يفعلوا للجالية؟ ويشمل ذلك حتى النواب المسلمين الموجودين فعلاً في البرلمان الهولندي أمثال اسامة شريبي وفاطمة أورغو ومحمد الرباع. فهؤلاء بلا فلسفة. وحتى لو كانت لديهم فلسفة أو دين أو ثقافة، فهم عاجزون عن التواصل لأنهم لا يريدون التواصل مع المجتمع، لأنهم لم يحققوا أهدافهم.

المجلس الاسلامي الأعلى في هولندا

- ما رأيك بتأسيس مجلس اسلامي أعلى في هولندا؟ وذلك لأنه لحد الآن لا يوجد ما يمثل الجالية المسلمة أمام الحكومة، مثلما يوجد في فرنسا وبلجيكا. ماذا تعتقد: المشكلة في المسلمين أم في الحكومة الهولندية؟

عبدالواحد: كلا، انها خمسين في خمسين، أي كلاهما يتقاسمان المشكلة. منذ أربعين عاماً عندما قدم المسلمون إلى هولندا والجالية المسلمة تعاني من المشاكل كأفراد أو منظمات اسلامية والحكومة الهولندية. وهي مشاكل من نوع ٥٠: ٥٠ لكل طرف. إذا تتحمل الحكومة الهولندية ٥٠٪ من المشكلة. كما يتحمل المسلمون ٥٠٪ من المشكلة لأنهم لم يقوموا بما يجب عليهم القيام

به لحد الآن. في البداية كان كل شخص يعتقد أن وجوده هنا مؤقت، أي أنه سيمكث بضع سنين من أجل جمع المال ثم العودة إلى وطنه. ونفس الفكرة كانت موجودة لدى الهولنديين، حيث اعتقدت الحكومة الهولندية أيضاً أن وجود العمال المهاجرين قضية مؤقتة. فلذلك يتحمل الطرفان مسؤولية المشكلة وتطورها فيما بعد.

هناك الكثير الذي يمثل معادلة ٥٠: ٥٠، مثلاً الحاجة لتعلم اللغة الهولندية، والتعرف على الثقافة الهولندية، والاطلاع على التاريخ الهولندي. كل ذلك مطلوب لمن يريد العيش هنا في هذا المجتمع. هنا توجد حياة أفضل تثير اهتمام الجميع. لكن ذلك لم يكن واضحاً في البداية. لقد اتضحت الأمور منذ خمس أو عشر سنوات بأنه يجب اقامة دورات مواطنة Burgeringscursus، إن فكرة المواطنة تعتبر جديدة من جانب السياسة. لو أردت تحليل الأربعين عاماً الماضية لوجود الجالية المسلمة في هولندا فستصل إلى استنتاج بأنه يوجد توازن. عندما نقرر الذهاب حسب الفكر الهولندي لترسيخ الفردانية Individualism بين المسلمين من أجل أن ندعهم يصوتون بحرية على الأشخاص المرشحين لعضوية المجلس الأعلى، فستجد أن هؤلاء الناس لطالما كانوا جالسين لوقت طويل ودون مشاركة سياسية في المغرب أو تركيا. بعض المسلمين كالأتراك لديهم خبرة أخرى في تاريخ الفردانية بعكس المغاربة الذين يميلون للتصرف وفق السلوك الجمعي والتفكير وفق العقل الجمعي. فهم يميلون للانصياع وفعل ما يطلبه منهم زعماؤهم، وحتى أولئك الذين ما زالوا مقربين من الحكومة المغربية. فكل ما يقوله الملك محمد السادس، سيستمعون له. ربما يصوتون لشخص ما بصورة فردية، ولكن لن يحقق بذلك أي نجاح. يمكنني أن أتنبأ بأن هناك باصات صغيرة سيجري ملئها من رواد المساجد لتنقلهم إلى مراكز الاقتراع. وهناك يقال لهم صوتوا لـ (حسن)، فسيصوتون لحسن [كناية عن المسلم في هولندا]. نعم سيصوتون بشكل فردي ولكن يبقى الكثير منهم يصوتون جماعياً، ليس لأنهم يحبون ذلك المرشح أو أنه كفوء لتولي هذا المنصب، بل لأنه قيل لهم صوتوا له.

الاسلام الهولندي

- في بعض الأحيان تستخدم مصطلح «الاسلام الهولندي»، ماذا تعني به؟

عبدالواحد: أنا واحد من الذين يقولون: يمكنك وضع أي كلمة أمام كلمة الاسلام، فهذه فلسفتي. لا أجد في ما ذكرته مشكلة لأنني أقصد بالاسلام الهولندي هو التفسير المكاني Contextual Interpretation، نحن اليوم نعيش في هذه البقعة الجغرافية وهذه الثقافة الغربية التي تحيط بنا. هناك الكثير من الآيات القرآنية والتفسير والاجتهاد والشريعة والمذاهب وكل أشكال

النصوص، كلها مرتبطة بالمكان والزمان. وهنا في هولندا لدينا نوعاً من فقه الأقليات، و فكر الأقليات. هذا ما أعنيه بالاسلام الهولندي.

- هناك الاسلام الأفريقي والاسلام الآسيوي واللذان يتميزان بخصائص معينة، مثلاً الاسلام الأفريقي تغلب عليه الفرق الصوفية والطرق حتى يمكن تسميته بالاسلام الصوفي أو الطرقي (من الطريقة). لقد نجح الاسم في البلدان الآسيوية والأفريقية، وتفاعل مع الثقافات المحلية لتلك الشعوب، فاكتسب منها قسماً من موروثها الشعبي ومنحها تعاليمه وأحكامه وقيمه. فهل تعتقد أنه يمكن للاسلام أن يتفاعل مع الثقافة الغربية منتجاً نمطاً اسلامياً ذي أساس اسلامي وبناء فوقي غربي؟ أي اسلام متفاعل مع هذا المجتمع ومع هذه الثقافة ومع هذا التاريخ. عندها يمكننا توقع نشوء اسلام معين متفاعل مع ثقافة معينة. لماذا من الطبيعي القبول باسلام أندونيسي، اسلام باكستاني، اسلام مغربي، اسلام ايراني، الخ، ولا يقبل اسلام هولندي واسلام فرنسي واسلام بريطاني؟ تبدو المسألة قضية وقت لأنه بمرور الزمن صار الاسلام الآسيوي والأفريقي مقبولاً خلال بضعة قرون حيث اعتنقته شعوب وأمم. لقد حافظت تلك الشعوب على تراثها وتقاليدها مثلاً في مراسم الزواج والختان والولادة أو الاحتفال بالأعياد الشعبية وغيرها مما اعتادت عليه من قبل. وهذا ما يفسر لماذا نجد أنه لكل أمة وشعب تقاليد وأعراف خاصة بها، رغم أنهم كلهم مسلمون ولكن لديهم أعراف وتقاليد مختلفة، فهل تتوقع أن يحقق الاسلام نجاحاً في أوربا كما حققه في آسيا وأفريقيا؟

عبدالواحد: هذا ما لا يمكن تفاديه. فهو يحدث بهذه الطريقة لأن الناس يختارون الاسلام. فإذا ترعرعوا في هذا البلد، فهم أقلية. لقد تحدثنا عن الشباب المغربي والتركي. والآن نتحدث عن المسلمين الهولنديين، رجالاً ونساءً. فهم سيعكسون خصائص النظرة الهولندية للدين بشكل عام. الكثيرين منهم سيكونون مؤمنين بالفردانية Indivilualism، ونوع متسامح من المسلمين. سيخلطون الثقافة بالدين مثلما فعل بقية البشر في العالم. وسترى تفسيراً هولندياً لبعض الأعراف الاسلامية. سترى الناي يلبسون ملابس غربية. وسوف لن يكونوا عرباً في لبس الجلابة (الثوب الرجالي الطويل). سيبقون متمسكين بالنظرة العلمانية أو النظرة التي ترسخت في المجتمع من حيث الفصل بين الدين والدولة. وهذه ستكون واحدة من مصادر التفكير أو الموقف من الدين. وهذا سيعني التركيز أكثر على الجانب الروحي من الاسلام بالمعنى الفردي للدين، أي لكل فرد شأنه الخاص، ولن يكون هناك تركيز على الجانب الجمعي كما هو الحال في المجتمع العربي أو التركي. فهؤلاء أكثر التصاقاً بالجماعة، وعلاقات اجتماعية دافئة تربط بعضهم ببعض. هذه الحياة الاجتماعية تؤثر على المسلمين الهولنديين الجدد. ولكنني أعتقد أنه سنتعامل مع نمط معين

وبطريقة أخرى. سيسعى البعض ولمدة طويلة لتشكيل "جماعة" هولندية مستقلة. توجد مثل هذه الجماعة الهولندية اليوم في لاهاي حيث يتخذون مسجد (بيت الحكمة) الأندونيسي مقراً لهم. هذه الجماعة الهولندية المسلمة مضى على تشكيلها حوالي عشر سنوات.

جماعة بيت الحكمة الهولندية المسلمة

- هل جميع أفراد هذه الجماعة هولنديون؟

عبدالواحد: نعم، غالبيتهم من الرجال الهولنديين المتزوجين بنساء أندونيسيات. فهؤلاء المسلمون الهولنديون لهم مشاكلهم الخاصة. لديهم مشاكل فردية، وهم موجودون في المجتمع. وهم يرون الاسلام أنه شيء يمارس في عطلة الأسبوع بشكل دائم.

- هل هي جماعة تشابه جماعة «النساء» التي تضم نساء هولنديات مسلمات ومقرها في أمستردام؟

عبدالواحد: نعم، تشابه جماعة «النساء». إن جماعة بيت الحكمة تنمو تدريجياً داخل الاسلام. فهم يقرءون القرآن بالعربية خطوة فخطوة من أجل تطوير قابلياتهم لقراءة العربية. يمكنك أن ترى فيهم نوعاً من الاسلام الهولندي: فهم لا يتحدثون العربية، ولم يعتادوا على التصرف بشكل جماعي في النظرة الاجتماعية للدين. وهم يفكرون بالسياسة وبالدين بشكل منفصل تماماً. وسيحتاج ذلك إلى وقت طويل للتطور والتفكير كي يصبح من وعي الاسلام.

- كم عدد المسلمين الهولنديين؟

عبدالواحد: يتراوح بين خمسة إلى ستة آلاف مسلم هولندي.

- وكم عدد المنتمين لبيت الحكمة؟

عبدالواحد: أعتقد أنهم حوالي خمسين شخصاً. فهم يحضرون بشكل متقطع، وأحياناً يكون العدد كبيراً وخاصة في عطلة نهاية الأسبوع.

- ما نوع النشاطات التي تقومون بها؟

عبدالواحد: نقيم احتفالات وصلاة جماعة ولقاءات. أنا ألقي محاضرة كل ثلاثة أشهر.

تعليم الأئمة

- أنت امام جماعة وكنت اماماً لمركز المعلومات الاسلامي في لاهاي حيث تقيم صلاة الجمعة وتلقي خطبتي الجمعة باللغة الهولندية. ما رأيك بتعليم أئمة المساجد في هولندا وليس في الدول الاسلامية. فهناك انتقادات من بعض السياسيين والمثقفين الهولنديين بأن الأئمة القادمين من تلك البلدان لا يعرفون شيئاً عن الثقافة الهولندية ولا القانون والتقاليد الهولندية. الأمر الذي يجعلهم

معزولين عن قضايا المجتمع أو قضايا الجالية المسلمة بل يركزون على قضايا هامشية أو أحياناً يسرّبون الأفكار الأصولية للشباب المسلم في هولندا. ولذلك نجد بعضهم يتورط في اطلاق بعض التصريحات أو الآراء المخالفة للقانون الهولندي، مما يعرضهم للمساءلة القانونية كالشيخ خليل المومني الذي هاجم الشذوذ الجنسي، أو يثير الاعلام الهولندي ضدهم و ضد الاسلام والمسلمين بشكل عام.

عبدالواحد: أنا أؤيد ذلك، فلو بدأت بتعليم الأئمة فيجب أن يكون الامام واعياً بما يدعو له وباللغة التي يتحدث بها. يعتبر الامام شخصاً هاماً في الرأي العام الهولندي. الامام راع يهتم برعيته.

- أعتقد أنك تبسّط دور الامام. فهو عنصر مؤثر في الجالية المسلمة.

عبدالواحد: نعم، ولكن لو رأيت النقاش حول تأثير الأئمة وتأثير ما يعلمونه، أرى أن لدينا شيئان مختلفان لأن الامام يفكر بطريقته في الخطابة والدعوة والتعليم والصلاة التي تقول «اسمعوا وأطيعوا». فهذه الطريقة تمثل حركة السير باتجاه واحد فقط. فهذه طريقة هذا النوع من الأئمة الذين اعتادوا على منهج «اسمع وأطع»، و«سمعنا وأطعنا».

ومع ذلك تجد الجيل الشاب من الأتراك والمغاربة لا يسمعون ويطيعون. فهم لديهم أسئلة، أسئلة كثيرة حول الكثير من المعالم الاسلامية: دينية أو أخلاقية أو سياسية أو اقتصادية. فهناك مساحة عريضة جداً من الأسئلة والنقاشات التي تستدعي الاجابة عليها.

وحتى المسلمين الهولنديين فهم في وضع صعب لأنهم يتعرضون للانتقاد من قبل أهليهم تجاه ما يحدث الآن بعد ما قام به أسامة بن لادن من أعمال.

فكل ما يسيء للاسلام والمسلمين يقع عليهم، ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم بنفس الطريقة التي يدافع بها المسلمون الآخرون عن أنفسهم لأنهم لا يملكون المعرفة الكافية حول الأسباب والدوافع، أو هل هي موجودة في القرآن؟ وأين الأحاديث النبوية المتعلقة بهذه القضايا؟

حتى الاسلام الموجود في المساجد بحاجة إلى مناقشات، بحاجة إلى طرح أسئلة على الامام. لذلك يجب أن يتسم فكر وأسلوب الامام بأنه مسير ذي اتجاهين وليس اتجاهاً واحداً. فالامام ليس المعلّم الوحيد الذي يجيب على الأسئلة، فهو غالباً لا يعرف شيئاً عن المجتمع. فهو يقضي معظم وقته جالساً في المسجد ليقيم صلاة الجماعة أو يعطي دروساً أو يحفّظ التلاميذ القرآن. ولذلك لدينا شد بين واقع الحياة الاجتماعية خارج المسجد، وخارج مؤسسة الاسلام وداخل مؤسسة الاسلام.

- كيف تستطيع معالجة هذه المشكلة؟ ما هي مقترحاتك لحلها؟

عبدالواحد: بالنسبة للمقترحات: يلاحظ أننا نفتقد الروابط بين التعليم الذي يدرس للأئمة حتى الآن في بلدانهم وبين المجتمع. كما تفتقده جزئياً الجامعة الاسلامية في روتردام. فهو على العموم تعليم تقليدي للعلوم الاسلام. ولا مانع في ذلك باعتباره تعليم أساس يجب دراسته. ولكن ما نحن بحاجة اليه هو أن يكون التعليم الديني على صلة وثيقة بالمجتمع المسلم بصورة عامة. من الملاحظ أن المسمين ضعيفون في العلوم الانسانية. عندما يدرس المسلم شيئاً فهو يتجه للعلوم الطبيعية. يأتي كل عام إلى جامعة ديلفت التكنولوجية حوالي (٥٠٠) طالب مسلم من أندونيسيا. في حين يدرس بين ٦٠ إلى ٧٠ طالباً العلوم الانسانية في جامعة ليدن. لدينا الكثير من التقنيين [مهندس باشا]. وأنا لا أعارض تعلم الهندسة أو العلوم التكنولوجية ل، الناس تريد أن تعمل وتكسب. عندما يكون للأب ستة أبناء، خمسة منهم أذكياء وواحد مستواه ضعيف. تجد الأب يرسل هذا الأخير إلى مدرسة دينية كي يتخرج اماماً. ولذلك لدينا عدد كبير من الأئمة من ذوي المستوى الذهني الضعيف. أما الطلاب الأذكياء فيجدون مقاعدهم في الجامعات التكنولوجية والطب وغيرها، لأننا نريد أن نكون مجتمعاً قوياً، فيجب أن تكون لدينا طبقة كبيرة من التكنوقراط، لأنهم يكسبون أموالاً كثيرة. بهذه الطريقة ننظر للعلوم الانسانية كعلم التربية وعلم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وغيرها. فهذه كلها مفقودة في توجهنا.

- أين يتمكن الأئمة اكتساب ذلك؟ في بلدانهم الأصلية أم في هولندا؟

عبدالواحد: هنا، يجب أن تكون هناك رابطة بين العلمين. فالجامعة الاسلامية (في روتردام) مثل الأعمى تسير على رجل واحدة. يجب أن يدرس الأئمة هذه العلوم وخاصة علم التربية لأنهم يوجهون جماعاتهم. كيف نعلم جماعتنا؟ كيف يمكننا اعطائهم دروساً تربوية بحيث يمكنهم فهم الجماعات التي يرتبطون بها. إن مشكلة هؤلاء الأئمة هو أنهم في العالم الاسلامي، وإلى حد ما في الغرب، اعتادوا على التعليم بأسلوب الحفظ عن ظهر القلب، وحتى دروس العربية والفقه. أنا أعرف الشيخ البقالي وهو مغربي، وهو يحفظ قواعد اللغة العربية على شكل قصيدة شعر (ألفية ابن مالك). هذا النوع من التعلم ليس مناسباً لهذا المجتمع (الغربي). من الجيد أن تكون لك معرفة جاهزة لأنك تعلمت عبر الحفظ عن ظهر قلب، ولكن الأهم هو أن يكون لديك فهم. ما يجب على الأئمة فعله، هو أنه يجب عليهم أولاً فهم كيف يستطيعون شرحه. وعلوم الاجتماع والتربية وعلم النفس تساهم في فهم الانسان.

- هل تؤيد مقترح الحكومة الهولندية بانشاء مدرسة لتدريس الأئمة في هولندا؟

عبدالواحد: يجب عليهم استيراد العلوم الأكاديمية الاسلامية من القاهرة. وهم بحاجة إلى أساتذة في العلوم الأساسية، وإلى قادة دينيين أو متحدثين دينيين يربطون بين العلوم الاسلامية والعلوم الغربية، وإلى فهم العلوم الانسانية. نحن بحاجة إلى امام لديه كفاءات بحيث يتمكن من تمثيل المسلمين في المجتمع. نحن بحاجة إلى امام يمشي على رجلين اثنين، بحاجة إلى نظام ذي رجلين اثنين، كما أوضحت.

صورة الاسلام بعد ١١ أيلول

- لقد زاد الاهتمام بالاسلام بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، فقد صار القرآن الكريم أكثر الكتب مبيعاً في أوربا وأمريكا. هل تتوقع فهماً أكبر للإسلام في هذه المرحلة؟

عبدالواحد: حسناً، هذا ما سميته الحجر الأساس في حياتي. أستطيع أن أفهمه من خلال وضعي لأن كل فرد يستطيع أن يفهمه من خلال ثقافته. فكل شيء يحدث هو ظاهرة ثقافية جديدة في العالم يستطيع كل شخص أن يفهمها أو يقارن بينها وبين ثقافته. عندما تكون منتمياً إلى ثقافة أخرى، فإنك في هولندا مثلاً، تقوم بمقارنة آلية لكل الأشياء التي تراها من خلال ثقافتك ومشاعرك وموقفك الخاص. وهذا ما جعلني أعتبر ما يحدث الآن أنه نوع من الصدمة. إنها صدمة علاجية مثل قضية سلمان رشدي التي كانت صدمة علاجية للمسلمين أنفسهم.

إن الهجوم على الولايات المتحدة والذي لا نعلم حتى الآن من الذي وراءه سواء أسامة بن لادن أو طالبان لأن القضية لم تبحث في محكمة، ما زال يثبت أن مقولة صموئيل هنغتنغتون «صراع الحضارات» تتحقق فيما يجري الآن. بامكانك تحليل الأمر على هذا الوجه، فأنت ترى الولايات المتحدة تتعاون مع الصين وروسيا. وترى فجأة أن يجري الاعتذار لروسيا عما تقوم به في الشيشان أو تجاه ما غزوها السابق لأفغانستان. لدينا الآن نوع من اعادة التقييم للحقائق التاريخية. ونحن نعلم أن ذلك خطأ تماماً ولكنه يحدث امام أعيننا.

ورغم ذلك فهناك تأثير جانبي وليس تأثير رئيسي في الواقع، وهو وجود اهتمام كبير بالاسلام. الناس يجدون أنفسهم مجبرين على قراءة حتى ما يكتبه الكتاب والصحفيون الملحدون أمثال فان دري الذي نشر مقالة في صحيفة أمستردام الخضراء Groene Amsterdam. فهو يقوم بتفسير القرآن مثل بقية المفسرين المسلمين! وهو عالم اجتماع هولندي مشهور، وهو ملحد ويتناول نوع من المخدرات يسمى Paddo. كتب فان دري مقالة من ست صفحات حول القرآن، باعتباره غير مسلم تماماً وضده. ومع ذلك فهناك بعض الأشياء الجيدة فيه. انه يقوم بما يجب علي أنا أن

أقوم به، إنه يؤدي واجبي. يقول فان دري: الآن لا يمكننا القول بأن القرآن يدعو إلى العنف والارهاب. لا يمكنني استنتاج ذلك. ما زلت أؤمن بأن القرآن كتاب ذي تقليد بائد ولكن لا نجد فيه دعوة مثل: يمكنك استخدام العنف للوصول إلى هدفك.

أنت ترى بأن هذا النوع من الأشياء يحدث خارج أوساطنا. فالآخرون يقومون به، وهم لا يسألوننا: هل يمكننا الكتابة حول القرآن؟ إن ذلك يحدث لوحده،وهو شيء مرتبط بالله سبحانه وتعالى. ولذلك أقول دائماً أن الاسلام محمي ومحفوظ جداً من قبل الله، وهو كما قال (إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر: ٩).

- لماذا يكره الغربيون الاسلام دون غيره من الأديان الشرقية كالهندوسية والبوذية وغيرها؟ هل هناك أسباب تاريخية وسيكولوجية وراء هذه الكراهية؟ فلو تحدث أحد الوزراء عن دين ما فلا توجد مشكلة أو معارضة في الاعلام أو السياسة، ولكن لو تحدث حول الاسلام فستجد العديد من ردود الأفعال.

عبدالواحد: في الواقع ليس لدي تفكير أصيل حول هذه القضية. هناك العديد من العلماء الذين يرون أن الاسلام قريب جداً من الثقافة الغربية. عندما تتحدث عن البوذية أو الهندوسية فأنت ترى فيها الجانب الروحي. كما أن الكثير من الأوربيين سافروا إلى الهند بحثاً عن الحكمة والروحانية، يبحثون عن غورو، عن معلم. أما لو نظرت للاسلام فستجد أن الاسلام لديه مدعيات و مطالب. لديه ما جاء في القرآن (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (البقرة: ١٣٦). فالاسلام يقترب كثيراً من المسيحيين والعالم الغربي. انه ليس بعيداً أو غريباً أو ديانة روحية كالبوذية. الاسلام لديه ما يدعيه حول الحقيقة والعدل والحياة الاجتماعية والأسلوب الواجب اتباعه في كل شيء. للإسلام مطالب في نفس المجالات التي للعالم الغربي فيها مطالب ايضاً. فهو يدخل في مجالات والغرب، أي أنه ليس حيادياً، ولا حتى حيادية روحية. إنه شيء لديه رسالة وفلسفة في الحياة.

منذ البداية، وخاصة في العالم المسيحي، عندما بدأ الاتصال لأول مرة مع المسلمين من خلال الرهبان والقساوسة والمبشرين، رأوا في الاسلام منافساً في المنافسة الدينية، وأنه يعد الانسان بحياة مثالية. إذن منذ البداية كان هناك صراع لأن الاسلام ليس تأملاً في المسجد فحسب، بل يتضمن أشياء أخرى يعرضها للبشرية. في هذه اللحظة ربما نعيش في أكثر الأوقات صعوبة في نقطة الاتصالات. نحن نرى أن كل شيء صار سلبياً جداً بعد الهجوم على أمريكا. منذ أسبوعين، في كل مجلة أسبوعية في هولندا تجد مقالة رئيسية تتحدث عن الاسلام، وحتى المجلات الكافرة مثل مجلة الزمن HP /De Tijd و مجلة هولندا الحرة Vrij Nederland ومجلة أمستردام الخضراء Groene Amsterdam ومجلة السفير Elsivier.

العداء للاسلام في الاعلام الهولندي

- هناك العديد من النقاد والصحفيين ممن يكتبون مقالات معادية للإسلام والمسلمين، مقالات يعاقب عليها القانون الهولندي مثلاً يمكن تصنيفها ضمن خانة التمييز العنصري أو التعبيرات غير المسموح بها كالاهانة والاساءة.

عبدالواحد: نعم، مثل ما قامت به مجلة الزمن التي نشرت مقالاً بعنوان (هناك خطأ ما في الاسلام) والذي يعبر عن اهانة واحتقار، لقد قدمنا شكوى ضد هذه المجلة لدى لجنة محكمة الدعاية. وقد حضرت مع رئيس تحرير المجلة في المحكمة.

- هل يعتبر هذا المقال تحقيراً للاسلام؟

عبدالواحد: نعم، انه هجوم على الاسلام وانتقاص منه. انها طريقة غير اخلاقية عندما تقوم المجلة بمقارنة الاسلام مع النظام النازي في ألمانيا في الحرب العالمية الثانية. لقد كتبت رسالة إلى المحكمة لأن المجلة أعلنت عن ذلك لمدة سبعة أيام في التلفزيون. جاء مسؤولو المجلة بصحبة محاميهم ودافعوا عن أنفسهم، كما دافعنا عن شكوانا. وستقرر المحكمة فيما بعد. هذه أول دعوى نقدمها للمحكمة بهذا الصدد كي نعرف ما ستقوله العدالة الهولندية.

- هناك العديد من التصريحات والدعوات المناوئة للاسلام مثل العنوان الذي تصدر صحيفة (دي فولكس كرانت) والذي يقول: «يجب طرد كل المسلمين المتشددين»، أو ما صرح به الزعيم اليميني بيم فورتاون: «يجب علينا شن حرب باردة على الاسلام». هل تعتقد أن مثل هذه الدعوات مقبولة في المجتمع الهولندي؟

عبدالواحد: لا يمكنك جر هؤلاء إلى المحكمة. يمكنك القول أنها غير مقبولة أخلاقياً. ويمكنك أن تعرضها ولكن لا يمكنك القول أنها مقالات عادية. هذه هي الطريقة المتبعة في هولندا. ولكن عندما تقول أنه «يوجد شيء مفقود في الاسلام» فأنت تعني وجود خطأ رئيسي وأساسي في الاسلام.

وأنه ايديولوجيا خاطئة تماماً، وأن الناس الذين يتبعون هذه الأيديولوجيا هم بشر مخطئون بالكامل.

وهذا ليس تحقيراً فقط بل عنصرية كاملة. أنا لا أستطيع القول هؤلاء أتراك أو مغاربة أو عرب، هذا مسلم ليبرالي وهذا أصولي.

أنا لا أعرف من هو في البلد المسلم. إذا كان بعض الناس أمثال أسامة بن لادن وأريد القول بأن بن لادن انسان مخطئ تماماً، عندها يمكننا مناقشة المسألة، أي تفكيره أو طريقته خطأ.

ساجدة عبد الستار، فتاة تبحث في الأديان

بطاقة شخصية

ولدت في هولندا عام ١٩٤٣ أثناء الحرب العالمية الثانية. والدي كاثوليكي متدين من أصل هولندي وفرنسي. والدتي كاثوليكية من عائلة ألمانية وأصل يهودي. قدموا إلى هولندا قبل عشر أو خمسة عشر عاماً من نشوب الحرب. وقد جعلهم هذا في وضع غير مريح لأن الألمان لا يحبون اليهود والهولنديون لا يحبون الألمان. ولذلك ليس من المستغرب أن تصر والدتي على أن تدخلني أنا وأخي في مدرسة داخلية لنكون هولنديين كاثوليك. وقد حدث ذلك مع أخي وليس معي. قضيت أربع سنوات (من سن ١٢ إلى ١٦ عاماً) بين الراهبات، عندما بدأت أطرح أسئلة كثيرة حول ما يعلمننا في المدرسة.

رحلة البحث

منذ البداية، وحتى عندما كنت طفلة، كنت مهتمة جداً بالدين. وكلما كنت أتعلم من الراهبات والقساوسة والمعلمين، كنت أزداد تعجباً بجوهر الايمان، أي ايمان. بعد أن حصلت على رخصة، قرأت الكتاب المقدس وأنا في المدرسة الداخلية. كنت أتساءل: لماذا نتجت هذه الكتب عن مختلف الديانات والمذاهب والتي يتهم بعضها بعضاً؟ كنت أؤمن من داخلي بكل الناس في أي مكان. ولم أكن قادرة على قبول الفكرة الكاثوليكية التي تعتبر جميع الناس غير المعمدين هم ضائعون. لم أكن أستطيع قبول فكرة أن الله يدين قسماً كبيراً من البشرية ببساطة لأنهم لا يحملون صفة معينة.

وبدأت بقراءة كتب حول الفلسفة وعلم النفس. لقد كنت أقرأها خلسة في الليل داخل الفراش وعلى ضوء المصباح اليدوي، لأن الراهبات كن لا يسمحن لي بقراءة هذا النوع من الأدب.

- في أي سن كان ذلك؟

ساجدة: كنت شابة صغيرة، ربما ١٤ أو ١٥ عاماً، ولكنني كنت أسعى لفهم بعض الأشياء التي تحفر عميقاً في روحي. تحولت إلى دراسة الأديان المقارنة من خلال قراءة ما أجده أمامي فيما يتعلق بمختلف الثقافات والأديان. في تلك المرحلة لم أكن مهتمة بالاسلام لأنه في المدرسة التي كنت أتعلم فيها كان يقال لنا أن الاسلام ليس دين روحي، بل هو دين عدواني وثقافة مادية وحسية والتي لا علاقة لها بالله.

عندما غادرت المدرسة الداخلية كان عمري ١٦ عاماً وكنت ما أزال ابحث عن اجابات لضالتي الروحية. ولما كنت طالبة بعد، فلم تكن لدي نقود كافية للانفاق، لذلك كنت أوفر بعض النقود أو عدم شراء بعض الأشياء من أجل شراء بعض الكتب. وكان القرآن واحداً منها. كان ترجمة هولندية أصدرتها دار نشر (كرايمر). كان هناك عرضاً مخفضاً بنصف السعر، فقلت يمكنني أن أضيفه إلى مجموعتي بحيث يكون لدي بعض الكتابات حول الاسلام. كقاعدة اتخذتها لنفسي: كنت أفضل قراءة النصوص الأساسية (المترجمة) للديانات المختلفة.

بدأت بقراءة القرآن دون توقعات كثيرة وبكفاح مع المفردات الهولندية التقليدية القديمة التي امتازت بها تلك الترجمة. ولكن كانت هناك مفاجأة. لقد استطاع هذا الكتاب أن يحل الكثير من القضايا الشائكة والاشكالات التي كانت تدور في ذهني، مثلاً الفجوة بين الديانات الشكلية ذات العقائد المتحجرة من جهة وبين الخبرة الروحية الحيوية للإيمان من جهة أخرى.

خبرتي في الاسلام

- هل قرأت كل القرآن في ذلك الوقت؟

ساجدة: نعم، قليلاً قليلاً حتى أنهيت قراءته، ولكن بقيت مستمرة في قراءة مواضيع أخرى مثل التحليل النفسي للمحلل الشهير يونغ. كما قرأت حول مختلف الأديان والمذاهب والتصوف. وبعد كل هذه المشقة قررت أن الأفضل لي هو أن أكون مسلمة، مقدمة نفسي لله في طريق الاسلام. لم يكن شاهداً سواه تعالى، لأنني لم ألتق بعد بأي مسلم.

مما جذبني في القرآن وكما فهمته، أنه تطابق مع قناعتي العميقة بمعنى الدين. في البداية كنت أعتقد أن الأديان تعني أن يكون الانسان على اطلاع بالعلاقة الانسانية بالله. وكنت أسمي هذه العلاقة التقوى أو الوعي بالله. إنها ادراك عميق ومستمر لا يمكنك الانفصال عنها أبداً. هذا الادراك يشكّل سلوكك -ما تبحث عنه وما تتجنبه.

وهناك شيء آخر هام وجدته في القرآن هو الوحدة المطلقة لله تعالى، أي أنه غير متشكل أو متشارك مع أي عنصر مقدس آخر أو تثليث وما إلى ذلك. جميع الأنبياء تم الايحاء اليهم بوحي من الله، فلا يوجد مصدر أساسي آخر للدين سوى الله تعالى. وكل ما عدا الوحي الالهي هو اختراعات بشرية. يمكنك أن تدعوها فلسفة أو أفكار انسانية. هذا هو الحد الفاصل: كل نظام وضعي للفكر يبقى محدوداً بالحدود الانسانية أو بحدود من أوجده من البشر، ولكن الدين الخالص يأتي من الله غير المحدود. أنا هنا لا أتكلم عن قواعد أو شعائر شكلية، أو عن السياسة، بل عن الجوهر الروحي للدين. ومع أنني أعرف أن بعض الغربيين اعتنقوا الاسلام لأنهم يبحثون عن

الشعور بالأمن ضمن الجماعة من خلال معنى الأخوة الانسانية وغيرها، ولكن لم يكن هذا الدافع وارداً في حالتي.

- هل كان دافعك لاعتناق الاسلام عقائدياً خالصاً؟

ساجدة: إنها قضية قناعة - عقائدية أو ربما فكرية. إن انجذابي للاسلام لم يكن فكرياً في الأساس، بل روحي. إن المحاور الفكرية تشكلت بطريقة مختلفة عن الخبرة الروحية أو القناعة التي تعبر عن نفسها. المسلمون يقسمون إلى عدة فئات. عندما يستخدم البعض لفظة الاسلام، أسألهم مباشرة: ماذا يعنون بالضبط من هذا المصطلح؟ هل يعنون الله، أم القرآن أم شيء آخر؟

- ذكرت أن المسلمين ينقسمون إلى عدة فئات تختلف في فهمها لمعنى الاسلام، فما هي ؟

ساجدة: أنا أعني ثلاث فئات وهي:

١- نزل الوحي على الرسول (ص)، ولما لم نكن حاضرين هناك عندما حدث ذلك فيجب أن نعتمد على القرآن كمصدر لهذا الوحي. وهو مصدر موثوق به. فاذا كنت تعني بذلك الاسلام فأنا معك.

٢-بالطبع هناك أحاديث منقولة عن الرسول (ص)،ولكن مضى وقت طويل حتى تم تدوينها وتصنيفها. إن الحديث ليس على مستوى القرآن. من هذين المصدرين تمت صياغة الشريعة، ثم تشكلت المذاهب. وهذا كله جهد بشري تم في مرحلة معينة، ثم تقرر اغلاق باب الاجتهاد، لماذا؟ ومن قبل من؟ فأنا لست معك بأن هذا الجهد البشري مما قام به الفقهاء هو الاسلام. أنا مستعدة لتباع الشريعة ولكن ليس دون شروط.

٣-الفكرة الثالثة هي الاسلام السياسي، الاسلام الثقافي، والاسلام القومي. في هذه أنا لست معك. أنا أحب الكثير من الثقافات الاسلامية، ولكنها ليست هي الاسلام.

أول اتصال بالمسلمين

- بحسب خبرتك هذه، كيف طورت ايمانك حتى أصبحت مسلمة رسمياً؟ هل بقيت منفردة بالقرآن فقط أم بحثت عن اتصالات جديدة؟

ساجدة: كان عمري ١٦ أو ١٧ عاماً،ولم يكن باستطاعتي اخبار والدي بأنني أصبحت مسلمة. كنت ما زلت أبحث عن تعاليم الاسلام مثلاً كيفية إقامة الصلاة وغيرها من الأمور التي لا يمكن تعلمها من الكتب. كنت أعرف بوجود مسجد يعود لطائفة الأحمدية في لاهاي. وزرت المسجد،والحمد لله الذي أنقذني من المذهبية. لقد صدمني قول زوجة امام المسجد: «أنا أعرف هؤلاء الفتيات الغربيات. انهن يبدين اهتماماً بالاسلام فقط لأنهن وقعن في غرام شباب مسلمين». لقد شعرت بأنه قد أسيء فهمي فلم أعد لهذا المسجد ثانية، ولكنني حصلت على بعض الكتب المفيدة من امام المسجد.

في رحلتي للبحث عن دليل عملي يرشدني لتعاليم وشعائر الاسلام، قمت بزيارة بعض سفارات البلدان المسلمة في لاهاي، ولكن لا أحد أخذ طلبي بجدية عدا عائلتين أشارتا علي بزيارة السفارة الباكستانية. قام السكرتير الثاني في السفارة باهدائي نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية. لقد كانت تلك مرحلة هامة لأنها قد أعطتني صورة بأن الاسلام ليس ثقافة معينة. كنت بحاجة لأسأل نفسي عن العادات والقيم التي انطبعت في ذهني سلوك أولئك المسلمين، وأقارنها بالثقافة التي نشأت فيها. ولذلك غمرت نفسي بالثقافة الباكستانية - سامحة لنفسي بالتحدي والاستمرار بمساءلة نفسي- في محاولة لاعطاء نفسي تربية ثانية.

المشاكل الاجتماعية التي واجهتني

ساجدة: أثناء ذلك، لم يكن باستطاعتي اخفاء الأمر لمدة أطول. لقد كانت دراما كبيرة، عندما وجدت والدتي بعض كتبي التي تتحدث عن الهندوسية، فأساءت فهم خياري حين أمرتني: لا تكوني هندوسية! وقد أطعت أمرها باخلاص.

- وماذا كان رد فعلها عندما علمت أنك اعتنقت الاسلام؟

ساجدة: عندما فهما الحالة، أصيبا بصدمة، فأخذتا يبحثان عن مساعدة «المختصين»، فأرسلاني إلى قس كان أستاذاً باللاهوت، وإلى طبيب نفسي لمعرفة «الخطأ» عند هذه الفتاة. وحسب ما قيل لي بعد سنوات، بأن الاجابة التي توصلا إليها هي أنه لا أحد من المتخصصين قد فهم حقاً عن ماذا كنت أتحدث، وأنني كنت مخلصة جداً لمعتقدي. مما يدعو للأسف والرثاء أنهم لم يناقشوا ذلك معي أو قرءوا أي من كتبي التي أعطيتهم اياها.

بالطبع أن بعض وظائف الدين ذات طبيعة اجتماعية وأخلاقية، مثلاً يمكن ايجاد بعض الوظائف في أديان أخرى غير الاسلام. ولكنني كنت أبحث عن طريق إلى الله بحيث يكون واضحاً ومباشراً قدر الامكان. أما الأمور الأخرى فليست أساسية. ربما كثير من المسلمين لا يدركون أن غربيين كثيرين يرون الاسلام جذاباً بسبب بعده الصوفي. أما الشعائر والأحكام فيمكن للمرء أن يجدها في المسيحية، ولكن الروحية العميقة «العرفان» موجودة في الاسلام أفضل من المسيحية الشكلية. لا يوجد مذهب مسيحي واحد يعرض طريقة للمعرفة الروحية كما هي واضحة في الاسلام. وحتى القساوسة لا يفهمون هذا، فهم مثل «العلماء» المسلمين الذين لا يعرفون سوى المظهر الخارجي للإسلام. ولكن مثل بقية الديانات، لا يمكن أن يكتمل الاسلام دون البعد الصوفي الخالص. وهذا هو ما كنت أبحث عنه دائماً وأسعى من أجله للكمال.

نقد المسيحية

- هل كان لديك نقداً على المسيحية بصورة عامة أو بعض عقائدها؟

ساجدة:

أولاً، في معظم الديانات يوجد موقف اقصائي للآخرين. فهم يدعون أن عقيدتهم هي العقيدة الوحيدة الصحيحة والآخرون على خطأ. وعلى هذا الأساس فهم يردون بقية عقائد الناس. أما في القرآن فكل الأنبياء مقبولون ومحترمون. وأن الله تعالى قد أنزل وحيه والخبرات الروحية للبشر في كل أنحاء العالم.

ثانياً: إن المسيحية مبنية على فكرة التثليث، مما يجعل توحيد الله غير واضح. بلا شك في سياق العقيدة المسيحية هناك وظيفة لتأليه المسيح. ولكن لو أخذتها بمعنى تاريخي وحرفي فستجد أنك تسبغ الألوهية على رجل من لحم ودم، ثم تدعي أنه هو الله. كلا لا يمكن قبول هذه الفكرة. وهذه هي المشكلة. كما يوجد هناك موقف مسيحي يتمثل في شتم الرسول محمد (ص) واضطهاد أتباع الديانات الأخرى. لقد كانت لي مشكلة كبيرة مع التبشير بالمسيحية. خذ مثلاً ما حدث في البلدان خارج أوربا، وما فعله أولئك المبشرون هناك. لقد قاموا بتدمير الثقافات المحلية وأحلوا محلها شيئاً يسمى «ثقافة المتمدن الأبيض المنتمي للطبقة الوسطى». فعلى سبيل المثال في بعض أجزاء أفريقيا، جعلوا النساء ترتدي ملابس على الطراز الألماني والتي لا تلائم المناخ الأفريقي اطلاقاً.

يلام الاسلام على أنه يجبر الآخرين على اعتناقه. وهناك للأسف بعض الحركات التي تسعى لفرض قيم اسلامية سطحية على الآخرين مثلاً الملابس والعادات العربية والتي هي في الواقع ليست بإسلامية. كما يريدون تحويل المسلمين الآخرين من غير توجههم إلى نظرتهم الضيقة من خلال الضغط النفسي. أنا لا أتفق مع هذا النوع من الممارسات بأفكار الناس لأن القرآن يقول: لا اكراه في الدين.

فلو نجحت أساليبهم السيئة في فرض عقائدهم على الناس، فأي نوع من الاسلام جرى قبوله؟ يجب أن يتم عرض الاسلام من خلال منظور الحب والاعجاب بالجمال والحكمة والتي يمكنها أن تدخل بالتدريج إلى أية أمة وأية ثقافة. انظر كيف انتشر الاسلام في مساحة كبيرة من آسيا، بلا جيوش ولكن تدريجياً وبطريقة نبيلة بواسطة التجار والمتصوفة. وبهذه الطريقة تم اعتناق الاسلام وقبوله في تلك الثقافات جنباً إلى جنب مع الهندوسية والمسيحية. كما قبل الاسلام ببعض تقاليدهم.

- أشرت في حديثك إلى بعض الأحكام والقيم التي تعود إلى الثقافة العربية مثلاً الملابس والأعراف، ولكن عند انتشار الاسلام في آسيا لم تنتقل هذه القيم والأعراف العربية بل تفاعل الاسلام مع الثقافات المحلية، بدليل أن أعراف الشعوب الآسيوية وطراز ملابسهم بقي كما هو، بالطبع إلا بعض القضايا ذات الأرضية الدينية كالحجاب.

ساجدة: إن عرض الاسلام قد أصبح قضية ثقافية. أنا لست ضد الثقافة العربية ولكن لدي مشكلة عندما يتم تعريف الاسلام من خلال ثقافة معينة. من الأفضل أن يكون واضحاً والقول بأن هناك اسلام واحد وقرآن واحد ورسول واحد. وأما ما عدا ذلك فهو جهد بشري ليس إلا. مثلاً، لقد أوضح الامام أبو حامد الغزالي الكثير من الأشياء ولكنه ليس بنبي. هناك الكثير من الناس الذين قد تعجبك أفكارهم وآرائهم ولكنك لا تتبع وجهات نظرهم. ونفس الشيء يمكن أن يقال حول الثقافات.

في زمن معين ومكان معين يقوم الناس بتطوير فهمهم الثقافي للإسلام والذي يكون ملائماً جداً لحالتهم. ولكن سرعان ما تمضي عليه فترة من الزمن أو ينتقل خارج حدوده الجغرافية فلا يعد أفضل تفسير للإسلام. عندها ترى عمى الناس طالبان في أفغانستان. مثل هؤلاء الناس يخلطون حلولهم الثقافية المحلية بجوهر الاسلام ثم يصدرونها على أنها «الاسلام الحقيقي». كلا باستطاعتك أن تصدر القرآن مع بعض المقترحات في كيفية فهمه، ثم تترك كل ثقافة كي تعتنق الاسلام بطريقتها الخاصة. لا توجد هناك مشكلة في أن تكون ثقافات المسلمين مختلفة سواء في ماليزيا أو المغرب او العراق أو مصر أو اليمن. بامكاننا أن ننظر اليها ونعجب بها ونراها وهي تنمو، ثم بعد ذلك نحكم ماذا نأخذ منها لحالتنا الخاصة.

وهذا هو ما يقوم بها المسلمون الغربيون بشكل اساسي. يجب علينا اكتشاف الاسلام في أرجاء العالم من خلال الدراسات. فالقرآن يقول شيئاً بينما ممارسات المسلمين تقول شيئاً آخر. الاسلام يدعو للعالة ولكن أين هي العدالة في قمع المرأة، وعزلهن خارج الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية (كما في حكم طالبان)؟ ماذا حدث للعدل القرآني؟ هذا الارباك يجبر المسلمين الغربيين الذين يسمون «المسلمون الجدد» على التمييز بين الاسلام وبين ثقافات المسلمين. بالمناسبة إن مصطلح «المسلمون الجدد» يبعث في الابتسامة. قل لي هل ولد أبو بكر وعمر وعثمان وعلي مسلمين؟

- كلا، ولكنهم اعتنقوا الاسلام.

ساجدة: اذن أفضل المسلمين كانوا معتنقي الاسلام.

- أنا لا أستخدم مصطلح (المسلمون الجدد) من بعد تقييمي، بل فقط لتقسيم خلفيتهم. فهم أولئك الذين ولدوا ونشأوا في بيئة غير اسلامية ثم اعتنقوا الاسلام. وهناك المسلمون بالولادة والذين تربوا في ثقافة معينة وعلى قيم معينة. وهم يختلفون حسب خلفيتهم الثقافية في العراق، مصر، المغرب، أندونيسيا الخ.

ساجدة: أنا أؤمن بالحديث الشريف الذي يقول: كل امرء يولد مسلماً، وأبواه ينصرانه أو يهودانه. فمن قال أنني لست مسلمة بالولادة؟

السفر إلى انكلترا

- متى تزوجت وأين؟

ساجدة: تزوجت عام ١٩٦٦ في انكلترا. واستمراراً في الحديث عن قصة حياتي أقول: لقد قاما والدي بطردي من المنزل بعد أن عرفا أنني قد أصبحت مسلمة، وكان عمري آنذاك ٢١ عاماً. لقد كان ذلك أفضل لي من أجل أن أعتمد على نفسي. لقد عملت معلمة واستأجرت غرفة للسكن فيها. وأثناء ذلك حافظت على مطالعتي للكتب حول الاسلام والتصوف.

كانت لي علاقات وثيقة بالجالية الباكستانية والطرق الصوفية. لقد وجدت أن الباكستانيين يفكرون بالاسلام من خلال مصطلحات مستمدة من ثقافتهم الباكستانية. لقد نصحوني بالذهاب إلى لندن من أجل الدراسات الاسلامية، نظراً لوجود الكثير من الباكستانيين هناك. حقاً كنت بحاجة إلى دراسة نصوص المصادر الاسلامية،ولم أجد فرصة لدراسة اللغة العربية في هولندا. لذلك سافرت أولاً إلى لندن أثناء العطلة الصيفية، وزرت المركز الثقافي الاسلامي والذي كان في تلك الأيام مجرد منزل في عمارة صغيرة. وكان قد تأسس من قبل بضعة سفارات لبلدان اسلامية. وكانت تعطى فيه دروس في اللغة العربية والتعليم الديني لصالح المسلمين وكذلك السائحين الذين يرغبون بتعلم العربية. وقد قالوا لي أنه بامكاني الدراسة في المركز مجاناً. ثم عدت إلى هولندا وألغيت ايجار الغرفة والعمل في المدرسة ثم رجعت إلى لندن مرة أخرى.

في تلك الفترة لم تكن بريطانيا عضواً في المجموعة الأوربية، ولذلك كان يتوجب علي العودة إلى هولندا كل ثلاثة أشهر من أجل الحصول على فيزا سياحية جديدة. وقد سبب السفر المتكرر ضغطاً علي عند العودة إلى هولندا. فبسبب عدم امتلاكي لمحل سكن كان علي أن أذهب إلى منزل والديّ واللذان كان يحاولان اعادتي إلى المسيحية. إضافة إلى ذلك واجهتني مشكلة أخرى تتمثل في عدم اعتراف بريطانيا بشهادتي وبمؤهلاتي، لأنه كانت لديهم مقررات ومعايير أخرى. وكنت بحاجة إلى توقيع والدي باعتباره كفيلاً لي، ولكن والدتي رفضت ذلك. وهذا يعني أنني سرعان ما سأكون بلا عمل وبلا نقود. ومع ذلك لم أترك الاسلام أو دراستي.

عندما ذهبت إلى لندن عشت في الفترة بين عامي ١٩٦٥ و١٩٦٦ ظروفاً صعبة إلى أن قدم لي بعض الباكستانيين مساعدة أخوية عملية. لقد اقترحوا علي الزواج بمواطن من دول الكومنويلث كي تحل أغلب مشاكلي. في البداية لم تكن لي رغبة في الزواج ولكنهم أقنعوني. وبالفعل تزوجت بواحد من الذين قدموا لي مساعدة وهو باكستاني متعلم يدعى عبد الستار، درس التاريخ والفارسية والاسلام. وكانت لديه معرفة بالأدب الصوفي. طلب مني الزواج، وبناء على رغبتي قمنا بزيارة الباكستان.

العيش في بيئة اسلامية شرقية

- كيف كانت الحياة في الباكستان؟

ساجدة: لقد كانت تلك المرحلة هامة جداً بالنسبة لدراستي الاسلام لأنني تعلمت الكثير من زوجي ومن عائلته الذين كانوا محافظين وملتزمين بالاسلام، في حين كان بعضهم منخرطاً في الطرق الصوفية. لقد كنا نزور الباكستان باستمرار حتى أنني يمكنني تقدير ما قضيته من وقت هناك بأربعة سنوات. حاولنا عدة مرات أن نستقر هناك ولكنني كنت أصاب بالمرض مما يضطرنا إلى العودة أولاً إلى انكلترا ثم هولندا مؤخراً.

- كيف وجدت هذه العائلة التقليدية؟ وكيف كانت علاقتهم بك كمسلمة غربية؟

ساجدة: لقد كنت أكتسب خبرة في كل مرة نمكث فيها في الباكستان. وكذلك أعتبره فترة زواجي التي استمرت طوال ٢٥ عاماً هي فترة تدريب. فأنا لم تتح لي الفرصة كي أدخل الجامعة ولكنني قضيت فترة بلوغي بقراءة الكثير من الكتب الهامة. كما استفدت كثيراً من هدي زوجي وشبكة علاقاته في الباكستان. لقد كان قادراً ليس على توفير المعلومات فحسب، بل على تربيتي وحتى يتحداني إذا كان ذلك ضرورياً. لقد تعلمت كيف أقرأ القرآن باللغة العربية، وفهمه في عملية تدريجية طويلة.

لقد أكسبني العيش في قرية صغيرة في الباكستان خبرة ذات قيمة: العودة للقواعد في كل شيء. كانت البيوت مبنية من الطين. ولم يكن آنذاك طريق مبلط ولا كهرباء ولا تلفون ولا ماء نظيف. لم أكن أفهم اللغة مما يسبب لي عزلاً اجتماعياً. وقد أجبرني ذلك لسؤال نفسي: هل هذا هو الاسلام الذي تبحثين عنه؟ وهل كنت مثالية وأنت تواجهين كل هذه المصاعب؟ هل أنت مستعدة لمواجهة هذا الواقع أم كان من الأفضل أن تجلسي على كرسي مريح وتعشقين أفكاراً رومانسية؟

- هل أصبت بالاحباط في ذلك الوقت؟

ساجدة: نعم، كثيراً. بعض الأشياء كانت صعبة جداً مثل القيود الاجتماعية للمرأة، وبعضها مشاكل عملية صرفة مثل عدم وجود مراحيض.

- هل كنت تعتنين بزوجك في تلك الحالة؟

ساجدة: في قسم من الوقت لأن في العائلة الممتدة تعيش عدة أجيال من الأقارب مع بعضها البعض أو إلى جانب بعضها البعض. ويجري تقسيم الأعمال على عدة أشخاص. فعندما كنا نمكث عنهم كانوا يعتنون بنا. في البداية كان ذلك رائعاً، فلو أردت شيئاً أجدهم يجبون جلبه لي. ولكن بعد فترة من الزمن أصبح الأمر لا يطاق. فعندما كنت أحتاج لشيء وأطلبه منهم لا أستطيع الحصول عليه.

- مثل ماذا؟

ساجدة: قاموس بالأوردية.

- هل كان ذلك غير متوفر آنذاك؟

ساجدة: كلا، لم يكن الأمر كذلك. فلو ذهب أحد إلى المحلات يستطيع أن يجد ما يريد ولكن كانوا لا يريدون شراءه لي. وبدلاً من ذلك كانوا يسألونني: ماذا تريدين أن تفعلي بالقاموس؟ فإذا أردت تعلم اللغة الأوردية أو البنجابية فعليك أن تستمعي لنا فقط.

- بأية لغة كنت تتحدثين معهم؟ وهل تعلمت اللغة العربية؟

ساجدة: كنت أتحدث معهم بالأوردية. لقد تعلمت العربية فقط لقراءة القرآن. كما تعلمت شيئاً من الفارسية. فهذه ثلاث لغات شرقية صرت قادرة على معرفتها إلى حد ما.

- هل اكتسبت الجنسية الباكستانية؟

ساجدة: حاولت ذلك مرة واحدة ولكنها كانت اجراءات معقدة. في الواقع لم يكن الحصول على الجنسية الباكستانية ذا قيمة عملية. فقد كنت ولا أزال أحصل على الفيزا الباكستانية بسهولة، لكن الحصول على فيزا هولندية على الجواز الباكستاني يتضمن مشاكل عديدة. فالبلدان الأوربية تضع قيوداً متشددة كي لا تسمح للباكستانيين بدخولها والاستقرار فيها.

- كم طفلاً لديك؟

ساجدة: لدي ولدان، أحدهما ولد في انكلترا بعد عودتنا من الباكستان والآخر ولد في هولندا.

- أين قضين الخمس وعشرين عاماً الماضية؟

ساجدة: في بضعة بلدان لأن زوجي كان يجد صعوبة في الحصول على عمل في هولندا يناسب تحصيله الدراسي وطبيعته الحساسة. فعندما يواجه بعض المصاعب في العمل في هولندا ينتابه شعور بالحنين إلى بلده Homesick. في انكلترا عمل كمفتش في الباص، وبسبب التمييز العنصري لم يعد باستطاعته أن يرى أي شيء جيد. وقد أحبط جداً من ذلك. وكنت أقول له لعله يجد في هولندا فرصاً أفضل ولكنه لم يدرك في ذلك الوقت أنه الكثير من الأجانب يأتون إلى هولندا

للعمل كعمال. ولذلك لم تكن حركتنا باتجاه هولندا موفقة. لقد حصل على عمل هنا ولكنه عندما أصيب بمرض الحنين للوطن قررنا العودة إلى الباكستان. وهناك كانت لدينا مشاكل من نوع آخر، فقررنا العودة إلى أوربا مرة أخرى. وقد تكررت هذه الحالة عدة مرات. وفي كل مرة كنا نفقد تقريباً كل ما نملكه لنعود إلى الصفر من جديد.

- متى استقريتم في هولندا لآخر مرة؟

ساجدة: قبل عام ونصف من وفاته. لقد أصيب زوجي بمرض السكري. وكان ذلك شائعاً في عائلته، ولكنه لم يكن يريد القبول بأنه مصاب بالسكري. ولم يكن يقبل أنه قد ورث ذلك من والده. ولذلك بقي دون معالجة حتى صار مرضه غير مسيطر عليه. ولعل واحد من الأعراض الجانبية لمرضى السكري هو الاكتئاب النفسي. فبعد فترة من الزمن أخذ يشعر بالكآبة بشكل صار كل شيء يسير في خطأ. وهناك آثار نفسية وجسدية لمرضى السكري. وقد تلونت سنواته الاثنا عشر الأخيرة بهذه الآثار حتى توفي عام ١٩٩١.

- أين توفي؟

ساجدة: عندما ذهبنا إلى الباكستان بعد أداء مناسك العمرة في مكة المكرمة، أراد أن يموت في الباكستان. قلت له: أ،ت لا تدرك ما تفعل، تريد أن تموت هناك. فإذا لم يكن لديك مشكلة ولكن ستكون مشكلة لعائلتك. كيف يمكنهم رؤيتك وأنت تعاني. كما أنه يمكن تلقي العلاج في هولندا وليس في الباكستان، على الأقل ليس في قرية نائية. لماذا تفعل ذلك بعائلتك وأطفالك وزوجتك؟ بعد ذلك قررنا العودة إلى هولندا.

عندما مات زوجي كنا نعيش في هذه الشقة. لقد دفن في روتردام، فقد أصر على أن يدفن هنا وليس في الباكستان، لم لا هنا؟ فالله موجود في كل مكان. وبدلاً من المكوث في المنزل كأرملة حزينة، قلت: أعطوني شيئاً أفعله، أتحدث عن الاسلام أو أي شيء آخر.

منظمة "النساء" للمسلمات الهولنديات

- حدثيني عن منظمة "النساء" Al-Nisa ودورك في الاعلام الهولندي.

ساجدة: عندما كنت شابة، كنت أعطي محاضرات حول الاسلام. في ذلك الوقت كانت هناك مجموعة نسوية تدعى "النساء"،وهي شبكة علاقات تتألف غالباً من نساء غربيات يسعين إلى مساعدة بعضهن البعض في شيئين: الأول، تحسين معرفتهن بالاسلام ليكون أكثر فهماً وتقبلاً. فلو قامت احداهن بقراءة كتاب صعب فستقوم بالتحدث عنه وعرض ما يتضمنه عليهن. وبهذه الطريقة يقمن بتقوية اطلاعهن بالاسلام. والشيء الثاني، هو أنهن يقمن بمناقشة مشاكل اجتماعية معينة مثلاً مشاكلهن مع والديهن، مع أزواجهن، مع أطفالهن، الخ. وقد كنت نشطة معهن.

- هل كنت عضوة في منظمة النساء؟

ساجدة: لم أكن عضوة ولكن كنت أدعى لالقاء محاضرات، وكان ذلك في بداية الثمانينات. كما كنت نشطة في مجلة اسلامية هولندية تسمى "قبلة Qiblah". وقد دعاني رئيس تحريرها عبد الواحد فان بومل لكتابة مقالات فيها.

المجلس الاسلامي في هولندا

- حدثيني عن دورك في المجلس الاسلامي في هولندا.

ساجدة: هناك مجلسان للمسلمين في هولندا هما: المجلس الاسلامي في هولندا Islamitische Raad Nederland IRN والذي يتألف من ثلاثة منظمات اسلامية كبيرة وهي المغاربة المرتبطين بحكومتهم، والأتراك التابعين لمؤسسة "ديانت" والتي هي قسم الشؤون الدينية في الحكومة التركية، والمنظمات السورينامية. وهذه المنظمات لا تبدي ميلاً مهما كان قليلاً لدخول المنظمات التي تعارض الحكومتين المغربية أو التركية. فهذه المنظمات المنضمة في هذا المجلس تمثل الاسلام الرسمي.

ولذلك قامت الجمعيات والمنظمات التي لم تنضم لهذا المجلس بتشكيل مجلس آخر هو المجلس الاسلامي الهولندي Nederlandse Moslim Raad NMR. وانضم المسلمون الهولنديون إلى المجلس الأخير، وقد طلبت مني منظمة النساء تمثيلها في المجلس الاسلامي الهولندي NMR. وهكذا فالمنظمات الاسلامية التي لم تنضم إلى IRN انضمت إلى NMR. ويضم المجلس الاسلامي الهولندي حوالي عشر منظمات اسلامية معارضة لحكوماتها مثل حركة ملي غوروش التركية، وأخرى مغربية ومصرية وجزائرية وسورينامية معارضة.

لقد كانوا بحاجة إلى سكرتيرة ولأنهم كانوا يعملون ولديهم نشطات في جمعياتهم ومساجدهم، فلم يكن لديهم وقت، لذلك طلبوا مني تولي وظيفة السكرتاريا. وقد كان من المناسب لهم جداً أن أعرض خدماتي عليهم. وهذا يفسر انتخابي سكرتيراً عاماً لمجلس الاسلامي الهولندي.

- في أي وقت كان ذلك؟

ساجدة: انتخبت للمرة الأولى عام ١٩٩١ والثانية عام ١٩٩٣. وهكذا بقيت من عام ١٩٩١ ولغاية نهاية عام ١٩٩٦. لقد واجهت مشكلة حالت دون استمراري في منصبي. فقد أبدى بعض أعضاء المجلس عدم ارتياحهم مني لأنني حضرت لقاءً مع عمدة القدس (اسرائيلي). كان يزور هولندا وطلب اللقاء بممثلي الجالية المسلمة اضافة إلى ممثلي الأديان الأخرى في هولندا. لقد كنت موافقة على حضور اللقاء وناقشت الأمر مع رئيس المجلس السيد مادو Maddoe (سورينامي) والذي وافق على تمثيل المجلس في اللقاء.

- متى كان ذلك؟

ساجدة: أعتقد أنه كان عام ١٩٩٤ أو ١٩٩٥. كانت هناك منظمتان مصريتان في المجلس الاسلامي الهولندي،واحدة للرجال وأخرى للنساء. في الاجتماع اللاحق اعترضت سيدة مصرية -كانت قد فقدت زوجها في الحرب مع اسرائيل،وكانت سيدة لطيفة، ولكنها في هذا الأمر كانت غاضبة جداً- قائلة: لا يمكن الوثوق بساجدة. قلت: حسناً أنا أعمل في سبيل الله لمدة ست سنوات. فقد كنت لا أتقاضى أجراً على عملي، بل كنت أصرف من مالي الخاص على المكالمات الهاتفية وأثاث المكتب. أنا لست أرملة ثرية، وكنت أؤدي ذلك العمل ليلاً ونهاراً، أقرأ الأوراق، أرد على الرسائل، وأحفظها في الأرشيف. قلت لهم: إذا لم تعد هناك ثقة، فأنا أستقيل من هذا المنصب. ثم صار أحد الأشخاص سكرتيراً، ولكن رئيس المجلس طلب مني الاستمرار بتمثيل المجلس أمام الاعلام الهولندي لأن الصحافيين يريدون الحديث مع شخص ما، وجميع أعضاء ادارة المجلس مشغولون بعملهم. واستجبت لطلبه، وبقيت أؤدي مهمة الناطق الرسمي للمجلس حتى عام ١٩٩٧ حين قلت لهم: أريد التوقف عن هذا العمل لأنه لا يمكنني التحدث أمام الصحافة في شؤون المجلس لأنني لا أحضر اجتماعات المجلس، اضافة إلى ذلك لا يوجد محضر تدون فيه الاجتماعات بحيث يمكنني مطالعتها لمعرفة ما يجري في المجلس. فهم لم يتمكنوا من الحصول على سكرتير مناسب لأنه ليس لديهم وقت. في الواقع كانت تجربة مرة. ولو كان أي نوع من الرومانسية حول الاسلام والمسلمين، فقد جرى تدميرها.

- ما نوع النشاطات التي كان يقوم بها المجلس الاسلامي الهولندي لصالح الجالية المسلمة؟

ساجدة: لعل أهم نشاطاته هي الاذاعة الاسلامية. منذ البداية كان لي دور في تهيئة بعض البرامج لأنه لا أحد يمكنه ذلك آنذاك. وكانت المجلس الاسلامي في هولندا IRN يشرف في البداية على الاذاعة الاسلامية. وكان يحصل على الدعم المالي لتقديم برامج دينية في التلفزيون الهولندي، ولكن كانت هناك مشاكل رغم محاولاتهم الدؤوبة. من المشاكل التي واجهتنا أن العاملين كلهم متطوعون. كما وجهنا مشكلة في التمويل حيث أن الحكومة تدعم مالياً برامج الراديو والتلفزيون فقط وليس لشيء آخر. كانت هناك برامج متنوعة: للشباب، للنساء، لكبار السن، للإعلام،و لكن من سيقوم بها؟ متى؟ وكيف؟ وبماذا؟

عندما تراجع أية وزارة يطلبون منك طلباً هو أن تعرف أن الدين مفصول عن الدولة. وهم غير مستعدين لدعم منظمتك إذا كان لديك برنامجاً دينياً. لذلك لم يكن هناك تماسك في العمل لأنه لم يكن هناك هيكلاً قوياً للعمل. ما يزال المسلمون يحاولون بصعوبة بناء أنفسهم في هذا

المجتمع،ولديهم مشاكل مع عائلاتهم ومع مساجدهم. فكيف يمكن أن يمنحوا المال والوقت؟ وأمر آخر أحب الاشارة اليه هو أن غالبية المسلمين الذين قدوما إلى هولندا هم عمال ذوي مهارة متدنية. وقد كان هذا الأمر صعباً بالنسبة لي. وأكثرهم لا يستطيع فعل شيء، ليس لأنهم لا يريدون بل لأنهم لا يقدرون. وكل شيء عندهم يوضع في الأجندة السياسية للجماعات التي داخل المجلس أو بين المجلسين. لقد كان وقتاً عسيراً، حتى أنني كنت أعود إلى البيت منهكة محملة بكل هذه المشاكل.

- إذن كنت تفضلين القاء محاضرات؟

ساجدة: إلى جانب عملي، كنت ألقي محاضرات. وبدون ذلك لم يكن باستطاعتي العمل كسكرتيرة. في الواقع كنت أحصل على بعض النقود من القاء محاضرات. لا تنسى أن النشاطات العامة سواء مع الاعلام أو الحياة السياسية، لا يدفع فيها أجر. كما أن الناس لا يأخذونك بجدية كشخص بل للذين تتحدث عنهم. لقد أصبحت معروفة جداً كممثل لقطاع من المسلمين في هولندا. وهذا ما لا يعجب كثير من المسلمين الذين يقولون: ماذا؟ انها امرأة، انها هولندية. إن قضية الهوية جعلتني أقول [انني لا أملك هوية، لأنك سرعان ما ترفض من قبل أي شخص لا يشاركك في هويتك. في هذا الأمر، المسلمون ليسوا بأفضل كثيراً من الآخرين.

- هل شاركت في مؤتمرات وندوات وبحوث اسلامية؟

ساجدة: نعم، لدي بحوث ودراسات شاركت فيها في هولندا وخارجها.

نشاطات المسلمين الهولنديين

- هل بامكانك رسم صورة عن المسلمين الهولنديين؟ كم هو عددهم؟ ما الدور الذي يلعبونه كوسيط بين الثقافة الغربية والدين الاسلامي؟

ساجدة: أولاً لدينا مشكلة في التعريف. يوجد في هولندا بين ٦٠٠ إلى ٨٠٠ ألف مسلم، يصنف قسم منهم بأنهم هولنديون على أساس الجنسية وجواز السفر.

[تفهم ساجدة عبد الستار مصطلح «المسلمين الهولنديين» خطئاً لأن المقصود به هم الهولنديون الذين يعتنقون الاسلام، ولكنها تعتقد أنه يعني جميع المسلمين الذين يقيمون في هولندا سواء من المهاجرين أو من أهل البلاد]

ساجدة: كيف تعّرف المسلم في هذا السياق؟ لأنه في عدة حالات، أو أغلب الحالات، يقصد به المرأة التي تعتنق الاسلام بهدف الزواج، الزواج بأجنبي مسلم، في مثل هذه الحالات هناك نسبة هامة من اعتناق الاسلام تكون بدافع الزواج، وليس عن قناعة حقيقية. كم ؟ لا توجد طريقة

لمعرفة ذلك. ولا توجد طريقة دقيقة لتخمين نسبتهم. كم عدد الناس الذين يسمون أنفسهم مسلمين في هولندا؟ لا يوجد سجل رسمي بذلك. عندما أُسأل في الاعلام كنت أجيب أنه يوجد بين ألف إلى بضعة آلاف مسلم هولندي، ولكن هذا تخمين.

وكما ذكرت آنفاً، إن غالبية النساء اللاتي اعتنقن الاسلام هن نساء عمليات. في حالات كثيرة يكون الأمر قضية ثقافة. البعض منهن يرين أنهن يجب أن يبحثن في القرآن لن مشكلتهن تعود للمصادر. يوجد باللغة الهولندية أدب حديث حول الاسلام والمسلمين. وهناك فرق بين الكتابات التي يقوم بها غير مسلمين، أكاديميين أو مستشرقين، وبين ما يكتبه المسلمون. فكل طرف لديه رؤية مختلفة. إن كتابات غير المسلمين مفيدة، ولكنها ليست أساسية لشخص يؤمن بالاسلام. بعض المسلمين الهولنديين بدأوا بالتأليف حول الاسلام وتتلى دارين للنشر هذه المهمة هما منشورات النور An-Noer والأخرى منشورات الواحة Oase. كما يقومون بترجمة المؤلفات الاسلامية إلى اللغة الهولندية.

- هل تعتقدين بأن المسلمين الهولنديين يثرون الفكر الاسلامي؟

ساجدة: ما يقومون به هو غالباً ترجمة لما هو منشور بلغات أخرى. وهم يركزون عادة على القواعد والأحكام الاسلامية. يريدون أحكاماً شرعية من بعض العلماء. هم يترجمون آراء متشددة جداً لأنه توجد أشياء كثيرة لا تستطيع فعلها لأنها ضد السنة أي حرام. فهم يساوون بين السنة وأحكام القرآن. هناك أناس مثل عبد الواحد فان بومل وحمزة زيد، والأخير كتب كتاباً صغيراً يعرض فيه الاسلام على أنه ايمان روحي. هناك رؤى مختلفة، فمثلاً نصر حامد أبو زيد، الذي تنشر كتبه هنا، وتترجم إلى الهولندية، لديه أجندة سياسية تختفي وراء كتاباته. إذن هناك ثلاثة أنواع من الكتابات هي:

١-قسم يركز على الأحكام والمقررات.

٢-قسم يركز على التصوف والروحيات. فهي تحاول حل المشاكل الاجتماعية من خلال طرح حلول ذات بعد روحي.

٣- والقسم الثالث ذات هدف سياسي مثل كتابات أبو زيد ومحمد أركون.

إن الأدب الأكثر اثارة للاهتمام وهو أدب أصيل وحديث، هو الأدب الذي يكتبه المسلمون الهولنديون أو المسلمون الذين يعيشون لفترة طويلة في هولندا. فكثير منهم يظهرون رؤية معتدلة، بعيدة عن التشدد، وغالباً ما لا يعطون للأحكام الشكلية أهمية مركزية.

- هل توجد محاولة لتفسير القرآن أو السنة من قبل المسلمين الهولنديين؟

ساجدة: نعم، بالتأكيد.

- أذكر هنا يان بيرينهاوت Jan Berenhout.

ساجدة: إنه من طائفة الأحمدية.

- إنه يدعي أن أكل الخنزير ليس حراماً في الغرب ولكنه محرّم في البلدان الحارة.

ساجدة: هذه رؤية جماعة الأحمدية للأمر. هناك مثال أفضل وهي السيدة ماريته بوخارتس Mariette Bogaarts. لقد كتبت بعض الكتابات حول وضعية المرأة بشكل تسعى فيه إلى تفسير الاسلام بطريقة تذهب بها شططاً، مثل بيرينهاوت. نظراً للاحباط الكبير في الثقافة والسياسة في البلدان الاسلامية، فالمسافة تبقى بعيدة عن تفسير عام. ومن الأفضل البدء من موضع الطالب الذي يركز على تعلم الأشياء التي لا يتفق معها أولاً. بعد ذلك بامكانك أن تضع تفسيرك، قدّم السيد عبد الواحد فان بومل بحوثاً كثيرة في الفكر الاسلامي. قد تتفق معه أو لا تتفق،ولكنك ستجده قد قام بواجبه "المنزلي" أي رؤيته كهولندي مسلم. وأنا قمت بواجبي، مثلاً ألفت كتاباً بعنوان "وضعية المرأة في الاسلام" والذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٧. لقد أرسلت مسودته لعدد من العلماء،والذين قرأوه وكتبوا لي ملاحظاتهم، فقمت باعادة كتابته بناء على ملاحظاتهم.

- ما هو دور المسلمين الهولنديين؟

ساجدة: لقد دفعوا لأداء دور محدد. فعندما تكون هناك أزمة، مثلاً في العراق أو ليبيا أو أفغانستان، تجد أن المسلمين يتعرضون لمضايقات من قبل الهولنديين وخاصة بسبب عدم تمكن المسلمين من التعبير عن أنفسهم بوضوح. عندها تكون المهمة بيد المسلمين الهولنديين الذين يأخذون زمام المبادرة. ولكن ذلك ليس سهلاً، لأنه يتوجب عليك أن تستمر في الدفاع عن نفسك، وعن عائلتك عن مجتمعك ككل. لا أستطيع أن أخبرك بحجم الهجوم الذي أتعرض له من قبل الهولنديين: كيف يمكن أن تكونين حمقاء إلى هذه الدرجة وتؤمنين بهذا الدين؟ أنت لا تبدين غبية جداً ولكن كيف يمكنك أن تكوني غبية إلى هذا الحد؟ أنت امرأة وقد اعتنقت الاسلام، وتعلمين أن الاسلام يضطهد المرأة!

الهولنديون والمسيحية

- هل تعتقدين أن العمل مع الجالية المسلمة كان صعباً بالنسبة لك؟

ساجدة: معظم الناس هنا مسيحيون، وكثير من الهولنديين بلا دين على الاطلاق، فهم يؤمنون بالانسانية Humanism. ولديهم بعض العواطف تجاه عيد الميلاد، وليس أكثر، لم يكن للكثير من المسلمين الهولنديين أي توجه ديني قبل اعتناقهم الاسلام لكنهم اكتشفوا فكرة الدين

فقط من خلال التقائهم بالاسلام. إذن فليس لديهم خلفية مسيحية. أعتقد أنه يجب التمييز بين أولئك الناس. وحتى الذين ينتمون إلى عائلات مسيحية فهم لم يمارسوا المسيحية. لقد طوروا اهتماماً في ثقافة دخيلة (الاسلام). فبعضهم دخل في الاسلام وهو جديد عليه، في المرحلة الأولى يكون الفرد مشبعاً بهذا الاحساس ثم يريد أن يثبت أنه مسلم لكل شخص يحيط به، سواء أعجبه ذلك أم لا. في مرحلة متأخرة يصبح هؤلاء الأشخاص أفراداً طبيعيين مرة أخرى. كل شيء يجد مكانه، وتبقى الفقاعات تطفو على السطح. عندها يكونون مساهمون جيدون لفهم الاسلام.

أنا نشطة عادة بين المسلمين الأجانب. وأعتقد أن هذا عمل كبير. وكل من يستقر في بلد آخر لا يمكنه تفادي التفاعل مع المجتمع المضيف. إذا لم تكن راغباً بضياع دينك، فمن الطبيعي أنت بحاجة إلى التكيف. أعتقد أنه على المسيحيين وحتى المسلمين في مختلف البلدان أن يتشجعوا على ابداء الملاحظات على ما قام به المسلمون الآخرون، غربيين أو غير غربيين، أفارقة أو آسيويين، لأن ذلك يجعلهم يدركون ما هو الاسلام وما هو الوجه المقبول للثقافة. إن جوهر الاسلام واحد، وكل هذه الثقافات متغيرة ومتكيفة. وطالما أنها متحولة فيمكنك أخذها أو تركها. تعلم من الأشياء الجيدة من ثقافات المسلمين الآخرين، وتجنب سيئات الثقافات الأخرى.

الشعور بالانتماء للهوية الهولندية

- هل تعتقدين أن المسلمين الهولنديين يلعبون دوراً هامشياً؟

ساجدة: هامشياً جداً. أريد أن أضيف شيئاً آخر للنقاش السابق وهو أن معظم المسلمين في هولندا هم جماعات تنتمي إلى قومية معينة. في الواقع لقد تعلموا الاسلام من خلال ثقافتهم القومية وهم منسجمون مع هذه الثقافة. والكثير من المسلمين الهولنديين لا يشعر مثلما يشعر بقية المسلمين، وكثير من المسلمين الذين يصنفون بأنهم مسلمون هولنديون لكنهم ليسوا كذلك. فأنا لا أحمل شعوراً محدداً بالانتماء الهولندي أو الجنسية الهولندية على الاطلاق. وامتلاكي الجنسية الهولندية يعود لأغراض عملية بحتة.

- لو هاجم أحدهم القيم الهولندية، فبماذا تشعرين؟

ساجدة: لو كانوا على حق، فهم محقون. واذا كانوا على خطأ، فهم مخطئون. ولكن لو قال أحدهم: يجب أن تعرفي نفسك بجنسية معينة، فسأختار الجنسية الباكستانية.

- هل يوجد مسلمون هولنديون نشيطون في المنظمات الاسلامية؟

ساجدة: عادة يجري «استعمال» المسلمين الهولنديين لأغراض عملية بسبب لغتهم الهولندية،

وعلاقاتهم بالوزارات الهولندية. حالما يعبر مسلم هولندي عن رأي أو وجهة نظر اسلامية لا تتطابق تماماً مع تيار الجمهور المسلم، يقال: ماذا تعرف هذه؟ انها امرأة وهولندية!

- هل هو تشكيك؟

ساجدة: كلا، انه أكثر من تشكيك، انه تجاهل. إن غالبية المسلمين يتجاهلون آراء المسلمين الغربيين،ولكنهم يستخدمون المسلمين الغربيين كشعار لاثبات «نحن» المسلمين الحقيقيين و«نحن» باسلامنا. ونحن سنفتح العالم لأن بعض الهولنديين اعتنقوا الاسلام. فهذا شكل من الاستغلال. أنا لا أقول أن كل شخص هو كذلك، ولكن هذه حالة موجودة.

المسلمون الغربيون يتعرضون للتمييز العنصري

- هل تعرضت للتمييز؟

ساجدة: نعم، تمييز من كلا الطرفين: من المسلمين ومن غير المسلمين. فالمجتمع الهولندي يطرحك خارجاً. وسأذكر بعض القضايا التي حدثت لي قبل سنين. في احدى المرات كنت جالسة في القطار، وكانت تجلس مقابلي سيدة هولندية. في تلك الفترة ولمدة قصيرة كنت أغطي رأسي، وكنت جالسة مشغولة بقراءة كتاب. عندما أغلقت الكتاب، سألتني السيدة: لم أكن أعلم أنه أنتن النساء [المسلمات] مسموح لكنّ بالقراءة! لقد كانت تنظر لي بلطف،وأبدت تعجبها بسرور. هاهي رمي بوجهي عنقود من الفرضيات. ماذا عساني أن أفعل؟ هل أسألها: ماذا تعنين أنتن النساء؟ أو أشرح لها أنه لا يوجد اعتراض في الاسلام على النساء من القراءة. هذا مثال من المجتمع الهولندي.

ومثال آخر من المجتمع المسلم. في أحد السنين، سافرنا أنا وزوجي وأولادي إلى كندا. وصادف أثناء زيارتنا حلول عيد الأضحى. وقد أقيم حفل كبير للجالية الآسيوية، من الباكستان، من بنغلاديش، الخ. كان زوجي جالساً مع الرجال وأنا مع السيدات. في النهاية، كان زوجي يتحدث مع شخصين فاقتربت منهم وقلت: السلام عليكم، عيد مبارك. وسرعان ما التفت الي أحد الرجلين قائلاً: هل أنت مسلمة؟ قلت له: لقد قلت السلام عليكم. لقد اعتقدت أنك فهمت عندما قلت السلام عليكم. فقال: ولكنك لا تشبهين المسلمين!

- يحدث ذلك في الأوساط المسلمة. أذكر لك أن أحد المسلمين الانكليز دخل مرة إلى مسجد رواده من الآسيويين. يقول: عندما كنت أجتاز الصلاة، كنت أرى العيون تتلفت حولي وكأني لم أكن مسلماً يدخل مسجداً، بل رجلاً أبيض يدخل غيتو آسيوي. لقد كان هذا هو انطباعي.

ساجدة: لقد لرجل بوضوح بقوله «ولكنك لا تشبهين المسلمين». السؤال عن الهوية الاسلامية،

هل هي هوية دينية أم هي هوية دينية مع صفات قومية؟ هذا على الرغم من أنني كنت أغطي رأسي، وأرتدي ملابس اسلامية، وحييتهم بتحية الاسلام: السلام عليكم، وهنأتهم بالعيد: عيد مبارك.

المرأة الهولندية المسلمة تقول: عندما نقول «نحن مسلمون»، فالآخرون يعتقدون أننا أفضل من المسلمين العاديين. هل تدعو نفسك مسلماً؟ هل تصلي خمس مرات في اليوم؟ قد يكون الجواب لا. ولكن كل شخص يقبلك كمسلم بلا سؤال. انه من العراق، فهو مسلم. واذا كنت غربياً، فيجب أن يروك تصلي خمس مرات. كما أن اخلاصك للدين يبقى موضع التساؤل. أنا لا أقول أن ذلك حالة فريدة للغربيين المسلمين،ولكنه أمر مؤلم. عندما يواجه هؤلاء المسلمون الغربيون عائلاتهم، فعائلاتهم تنظر اليهم أنهم أصبحوا مسلمين. في الواقع فأنت لا تنسجم مع أي جماعة تماماً في كل الأماكن. لست مهتمة لأنني قد اعتدت على ذلك. منذ أن كنت طفلة صغيرة، كنت بعيدة عن منزل اسرتي، ولذلك أستطيع التعامل مع هذه الحالة. ولكن بعض المسلمين لا يستطيعون التعامل معها. لقد صار دين المسلم مشكلة.

قضية سلمان رشدي

- فيما يتعلق بموقف المجتمع الهولندي من الاسلام سأتناول بعض القضايا الملموسة مثل قضية سلمان رشدي. كيف تحللين موقف الغربيين وخاصة المجتمع الهولندي تجاه هذه القضية؟ هل أيدوا وساندوا سلمان رشدي لأنهم يؤيدون حرية التعبير أم لأنه هاجم الاسلام؟

ساجدة: لقد أعطى سلمان رشدي اسماً للشعور بتفوق الغربيين. في الواقع، هناك عدد قليل فهموا ما كتبه. أولاً لأنهم لم يقرأوا الكتاب [آيات شيطانية]، وأنا بضمنهم لأنه ليس كتاباً مثيراً أو لأنه ليس سهلاً في القراءة. الأمر لا يتعلق بسلمان رشدي كشخص، بالرغم مما يقوله، ولكن يوجد شيء خلف ذلك. إنه عدم الشعور بالارتياح عندما يبدي الآخرون آراءهم في أرضك. الغربيون يشعرون بالأمن الكبير في عالمهم، فهم قد استعمروا البلدان الأخرى. وقد أبعدوا ليس الدين بل ثقافة الشعوب الأخرى عنهم. ولكن توجد جماعة واحدة ترفض الخضوع لهذا المنطق. انهم ليس اليابانيون لأنهم انساقوا وراء «الدين» التجاري للغرب. وهم ليسوا زنوج أمريكا لأن غالبيتهم اعتنقوا المسيحية وصاروا سعداء جداً في استنساخ السلوك الغربي والقيم الغربية.

كلا، انهم المسلمون. من هؤلاء المسلمون؟ بماذا يفكرون؟ لا يقرون بالجميل لأننا رفعنا من قيمنا الغربية. انه تحدي،وخاصة عندما يكون المسلمون هنا في أوربا، ان ذلك انتهاك لحرمتنا. منذ أن انهار المعسكر الشيوعي، لم يبق من تحدي أمام الغرب سوى المسلمين. انه ليس بلداً معيناً، انه ليس العراق كدولة، وليس صدام حسين، وليس سلمان رشدي، وحتى ليس الخميني. إن

الخميني من صنع الاعلام الغربي. لم يكن أحد يعرف الخميني، لقد كان مجرد رجل دين صغير يبحث عن ملجأ له في فرنسا.

- لقد كان قمة في الهرم الديني الشيعي، فهو مرجع ديني وليس رجل دين صغير كما ذكرت. وكان معروفاً وله مقلدون وأتباع قبل الثورة. ولكن بعد الثورة صار قائداً سياسياً أيضاً.

ساجدة: ولكن لا أحد كان يعرفه، وحتى في ايران كان هناك قليل من الناس يعرفونه.

- ليس هذا الكلام دقيق، بل قاد الامام الخميني ثورة عام ١٩٦٣ اضطر الشاه اثرها إلى نفيه خارج البلاد.

ساجدة: لقد بدأ نجمه يسطع عندما أخذ الاعلام الغربي يتجمع حول منزله، إن أولى التقارير التي نشرت عنه كانت من قبل وكالة الصحافة الفرنسية. لقد تمت صناعة شهرته من قبل وسائل الاعلام، تماماً مثل أسامة بن لادن الان. منهو أسامة بن لادن؟ أنه شخص غبي ومشوش. انه رجل لديه بعض الأفكار ذات خط فكري واحد متجاهل لكل الأسباب الأخرى. انه شخص مخبول. لقد صار رمزاً للشباب المسلم المحبط. وبنفس الطريقة صار سلمان رشدي بطلاً لأنه ذو خلفية اسلامية، ويجري الدفاع عنه لأنه اتخذ ملجأ في الغرب. مثل هذه الشخصيات تصبح ذات سمعة قوية بسبب الاعلام. إن القضية لا تتعلق برشدي كشخص هام ولكنه هام بالنسبة لنفسه لأنه كان يمثل حاجة حيوية: التشكيك بالمسلمين بين الغربيين. وهذه قضية لها تاريخ طويل، ولها أبعاد سياسية وثقافية وسيكولوجية. وخاصة العنصر السيكولوجي. فإذا لم يكن هناك رشدي، لكان لابد أن يوجد شخص آخر. تماماً مثل هجمات ١١ أيلول / سبتمبر التي أثارت الغرب. لم يستطيعوا اثبات كيف تأتى للمهاجمين تنظيم مثل هذه العملية الدقيقة. وكالعادة قاموا باعتقال أشخاص لأنه لابد أن يتهم أحد بها. فلو لم يكن أسامة بن لادن لكانوا صنعوا شخصاً آخر. انها حاجة اجتماعية - نفسية، ونفس الشيء ينطبق على ايران حيث كانت هناك حاجة لمقاومة سياسات الشاه التي كانت تقضي بشكل منظم على كل العناصر التقليدية في ايران وبسرعة. وفي الغرب هناك حاجة لتسليط الضوء على من هو سيئ حقيقة في العالم الاسلام.

- الاعلام الغربي يعزو الأحداث التي رافقت الاحتجاج على رشدي بأنها تعود إلى الرغبة في الانتقام وكراهية الغرب.

ساجدة: كلا، لا أعتقد ذلك. إن الانفعال السائد بين الغربيين كان هو الخوف، والخوف أمر طبيعي. ولكن عندما يشتد الخوف، يتحول إلى عدوانية. إن رد الفعل الأولي للخوف عادة ما يكون نوعاً من الحماية، أي تنسحب. إن الاستجابة الطبيعية للمسلمين هو الانسحاب، وليس التعبير عن مشاعرهم حول القضية كلها وفي العلن. أولئك، على سبيل المثال الأطفال، الذين لا

يفهمون الدبلوماسية، لو قاموا بالتعبير عن أنفسهم فإنهم يجلبون انتباه الاعلام فوراً إليهم.
بعد ١١ أيلول/ سبتمبر قال الناس: إن كل ثقافتنا في هولندا ستختفي بسبب هؤلاء، أو: إن كل شيء جميل في هولندا يختفي بسبب المسلمين. لقد سمعت امرأة مسنة تقول: ماذا يحدث؟ ربما سنجد أنفسنا يوماً ما مجبرين على ارتداء الحجاب من قبل المسلمين. إن المسلمين يحتلوننا. قلت لهم: بالكاد يمثل المسلمون ٥٪ فقط من عدد السكان في هولندا. إنه الخوف،والخوف يكون لاعقلاني. هناك خوف لدى الجانبين. في المرحلة الأولى للخوف الذي ينسحب، ولا يكون له تأثير، عندها يبدأ الناس بالدفاع عن أنفسهم. وهم يدافعون عن أنفسهم بطريقة لا عقلانية.

- لماذا لا يوجد هذا الخوف لدى المسلمين؟

ساجدة: المسلمون أيضاً خائفون.

- إذا كانوا خائفين، فلماذا لم يقوموا برد فعل عدواني، وفق المنطق الذي تذكرينه؟

ساجدة: إنهم يعلمون أنهم مراقبون أكثر من السابق. سأذكر لك مثالاً آخر. حالما بدأ المجلس الاسلامي الهولندي بالعمل، لاحظت اهتماماً غريباً بي من قبل جهاز المخابرات الهولندي Binnenlandse Veiligheids Dienst BVD فقلت لهم: لماذا لا تأتون أنتم وتزورونني. الأجهزة السياسية والأمنية مثل بقية الناس العاديين تنظر بريبة للاسلام. ربما أكون المرأة الوحيدة في الاجتماعات الدينية أو واحدة ضمن بضعة نساء.دما يكون من يمثل المسلمين هي امرأة ولا ترتدي غطاء الرأس، ومع ذلك تجد الهولنديين يدّعون أن الاسلام يضطهد المرأة. فكنت أقول لهم: ماذا تعتقد أنني أفعل هنا؟

- إلى ماذا تعزين هذا التصور لاسلام؟ هل يعود الغربيين غير متدينين؟

ساجدة: كلا، الشيء البسيط هو كل شيء يكمن في التباينات. حالما ترسم الخطوط، سيوجد اليمين واليسار. هذا قديم قدم المواجهة بين العرب والغرب المسيحي. من حين لآخر توجد مواجهات بين الجيران. وفي الوقت الذي يوجه فيه الانتباه نحو الحدود، ستكون هناك مصالح متناقضة على جانبي الحدود. عندما كانت أوربا العصر الحديث تركز على العدو الروسي، كانت الأضواء بعيدة عن الحدود مع المسلمين. ولم يحدث هناك شيئاً هاماً. ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، بدأ تسليط الضوء مرة أخرى على الحدود مع الاسلام. إن حالة التصعيد تعني: أنـ "نا" جيدون و"هم" سيئون، و "نحن" يسار لأنـ "هم" يمين. فإذا قلنا أنه بامكانك ممارسة أي نوع من الجنس الذي ترغبه، فهم سيئون لأنهم يقمعون الجنس. فهنا يجري التركيز على الاختلافات، وهذا ما يحدث الآن. يمكنك أن تفعل ما تريد، بامكانك أن تحاول تخفض الايقاع، لكنك لن تستطيع ايقاف سير العملية. إنه شيء مثل قانون الطبيعة.

- وماذا عن الجانب الآخر من الحدود: المسلمون؟

ساجدة: أنا أعرف كيف يتحدث المسلمون في الباكستان عن الغرب، ما يزال العهد الاستعماري في ذاكرة الكثير من الباكستانيين. ولذلك هم لديهم رأي محدد بالغرب. عندما أزور الباكستان ويرون وجهي، ينادونني بالبريطاني. فهاهي المرأة الغربية الوحيدة التي يعرفها كل شخص، مع نظرة نمطية تشير إلى أنهم يعتبرون كل غربي هو بريطاني واستعماري.

تصريحات الشيخ المومني حول الشذوذ الجنسي ورد فعل الاعلام الهولندي

- ما رأيك بتصريحات الشيخ خليل المومني، إمام مسجد النصر في روتردام، بصدد الشذوذ الجنسي؟ لقد كانت هناك ردود أفعال كثيرة، عقلانية ولاعقلانية. [1]

ساجدة: كلها لا عقلانية، ولا يوجد بينها شيء عقلاني. أولاً لقد تم اجتزاء شيء خارج هذه الخطبة، ثم جرى نشره بلا سياق للخطبة. بامكانك أن تفعل ذلك مع أي شخص.. ومع أي كتاب وحتى الكتاب المقدس والقرآن الكريم، حيث تستطيع أن تقتطع جملة أو عبارة خارج السياق. في الواقع لا يوجد عرض متوازن في الاعلام. وربما ينطبق هذا على كل ميدان وكل سياسة.

الملحدون والانسانيون Humanists لديهم تأثير قوي على الاعلام الهولندي. فهم لا يعيرون أهمية للقيم الدينية ولا يريدون أخلاقاً أو روحيات. وخاصة أن حضور الشذوذ الجنسي هو أمر غير ديني ويعتبر تحرراً متشدداً في قطاع الاعلام. وحالما يعلمون بوجود شيء يهاجم هذه النظرات وأساس فكرهم، فسرعان ما يحتجون علناً ضده. ولو هاجم أحد الدين فهم لا يهتمون به بل ولا ينقلون الخبر. وطالما كان الاعلام يخضع للضغط، فالقضية تبقى قضية من ينشر قبل الآخر قدر استطاعته، فلو كنت الأول، كنت الأحسن.

هناك القليل مما ينشره الاعلام يتضمن ملاحظات نابعة من بحث عميق حول خلفية الموضوع. ولكن الغالبية ممن يكتبون لا يميزون بين التعاليم التقليدية القادمة من الاسلام كمفاهيم دينية، أي الاسلام الشكلي، وبين الاستماع الجماهيري القادم من المساجد. فإذا لم يخطب الامام بما يعجب مجلس إدارة المسجد، سيكون مصيره الطرد. ولما كان مجلس ادارة المجسد في الغالب يتألف من رجال كبار في السن، فماذا تتوقع أن يحصل في المسجد؟ وماذا يتوقع المصلون وبضمنهم الشباب؟

---

١ في شهر مايس ٢٠٠١ أدلى الشيخ خليل المومني بتصريحات لشبكة NOVA التلفزيونية وصف فيها الشذوذ الجنسي بأنه مرض معد يسري بين الشباب ويسبب الضرر للمجتمع الهولندي ويقضي على النوع البشري. أحدثت هذه التصريحات جدلاً وغضباً واسعاً في الأوساط السياسية والاعلامية والاجتماعية، حتى أن بعض نواب البرلمان والوزراء ورئيس الوزراء أدلوا بآرائهم بهذه القضية. وتم تقديمه للمحاكمة لكن القاضي حكم ببراءته من تهمة التمييز لأن يتحدث عما هو موجود في القرآن وأحاديث النبي محمد (ص)، وهذه تعتبر من الحرية الدينية التي يضمنها الدستور الهولندي.

ستكون النتيجة البقاء في التمسك بوجهة نظر محافظة للإسلام. ربما يوجد مسجد أو اثنان في هولندا يختلفان عن هذه الوضعية. وكل هذه الأشياء التي تحدث في المساجد لا تجري متابعتها. لقد حدث غضب ولكن ليس كبيراً لأنه لا يوجد في هولندا شخص آخر لا يحب ممارسة الشذوذ الجنسي علناً. يوجد كثير من الهولنديين لا يحبون ذلك، ولكن تصريحات المومني تعرضت للهجوم لأنه يدعي أنه يؤمن بالاسلام.

مسرحية «نساء المدينة»

- جرت نقاشات واسعة حول مسرحية «نساء المدينة»[1] التي منعت بلدية روتردام عرضها عام ٢٠٠٠، وقد أغضب ذلك بعض المثقفين والفنانين والصحفيين الهولنديين والذين رأوا بأن الاسلام يخرج من حدوده وأنه يقيّد ثقافتهم. فما رأيك؟

ساجدة: ماذا لو عرضت هذه المسرحية في العراق؟

- لا يسمح لها بالعرض في العراق.

ساجدة: سوف لن تقبل، أليس كذلك؟ إنها شيء يخالف الرأي العام للناس. في البيئة الهولندية قاموا بعرض مسرحيات فاضحة. بالطبع يتمته الفنان في هولندا بمساحة كبيرة من الحرية. إنه من الصعب منع عرض مسرحية في هولندا. أنا أعرف السبب وراء ما حدث في روتردام وهو أن الهولنديين أرادوا عدم المجازفة بسمعة المسرح. هذا هو السبب الحقيقي. وهذه الأشياء تحدث بين الهولنديين أنفسهم كما تحدث مع الآخرين. ولكن عندما تحدث مع المسلمين فإنها تكتسب صبغة اسلامية. وهنا تبدأ الأحكام المسبقة ضد الاسلام بعملها في النقاش.

- كتبتُ مقالة حول هذا الموضوع ذكرتُ فيه أنه في الوقت الذي تم عرض مسرحية «نساء المدينة» فقد تم منع عرض فلم (أياكس: هناك تسمع الملائكة تغني) الذي يتحدث عن بطولات وانتصارات حققها فريق أياكس Ajax الهولندي لكرة القدم. وقرر وزير العدل منع عرض الفلم في بعض المدن الهولندية الكبرى مثل لاهاي وأوتريخت وخرونكن وآرنم لأن أنصار الفرق الرياضية الأخرى هددوا بأعمال شغب فيما حالة عرض الفلم فيها. ولم تكن هناك أية مشكلة في الاعلام الهولندي جراء منع عرض الفلم بل تعاملت وسائل الاعلام الهولندي بشكل اعتيادي متفهمة أسباب المنع. فإذا كان الأمر يخص الهولنديين فهو عادي فيما لو كان يخص المسلمين فهو

---

[1] مسرحية «نساء المدينة» مقتبسة من رواية للكاتبة الجزائرية آسيا عبد الجبار، المقيمة في فرنسا. وتتحدث الرواية عن الفترة التي اعقبت وفاة الرسول (ص) وتفترض الكاتبة أن السيدة عائشة كانت ترغب بأن يتولى والدها الخلافة، فيما كانت السيدة فاطمة الزهراء (ع) تدعم تولي زوجها علي بن أبي طالب (ع) الخلافة. وتتحدث الرواية عن صراع بين السيدتين في الشأن السياسي. وكان مخرج المسرحية يريد تجسيد شخصية السيدة عائشة في المسرحية، وقام بالاتفاق مع ممثلة مغربية لتمثيل هذا الدور. وكان من المقرر أن تقوم فرقة «المسرح الحر» بأداء المسرحية في ضاحية «دلفس هافن» التي يشكل المسلمون قرابة ٥٠٪ من سكانها، كما توجد فيها خمسة مساجد كبيرة.

مشكلة وتحد للقيم وقمع لحرية الابداع والأدب، فلم يال أحد لماذا منع عرض الفلم؟ وأين هي حرية التعبير؟ أليس هذا معياراً مزدوجاً؟

ساجدة: تماماً، ولكن المعيار المزدوج ليس باتجاه واحد فقط. إذ غالباً ما تمارس المعايير المزدوجة في البلدان الاسلامية. أعتقد أنه من الأهمية البالغة أن نفهم أنفسنا من أجل وضع الحدود بين ما هو انساني عام والذي يحدث في أي مكان يوجد فيه البشر وبين ما هو اسلامي خالص. المسلمون أيضاً بشر. عندما ألقي محاضرات على الجمهور الهولندي، أبدأ حديثي عادة بعبارة: المسلمون أيضاً بشر. فيبدأ الجمهور بالضحك،و بذلك ينتهي التوتر. وعندما يزول التوتر يمكنك الحديث عن الاسلام كما هو. ولكن عندما يسود التوتر الجو فلا يمكنك الحديث أبداً. وحتى لو تحدثت سيساء فهمك.

بعد أحداث أيلول/ سبتمبر في الولايات المتحدة، اتصل بي كثير من الصحفيين، وسألوني عن رد فعلي تجاه هذا الحدث. قلت لهم: لن أدلي بأية تصريحات. لماذا يجب أن أصرح تجاه عمل اجرامي لبعض الناس؟ وما علاقة هذا الأمر بي؟ فكانوا يردون: ولكنك مسلمة. فأقول: ثم ماذا، وما علاقة ذلك بي؟ وما علاقة عمل اجرامي بالاسلام؟ لا أريد التصريح بشيء. فذهبوا إلى أشخاص آخرين أدلوا بتصريحاتهم، فهذه مسؤوليتهم.

- وأنا كذلك اتصلت بي محطة تلفزيونية للتعليق حول الحدث. وبعد عدة مكالمات هاتفية مع معدة البرنامج أدركت أن الاعلام الهولندي يبحث عن شخص متطرف مستعد للإدلاء بتصريحات انفعالية غاضبة ضد الغرب وأمريكا بشكل يثير الاهتمام ويثبت الاتهامات التي يوجهها لاعلام الغربي آنذاك للمسلمين عموماً.

ساجدة: وهذا بالضبط ما حدث لي حين كنت الأمين العام للمجلس الاسلامي الهولندي NMR، ففي فترة قضية سلمان رشدي، اتصلت بي محطة تلفزيونية وطلبت مني تزويدها بأسماء بعض الأصوليين. فقلت: ماذا تعني بالأصوليين؟ فكان الجواب صعباً عليهم. فقلت: هل تتوقع أن يكون شخصاً يؤيد من يحرق الكتب؟ وعلى أية حالة، لو فرضنا ان هؤلاء الأشخاص موجودون في هولندا، فأنا لا أعرف واحداً منهم. وأنتم تعتقدون بأنكم عبر مكالمتي بأنني اق=فتح صندوق أسماء الأصوليين وأزودكم بها! هل هذا ما تتوقعونه؟

حقوق المرأة المسلمة

- هل تعتبرين نفسك مدافعة عن المرأة Feminist؟

ساجدة: لا أعتبر نفسي شيئاً. و لا أوافق على أن يدعوني أحد بمدافعة عن المرأة Feminist.

- أنت تدافعين عن حقوق المرأة المسلمة.
- أنا أؤيد حقوق الانسان. لقد التقيت ببعض الغربيات المدافعات عن المرأة واللاتي يذهبن بعيداً في موقفهن حتى يصلن إلى مستوى مهاجمة حقوق الرجل. وأنا لا أوافق على ذلك.
- أنت تؤيدين مشاركة النساء المسلمات في الحياة العامة.
ساجدة: نعم.
- في كتابك "وضعية المرأة في الاسلام" تناولت مجموعة من القضايا المتعلقة بحقوق المرأة المسلمة. أنت ترين أنه يجب أن لا نحبس المرأة في البيت لأن ذلك يبدو سجناً حيث أن بعض الآيات القرآنية تعتبر عدم خروج المرأة من البيت بمثابة عقاب لها في بعض الحالات. أعتقد أن هذه مناقشة جيدة للموضوع. لقد ذكرت في كتابك بأن الرسول (ص) نفسه قد اصطحب ابنته فاطمة (ع) معه ضمن الوفد الذي قابل الوفد المسيحي. وهذا ثابت في النص القرآني. إننا نؤمن بأن القرآن صالح لكل زمان ومكان، ولكن الثقافة تؤثر في خلق العادات والتقاليد التي نسميها "اسلامية" مثل الحريم الذي بدأت ممارسته في العصر العباسي. إذ لم يكن هناك حريم في صدر الاسلام، وحتى زوجات النبي (ص) كن يخرجن من المنزل ويزرن أهليهم ويستقبلن صديقاتهن وأقاربهم وحتى الضيوف من الرجال. وهذا ثابت في القرآن أيضاً.
ساجدة: إن الفصل بين الرجال والنساء متأثر بعاملين: الأول، هو عنوان "الحجاب" الذي فرض على نساء النبي في حالة معينة في المدينة. فعندما كان يأتي بعض الأغراب إلى منزل النبي، والذين أعطاهم الله الرخصة في طلب بعض الأشياء من نساء النبي، ولكن أن يكون ذلك من وراء حجاب، أو ستارة.
الثاني، أنت على حق بأن التقاليد جاءت بعد تفسير النص القرآني. هذه التقاليد جاءت من الأعراف الفارسية والبيزنطية لأن زوجات المسلمين العرب رافقن أزواجهن في الذهاب إلى بلاد فارس والمناطق البيزنطية مثل سوريا ومصر. وهناك تأثرن بعادات الفرس والروم، لأنهن جئن من الصحراء إلى مدن كبيرة. وكانت هناك رغبة في التعلم وقبول أشكال ثقافية كثيرة والتي لم يعرفنها من قبل. كما قبلن طريقة اخفاء الوجه وفصل النساء عن المجتمع والتي هي عادة بيزنطية معروفة. وقد استخدمت هذه العادة كشكل من الاستجابة لآيات قرآنية معينة. لو نظرت في تاريخ حجاب النساء وفصل النساء عن الرجال لوجدته عادة قديمة متبعة في فارس وبيزنطة قبل أن تنتقل إلى المناطق العربية. إنها عادة جرى تبنيها فيما بعد وليس أصلية من الاسلام.

- ربما أوافقك على جزء مما تقولينه، ولكنك لم تذكرين أي مصدر تاريخي يؤكد ما تقولينه. فهل توجد مصادر تذكر صراحة بأن العرب أخذوا عادة لبس الحجاب من الفرس والروم؟

ساجدة: هذه قضية تاريخية. فلو نظرت في القرآن والأحاديث والسيرة النبوية، لرأيت النساء المسلمات كن نشيطات وأنه ليس كل النساء كن يغطين رؤوسهن. إنها كانت مجرد "عملية تحول". إذ كان الاسلام في طور التشكل في المظهر الخارجي. الاسلام كان كوحي الهي موجوداً ولكن لم يتخذ تعبيراً اجتماعياً خارجياً بعد. وقبل أن تتم هذه العملية، كان هناك تأثير من قبل الناس الذين يزورون فارس وبيزنطة ويعودون بقصص تتضمن عناصر ثقافية من تلك المجتمعات. عندما استوطن المسلمون في المدن الكبرى أو قاموا بإنشاء مدن كبيرة، فإنهم غالباً ما اتبعوا النظام والقواعد التي كانت سائدة في تلك المناطق قبل مجيئهم. ويمكن ضرب مثل واضح هو الأناضول. فمن الخطأ الحديث عن ثقافة تركية بأنها تركية الأصل. إن كل الأشكال السياسية والدينية والاجتماعية في تركيا الحديثة تعود إلى الكنيسة البيزنطية القديمة.

- عندما زرت تركيا لاحظت أن الطراز المعماري في بناء المساجد لا يختلف كثيراً عن كنيسة آيا صوفيا والتي تحولت إلى مسجد بعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٨ م،

ساجدة: انه شيء يميل المسلمون وغير المسلمين معاً إلى التغاضي عنه. الاسلام لم يخلق الثقافة العربية كما ترى. إن الثقافة العربية في تلك الأيام قد اصطبغت بكل هذه المؤثرات، والتي لا تجدها فيما بعد.

القواعد والمشتقات

- لقد قلت في كتابك بأن القرآن يشترط قواعد السلوك فقط ولكنه ليس كتاب قانون.

ساجدة: أعني أنه لو أن أحداً قال: اذهب إلى المكتبة واجلب كتاب قانون، عندها ستجد نوعاً من النص يتألف من الغلاف إلى الغلاف من قوانين وأحكام تحت عناوين ملائمة، لكنك لا تتوقع أن تجد ذلك في القرآن.

- تقصدين أنك تدعين إلى تقنين الشريعة؟

ساجدة: كلا، أقول أن القرآن يمكن أن يكون أساساً لهذا التقنين، لكن الأمر ليس كذلك. إن الشريعة ترسم عملية التقنين، التقنين جهد بشري وليس وحياً مقدساً. في الواقع توجد عدة مذاهب، سنية وشيعية. أريد أن أقول بأنه من خلال هذه القواعد يجب علينا أن نميز بين المبادئ والمشتقات أو الاستنتاجات. فعلى سبيل المثال: التوحيد هو مبدأ، ومن التوحيد نشتق مشتقات أخرى: مثلاً لا يجوز عبادة الأصنام، لا يجوز أن تقدم ولدك قرباناً لشيء ما، لأن ذلك يخالف التوحيد. ونفس الشيء ينطبق على مبادئ العدل والرحمة التي هي مبادئ اسلامية. لا أعتقد

أن كثير من الناس يدركون ذلك. إن مصطلح «بالمعروف» يعني أن تكون رحيماً أكثر مما تكون صارماً.

هناك مبادئ ومشتقات منها: لا تسرق، لا تقتل، لا تؤذي أحداً، لا تزعج الناس قدر ما تستطيع، الخ. عندما يبدو أي شرط في القرآن مخالفاً لأي مبدأ أو مجموعة من المبادئ، فيجب أن نتعمق في فهمنا له، عندها سنجد أن ينسجم مع المبادئ. في عدة أماكن يقول القرآن: أقتلوهم، قاتلوهم، والتي تبدو مفاهيم عدوانية. ومن ناحية أخرى توجد دعوات عديدة للسلم والتصالح، وانقاذ حياة أحد كأنما تنقذ حياة البشرية. هذه هي المبادئ، وإذا لم تقرأ تلك الأحكام التي تدعو للقتال والقتل في سياقها القرآني، فأنت بالتأكيد ستصل إلى استنتاجات خاطئة.

- أنا أوافقك على ذلك. لقد ألقيت محاضرة حول الجهاد على جمهور هولندي، فبينت له أن لا يمكن تطبيق أحكام الجهاد إلا في حالة وجود حرب فعلية بين دولة اسلامية ودولة معتدية عليها، و وبشروط عديدة. مثله مثل أي قانون حديث، قد وضع الاسلام قواعد للحرب تنظم جميع قضايا الحرب والمدنيين و الجرحى والأسرى والهدنة والصلح وغيرها. واليوم يجري استخدام مصطلح الجهاد بمناسبة وغير مناسبة. وتجد بعض الجماعات الاسلامية التي قد يقودها شاب نصف متعلم لا يملك مؤهلات دينية وعلمية فتراه يعلن الجهاد على هذه الدولة وتلك بكل بساطة غير مدرك لنتائج ما يقول به.

ساجدة: نعم، هذا هو الجهاد. لقد تجرأ البعض على وضع أحاديث ينسبونها للنبي (ص)، وحتى الاسناد يمكن وضعه. ولكن لو كانت هذه الأحاديث حساسة سياسياً وتذهب ضد تيار الحساسيات، فيجب ان تكون حقيقية. يجب أن تكون كذلك لأنها جاءت على الرغم من أن هذا الحديث لا يعجبه، إن أفضل أنواع الجهاد هو مجاهدة النفس. قال الرسول (ص): هذا هو الجهاد الأصغر، والجهاد الأكبر هو جهاد النفس. هذا هو الجهاد أي تفعل أفضل ما بوسعك.

تفسير القرآن الكريم

- تستعينين بتفاسير مشهورة للقرآن، وخاصة تفاسير المسلمين الغربيين أمثال محمد أسد. كما ترجعين إلى ترجمات للقرآن. هل درست تفسير القرآن؟

ساجدة: نعم، حسب قدرتي. في الواقع، إن ما أميل إليه عندما أتحدث عن الاسلام، دائماً أرجع إلى القرآن. وأحياناً أستخدم الأحاديث، ولكن القرآن هو المصدر الرئيسي. لقد قرأت القرآن باللغة العربية، وألاحظ اختلافات الترجمات. أنا أعرف القليل من اللغة العربية لأنني درستها. أدرس النصوص كلمة كلمة، وأرى تفسيرها في مختلف التفاسير والترجمات. كما أراجع القاموس كي

أرى فيما لو كانت هناك معاني اضافية للكلمة. وغالباً ما أجد عدة معاني، إن معنى القرآن مختزن في عدة طبقات من المعاني التي تتضمنها الألفاظ والتي لا تتجاوز واحدة على الأخرى. وهذا سر جمال القرآن.

نقد الأحاديث

- لديك انتقادات على كتب الأحاديث. فأنت تعتقدين بأن الرأي الشخصي لجامع الأحاديث يؤثر على محتوى وانتقاء الأحاديث.

ساجدة: نعم، على سبيل المثال: عندما ينقل حديث يخص المرأة، وتجد حديثاً منسوباً للرسول (ص) يقول: إن أكثر أهل النار من النساء، فهناك عدة احتمالات: أنه رأي غير عادل، أو أن الحديث غير كامل، أو توجد نفس الملاحظة تخص الرجال، لكن الراوي لم ينقلها. إن الرسول يريد أن يعطيهم درساً، يحذرهم من سوء العاقبة، وهي طريقة تربوية وتعليمية جيدة. وهناك احتمال آخر وهو أنه حديث موضوع، وضعه شخص لا يحب النساء. ولما كان العلماء التقليديون يهتمون كثيراً بالاسناد دون المتن، فقد اقتنعوا بسلسلة اسناد هذا الحديث واعتبروه صحيحاً. أريد التأكيد: إذا كنت قادراً على صنع الحديث فأنت قادر على وضع اسناد له.

إن جميع كتب الصحاح بلا استثناء قد تم تأليفها في ظل عهود مليئة بالتوتر السياسي والثقافي والعقائدي. وتتضمن هذه الأحاديث أغراضاً مبطنة لمؤلفيها. إن كثير من الناس لديهم أهداف سياسية ومذهبية يدافعون عنها. ولا أفضل وسيلة للدفاع من القول بأن الرسول (ص) قال كذا وكذا. لقد كنت محظوظة عندما تلقيت تعليماً تقليدياً حول الأحاديث في الباكستان. لقد كان الأساتذة يناقشون الأمور بهذه الطريقة: الأحاديث هامة جداً،ولكن ليس جميع الأحاديث بنفس المستوى من التعويل عليها. وعندما يوجد أي شك نبقى نؤمن بالقرآن. فإذا ما وجدت سؤالاً حول الحديث، راجع القرآن واتبعه.

- هناك الكثير من الأحاديث المشكوك في صحتها. وبعضها يخالف القرآن،وبعضها الآخر يخالف أحاديث أخرى.

ساجدة: هذا واضح في صحيح البخاري الذي يتضمن الكثير من التناقضات. فإلى جانب الأحاديث الصحيحة، فهو يدرج حتى الأحاديث التي يشك بها. وهذا شيء معروف، ولكن لأنه يدعى (صحيح) فالناس تعتقد أن كل احاديثه صحيحة.

- إن البخاري نفسه قد نقح الأحاديث، وانتقى ما اعتقد أنه صحيح بنظره وحسب قواعده. وجاء بعده آخرون وناقشوا الأحاديث التي اوردها في صحيحه.

ساجدة: تذكر فاطمة المرنيسي (كاتبة مغربية)، قصة جيدة حول الحديث الذي يقول بأنه لا يجوز أن تتولى المرأة رئاسة الدولة، وهو حديث مشكوك فيه. بينما نجد القرآن يحدثنا عن بلقيس ملكة سبأ بأنها امرأة عظيمة.

- لقد قرأت مناقشات وتفسيرات لهذا الحديث (ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة). بعض العلماء يرون أن الحديث مختص بحالة معينة وليس عاماً. فهو يختص بامرأة فارسية اسمها بوران ابنة كسرى والتي أصبحت ملكة على فارس في عهد الرسول (ص). فالحديث يؤكد أنها لن تنجح في انقاذ امبراطوريتها التي ستسقط عاجلاً أو آجلاً بأيدي المسلمين.

النساء الفقيهات

- ما رأيك بالفكرة القائلة أنه لا توجد نساء فقيهات أو مفسرات للقرآن؟

ساجدة: في الواقع توجد مثل هكذا نساء. على طول التاريخ تجد المرأة في معظم الوقت (عدا بعض الاستثناءات النادرة، واحداها في الغرب الحديث) مشغولة برعاية شؤون المنزل والأولاد، فلا تجد الفرصة للتعليم والنبوغ. ولا تستطيع أن تلوم المسلمين أو الاسلام على ذلك لأنها ظاهرة طبيعية،وموجودة في كل الثقافات والمجتمعات. وطالما كانت الفرصة ضئيلة في تعلم المرأة، فمن الطبيعي أن تكون الفرصة أقل في وجود نساء خبيرات. أنا لا أقول أنهن كن في ذلك الوضع لأنهن لا يمتلكن القابلية على الدراسة،

من جانب آخر وهي الأسوء، وهي أنه عندما تتب المرأة أو تقول شيئاً، عدا السيدة عائشة، في مجتمع يهيمن عليه الذكور، كما هو الحال في الشرق الأوسط، فإن كتابتها لا يستنسخ كما هو الحال في العصور القديمة. فيجري اهماله مهما كان نتاج النساء أو علمية النص، فإنه يبقى غير مشارك في الثقافة.

- قبل سنوات توفيت فقيهة مجتهدة في ايران[1]. لقد كانت تمتلك سلطة اصدار الفتوى. وقامت بتأليف تفسير للقرآن الكريم. كما أنها تروي الأحاديث لطلابها وللعلماء الذي يأخذون منها،

ساجدة: في الأدب الصوفي، توجد كثير من النساء وغالباً ما يصلن إلى درجات عالية. ولكن أغلب النصوص الصوفية الكلاسيكية كتبت من قبل الرجال. ولا يعني ذلك أنه لا توجد نساء كتبت نصوصاً أو لم يقلن شيئاً، ولكن لم تنتشر. وتظهر في الكتابات عندما يشير إليها رجل في كتاباته أو يذكرها في رواية،

---

١ هي السيدة نصرت أمين (١٨٨٦-١٩٨٣) عاشت في أصفهان. نالت درجة الاجتهاد في سن الأربعين (عام ١٩٢٦) بعد أن كتبت عدة بحوث فقهية شهدت لها بالقدرة على الاستنباط. وكان ممن أجازها بالاجتهاد والرواية كبار العلماء أمثال السيد محمد كاظم الشيرازي والشيخ عبد الكريم الحائري

- هل توجد «شيخات صوفية» من النساء؟ (ساجدة عبد الستار منتمية إلى طريقة صوفية في هولندا، ولها شيخ)

ساجدة: نعم، توجد شيخات ولكن غالبية الشيوخ من الرجال.

سلطة العلماء

- أنت ترفضين «سلطة العلماء إذا كانت تمتد إلى القناعات الشخصية»، حسب ما ورد في كتابك.

ساجدة: لو أخذنا السلطة بالمعنى الحرفي للكلمة، فأنا أرفض سلطة أي شخص حتى لو كان عالماً أي درس وتدرب، إن مفهوم العالم صار يوازي كلمة حافظ للقرآن. لقد التقيت العديد من العلماء. لديهم نظرة ضيقة جداً للحياة. فمن عمر مبكر يعيشون في المدارس والمعاهد الدينية. ولا يفعلون شيئاً سوى الدراسة لكنهم لا يدرسون المجتمع. ولذلك ليس لديهم خبرة بالحياة أو نمط الحياة الذي يحيا به الناس خارج تلك المؤسسات، وبعد أن يتخرجوا من هذه المدارس عليهم أن يتعاملوا مع قضايا المجتمع ويصدرون لهم فتاوى تخص مختلف شؤونهم الحياتية. وقد يصدرون أحكاماً تتعلق بسلوك الناس الذين يعيشون في بيئة مختلفة عن البيئة التي عاش فيها أولئك العلماء. ولأنهم عاشوا في جهة أو بيئة معينة فإن قراراتهم تكون باتجاه واحد. من الأفضل تشكيل فريق عمل لهذا الأمر. في هذه اللحظة يوجد، في أغلب البلدان الاسلامية، فصل بين العلوم الدينية وبقية العلوم الأخرى. يجب أن يكون هناك تفاعل قوي بين العلوم الحديثة والعلوم الدينية. يجب أن يلتقوا ويتحدثوا مع بعضهم البعض،ويدركوا حدود كل واحد منهم، ويغتنون بآراء الناس الآخرين. خذ مثلاً النقاش الغبي والعقيم الذي يدور حول حقيقة هبوط الانسان على القمر! أو هل توجد شقوق في القمر تثبت معجزة الرسول بانشقاق القمر؟

- ولكنك عززت رفضك لسلطة العلماء «بأنه لا يوجد سلطة هرمية (هيرارشي) في الاسلام».

ساجدة: نعم.

- وقلت أنك تؤيدين «الدعوة إلى حرية التفكير المستقل وعدم اتهام كل رأي جديد بالبدعة». ماذا تعنين بالفكر المستقل والقناعة الشخصية؟

ساجدة: الاسلام يتسع ليشمل كافة الميادين الانسانية وكل نشاطات الحياة الانسانية. بعضها يكون جماعياً كالقواعد الاجتماعية. تمارس القواعد الاجتماعية بشكل جماعي. قد يعرض القرآن مسألة أو حكماً معيناً. فإذا كان الموضوع قضية اجتماعية فالمجتمع هو الذي يتعامل معها أو كيفية ممارستها. وإذا كانت القضية شخصية أو فردية، فالفرد هو الذي يتولى كيفية ممارستها. قابليات بعض الناس محدودة، وكذلك حريتك في التفسير، في قبول أو رفض أي حكم معين من القرآن سيكون محدوداً. انها ليست بلا حدود. هناك أشياء معينة عليك أن تقبلها. عندما يقول القرآن:

أقيموا الصلاة وأدوا الزكاة، فهذا ما يجب عليك فعله. وتوجد مساحة هامشية معينة، كما أعتقد، لا توجد حرمة في تفسيرها شخصياً. أين هذه المساحة؟ هذا أمر يمكن مناقشته. لا يمكنك مناقشة أحكام الزواج ولكن العلاقة الزوجية أو خيار الزواج عائد لك.

- ولكنك وصفت ذلك بالبدعة. البدعة هي كل فكرة أو ممارسة جديدة يجري اعتبارها جزءً من الدين أي الاسلام. فهي لا علاقة لها بالسلوك الشخصي.

ساجدة: هي تعتبر أيضاً جزءً من الدين.

- وهي قضية شخصية؟

ساجدة: أحياناً نعم.

- كيف تشرحين ذلك؟

ساجدة: على سبيل المثال، في أحد المرات اتهمت بارتكاب البدعة عندما قلت بأن الأحكام القرآنية المتعلقة بالنساء والتي توجب تغطية الرأس هي قضية تاريخية، وتختص بمنطقة معينة، وتعتمد على أولئك الذي قدموا إلى المدينة بعد وصول المسلمين إليها بوقت قصير. لقد اعتبروا هذا الرأي بدعة. بعض المفتين يرون بأنه لا يجوز أن تظهر حتى شعرة واحدة. قلت: حسناً، يمكنك تغطية رأسك. ولتبرير ذلك يقال: أنت تصدرين فكرة جديدة. أعتقد أنها تسمى بدعة عند بعض الناس.

- فيما يتعلق بغطاء الرأس، أنت ترين أنه ليس حكماً دائمياً، ولا يمكن قبول هذا الاستنتاج دون أن تثبتينه أو تأتين بتبريرات شرعية أو أدلة تاريخية، وإلا ستقعين في مشكلة.

ساجدة: ما هي البدعة؟ هناك أشياء كثيرة لم يستخدمها النبي، ولكن لا يمكننا أن نستغني عنها، مثلاً الأجهزة الكهربائية التي لم تكن موجودة في تلك الأيام لدينا بضعة روايات تتحدث عن أن الناس كانوا يأكلون بأصابعهم. ويقول السلفية أنه يجب علينا أن نفعل تماماً ما كان يفعله الرسول (ص). لا يمكنك أن تفعل ذلك لأن سترفض أشياء جيدة كثيرة. لا يوجد في الاسلام يمنعك قبول شيء جيد. ما هو الجيد؟ يكمن في تأثيره. فكر فيه وابحث عنه، عندها ستدرك تأثيره. فإذا كان التأثير غير جيد فتوقف عنه، ولو كان جيداً فاستمر عليه.

- في أحد الأيام طرحت على أحد المتحدثين معي سؤالاً: لو افترضنا أن النبي (ص) كان يعيش في الصين، فماذا تتوقع أن تكون تعليماته بصدد الأكل؟ ألا تعتقد أنه سيكون من المستحب الأكل بالأعواد الصينية الصغيرة؟ عندها ستتوقع وجود بعض الأحاديث التي تنصح المسلمين بالأكل بالأعواد الصينية. وقد تذكر تبريرات لاستخدامها مثلاً صحية أو خواص جيدة أخرى. إن الأكل بالأصابع كان عادة عربية، والنبي محمد (ص) كان عربياً، وقد اعتاد على الأكل بأصابعه. وهذا شيء طبيعي، وإذا لم يكن يفعله فسيكون حالة استثنائية.

ساجدة: سأضرب لك مثالاً آخر على البدعة. عندما بدأت بالاتصال لأول مرة مع الباكستانيين، كان من المقبول جداً أن ترتدي المرأة الساري. والساري لباس مأخوذ من الملابس الهندية، ولكن المسلمين هناك اعتادوا على لبسه. وعندما كنت شابة كنت أرتدي الساري.

وكان بعض العلماء المتشددين يقولون لي: هذه بدعة.
فقلت لهم: حسناً ماذا ألبس؟
فكان الجواب: البسي الشلوار [السروال] والقميص، [ملابس باكستانية تتألف من قميص طويل يصل إلى الركبة وسروال عريض يصل إلى القدمين]
فقلت: حسناً، أوافق على أن ارتداء هذه الملابس لا يخالف أي حكم اسلامي، ولكن ما الذي يجعلكم تقولون أن هذه الملابس على الخصوص هي ملابس اسلامية؟ فهل كان الرسول (ص) يرتدي هذه الملابس؟ وهل كانت زوجاته ترتديها؟
قالوا: لقد تعلمنا بأن هذه ملابس اسلامية.
قلت: لقد تعلمتم ذلك من باكستانيين آخرين. و لا علاقة لذلك بالسلوك التاريخي للرسول (ص). نعم لدينا فكرة ما حول ملابسه، ولكن لم يكن من ضمنها الشلوار والقميص. وكان الفرس يلبسون:البيجاما» أو تغطية الأرجل التي هي موضة صدّروها إلى العالم الاسلامي. من أين عرفتم أن هذه ملابس اسلامية؟ هذا هو ما أعنيه.

- أعتقد أن يجب وضع الأشياء في بيئتها وجوها، لأن المتشددين يسمون كل شيء لا يعجبهم، بل كل فكرة جديدة، بالبدعة. إن أكبر مشكلة واجهها الاسلام هي تنحية العقل جانباً والاعتماد على الأحاديث والقياس والرأي. هناك اتجاه يسمى بالحشوية. هؤلاء يركزون على النص فقط، أي الالتزام بحرفية النص دون النظر للعوامل الأخرى التي تساعد في فهم النص كالسياق وأسباب النزول والاعتماد على آيات أخرى من القرآن أو أحاديث نبوية أخرى.
ساجدة: هذا هو أساس صراعي منذ البداية. لقد تأثرت بطريقة محمد اقبال. لقد قال: باب الاجتهاد مغلق، لماذا؟ كيف؟ من قبل من؟ ليس من قبل الله!
- هذه الحالة تنطبق على المذاهب السنية فقط لأن الشيعة لم يغلقوا باب الاجتهاد. إذ ما زال الفقهاء الشيعة يمارسون عملية الاجتهاد. وبامكانهم مناقشة كل النصوص والروايات ثم اصدار فتوى بقضية معينة.

الاسلام والثقافة الغربية

- كما شاهدنا فإن الاسلام قد تفاعل مع الثقافات الآسيوية والأفريقية. فهل تتوقعين أن ينجح الاسلام في التفاعل مع الثقافة الغربية؟

ساجدة: بلا شك. ليس لدي شك في ذلك لسببين:

الأول، لماذا يجب أن تختلف العملية عن أي مكان آخر وجد الاسلام فيه وتفاعل مع الثقافة المحلية؟

الثاني، والذي يشكل أساساً لهذه الفرضية أو هذا التوقع هو أن الثقافة الغربية نفسها قد تطورت بواسطة المسلمين. فمن ضمن الذي ساهموا في تطور الحضارة الغربية هم المسلمون، وليس العرب فقط، بل المسلمون بشكل عام لأن الفرس أيضاً شاركوا في ذلك.

ما شرحته آنفاً حول الحدود والرغبة في اتخاذ وجهات نظر متشددة بسبب تعريف الآخر على أنه نوع من المنافس أو العدو. ولنعد إلى فكرة-العدو.

هناك بعض الأشياء مختلفة. مثلاً يبقى المسيحيون يقولون أن عيسى هو الله، ويرون أنه من الجائز أكل لحم الخنزير. ثم تأتي الأشياء الهامة مثلاً: من أجل ماذا نحن هنا على وجه الأرض؟ ما معنى الحياة؟ ماهو مصيرنا؟ كيف يمكن أن نكون بشراً حقيقيين؟ لا يوجد في ذلك خلاف جدي.

- أعتقد أنه كانت في البيئات الآسيوية والأفريقية العديد من الأديان والعقائد، ولكن استطاع الاسلام التفاعل معها فأنتج شكلاً ثقافياً معيناً يسمى الاسلام الآسيوي، الاسلام الهندي، الاسلام الماليزي، الاسلام الايراني والاسلام الأفريقي. ماذا ترين؟ هل نتوقع ظهور اسلام هولندي واسلام بريطاني واسلام ألماني؟ هذا المصطلحات تستخدم للتمييز بين الاسلام الثقافي المحلي.

ساجدة: لست سعيدة جداً باستخدام هذه المصطلحات لأنها في الغالب تمثل طريقة لتفادي القبول بوجود شيء دائمي ذي عنصر بشري قوي. مثل هذه المصطلحات «اسلام هولندي» قد تم اختراعها من قبل علماء الانسان (الأنثروبولوجيين) والباحثون السياسيون لوصف عملية الاندماج التي تتضمن عناصر اجتماعية-سياسية. أنا أميل لوصف الاسلام بلا شيء آخر، الاسلام كما هو، وأن جوهره لن يتغير. والبقية تبقى قضية تفسير. خذ العراق مثلاً، كم هي الاختلافات في الممارسات الاسلامية في بلد واحد؟ هل يمكنك الحديث عن اسلام عراقي واحد؟ لو فكرت في ذلك، ستجد أنه لا يمكن.

- لقد اندمج الاسلام بالثقافة حتى صار قاعدة للثقافة.

ساجدة: مع ذلك يوجد تنوع. منذ متى لم تزر العراق؟

- منذ أكثر من عشرين عاماً.

ساجدة: لو عدت الآن، هل ستجده كما تركته؟

- كلا. أنا أؤمن بأن الثقافة ليس مادة جامدة بل متحركة ومتغيرة. هل تعتقدين بأن الاسلام سيبقى قضية شخصية وليس اجتماعية؟

ساجدة: من الصعب التنبؤ بذلك لأن الدين معقد جداً. من المثير أنه في الوقت الذي بدأ فيه المسلمون يتوافدون على هولندا وأخذوا يؤسسون المساجد، كانت المسيحية تتجه نحو الأفول بسرعة بحيث أن التوقعات في ذلك الوقت كانت ترى بأنه عند بدء الألفية الثالثة، التي دخلنا فيها الآن، لن تبقى كنائس في الغرب. هذا ما كان يتكرر من نبوءات تقول أنه لن يبقى شيء للمؤسسات المسيحية.

المسلمون العاديون وليس المفكرون، يريدون ممارسة عباداتهم وأداء صلاتهم حسب طريقتهم، ويلتقون بأناس لهم نفس الخلفية. ستجد هناك نقاشات طويلة بين الهولنديين تحدث في كل مكان يراد بناء مسجد فيه. وتجد أن الكنيسة مهتمة جداً بكل ازمة تتعلق ببناء مسجد. في كل مكان يبنى فيه مسجد تقوم الكنيسة بخلق أزمة، لماذا؟ لأن «هم» إذا كانوا يؤمنون، فـ«نحن» نؤمن أفضل منهم. ربما يكون المسلمون الذين جاءوا إلى هولندا سذج جداً فيما يتعلق بالاسلام. ويرون أنفسهم أقلية في هذه البلدان. ويريدون في تقوية هويتهم عندما يبنون مسجداً. يمكنهم القيام بما لا يمكنهم القيام به في بلدانهم الأصلية، مثل تركيا. هناك صراع يزيد أو يقل بين «نحن» و«هم». يميل المرء عادة إلى المبالغة في اكساب جانبه الصفات الجيدة، والآخرين الصفات السيئة.

المسلمون الأوربيون

- تطرقت إلى الهوية الاسلامية. وبهذا الصدد أود أن أوضح أنه يوجد فئتان من المسلمين لهما علاقة بهوية المسلم الأوربي، وهما:

١- الغربيون الذين اعتنقوا الاسلام لأنه صار لديهم معايير جديدة في التفكير والسلوك. هذه المعايير مستندة إلى الدين الاسلامي. من جانب آخر فهم يريدون المحافظة على عناصر الثقافة السابقة أي الثقافة الغربية.

٢- المسلمون الذين ولدوا ونشأوا وترعرعوا هنا في الغرب والذين يمثلون الجيل الثاني والثالث للمهاجرين المسلمين. فهؤلاء بحكم تربيتهم قد اكتسبوا جزئياً ثقافة والديهم،ولكنهم بحكم

تعلمهم في المؤسسات التعليمية الغربية والجو الاجتماعي والثقافي الغربي اكتسبوا الكثير من الثقافة الغربية. فهم من جانب لا يستطيعون قبول جميع عناصر ثقافة بلدهم الأم، ولكنهم مع ذلك لا يريدون فقدان هويتهم الاسلامية. ومن جانب آخر ارتبطوا بالثقافة الغربية بشكل وثيق.

هاتان الفئتان تعاني من نفس المشكلة، ويعانيان من أزمة الهوية. فهو يريدون الامساك بالعصا من الوسط، أي المحافظة على عقيدتهم ودينهم وهويتهم الاسلامية، وكذلك المحافظة على الثقافة الغربية التي يعيشون فيها. فلا خيار أمام المسلمين في الغرب سوى التفاعل مع الثقافة الغربية.

ساجدة: سأحدثك قليلاً عن كتاب "وضعية المرأة في الاسلام" الذي أعيد طبعه عدة مرات. لقد لاقى نجاحاً لأنه تمت قراءته من قبل أناس من خارج الاسلام كالغربيين الذين يريدون التعرف على الاسلام، ولكنني تلقيت ردود أفعال من فئتين:

١-المسلمات الهولنديات اللاتي يقلن: نحن لم نتلقى اجابات شافية أو نقاشات واضحة من قبل أزواجنا أو المسلمين في المساجد. فهم لا يستطيعون توضيح الاسلام لنا، أو لا يقبلون بمناقشة الأحكام الشرعية أو لا يبدون تسامحاً في المناقشات. فالقضية عندهم هي: عليك أن تقبل أو لا تقبل.

٢-الشباب المسلم من الجيل الثاني الذي يقول: نحن نريد الفصل بين ما هو اسلام وما هو ثقافي. الثقافة مرنة، والاسلام دائمي. هذا النوع من الأدب هو جديد وأصيل، ولكنه يتأسس على أسس علمية تقليدية مقبولة. وبعكسه سيكون مجرد رأي شخصي. فالأخير لا ينفعهم كثيراً،ولكن عندما يجري تأصيل الفكرة باعتماد النصوص والقواعد الشرعية التقليدية، عندها يصبح مثل الاجتهاد، أي تأتي باستنتاجات جديدة وتقدم توضيحات لهذا الرأي. هنا يبدون اهتمامات كثيرة. وقد طلب مني كثير من الناس الكتابة في موضوعات معينة.

- إن هذا يمثل حاجة معينة في المجتمع. إنهم بحاجة إلى أفكار جديدة وفهم جديد قادر على تكييف الفقه الاسلامي مع الثقافة الغربية. فلا يوجد تصادم بينهما. هم بحاجة إلى حل مشاكلهم اليومية على ضوء الفقه الاسلامي المتجدد. هناك مشاكل عديدة تواجههم في حياتهم اليومية، مثلاً كيف يتصرف المسلم مع غير المسلمين؟ هل يمكن تهنئة غير المسلمين في اعيادهم؟ إن بعض السلفية و أئمة المساجد يحرمون ذلك. فإذا وجد الشباب المسلم عالماً أو فقيهاً يقول لهم يجب عليكم تهنئة المسيحيين في أعيادهم لأن ذلك من حسن المعاشرة، فهم يقبلون رأيه لأنه يحل لهم مشكلة اجتماعية يواجهونها في المجتمع الغربي. إذ لديهم أصدقاء من المسيحيين ويريدون التواصل معهم.

ساجدة: لا أعتقد أننا وصلنا إلى هذا المستوى أي يفتي العلماء بجواز تهنئة المسيحيين بأعيادهم. أعتقد أنه سيتطلب سنيناً.